

داعش

مَنْ النَّجْدِيُّ^{٣١} إِلَى الْبَغْدَادِيِّ^{٣١}

”نوستالجيا الخلافة“



داعش
مِنَ النَّجْدِيِّ إِلَى الْبَغْدَادِيِّ
"توسُّلُجِيَا الْخِلَافَةِ"



أوال

مركز أوال للدراسات والتوثيق
AWAL CENTRE FOR STUDIES & DOCUMENTATION

اسم الكتاب: داعش: من النجدي إلى البغدادي

اسم المؤلف: فؤاد إبراهيم

الطبعة الأولى، بيروت أبريل 2015

© لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله أو استنساخه بأي شكل من الأشكال.

www.awalcentre.com | info@awalcentre.com
ISBN 978 - 9953 - 0 - 3216 - 0

داعش

مِنَ النَّجْدِيِّ^{٣١} إِلَى الْبَغْدَادِيِّ^{٣١}

“نوستالجيا الخلافة”

فؤاد إبراهيم

الفهرس

7	مقدمة
10	عوامل النشأة
21	الفصل الأول: التحالف المलगوم: المذهب ضد الدولة
22	1 - رباعية الدعوة والامير والشيخ والأنصار
27	2 - الاخوان وابن سعود: الوهابية الدينية Vs الوهابية السياسية
49	الفصل الثاني: الحلم المغدور.. المحاولة الأولى
50	1- الجماعة السلفية المحتسبة.. تأسيس التمرد المسلح
62	2 - رسائل جهيمان.. يوتيبيا الامارة الوهابية
75	الفصل الثالث: التأسيس الثاني للوهابية الأولى
76	الصحة.. التأسيس الفكري للسلفية الجهادية
78	العامل الإخواني في الحراك الصحوي
83	الصحة الوهابية
93	الانقلاب والعقاب
105	الفصل الرابع: داعش.. دولة الميدان
106	1 - خلفية تاريخية
116	2 - داعش: مخاضات التشكل!
125	3- الجذور الوهابية لخطاب «داعش»
134	4 - التكفير.. العصبية والهوية
143	5 - استراتيجية التغيير: نكاية، وتوحش، وتمكين
173	الفصل الخامس: داعش.. جذور النشأة والمواجهة مع إخوة السلاح
174	1- السعودية: بين «القاعدة» و «داعش»
178	2. أبو مصعب الزرقاوي.. الأب الروحي لـ «داعش»
206	3- «القاعدة» و«داعش»: منازعة المشروعية والهوية

231	الفصل السادس: داعش والسعودية.. تجاذب التاريخ والجغرافيا
232	1- السعودية في استراتيجية «داعش»
237	2- داعش.. البيئة الحاضنة
243	3- رأي الناس
249	4- الصحافة السعودية.. «داعش» نبتة محلية
259	5- في التداعيات..
261	6- السعودية: 2003 - 2014 الخطر يتصاعد
269	خلاصات
275	ثبت المصادر
283	فهرس الموضوعات
300	الوثائق
	الملخص باللغة الإنجليزية

مقدمة

أثارت احتفالية التيار الوهابي في المملكة السعودية، وبدرجة أقل تيارات أخرى سنّية وإخوانية في الخليج على وجه الخصوص، بالاعلان عن سيطرة تنظيم «داعش» على محافظة الموصل العراقية في 10 حزيران (يونيو) 2014 حزمة أسئلة كبرى حول ما يمثّله التنظيم في الوعي الشعبي الوهابي، في الهوية الدينية، وفي التوقعات المعلنة والمضمرة لدى أتباع المذهب ولدى عموم السنّة.

في غمرة الصخب الداعشي الذي رافق الاجتياح لمناطق واسعة في العراق، شعر جمهور الناشطين وطلّاب الحرّية في المناطق السنّية في العراق وبما يحملونه من مطالب مشروعة اقتصادية واجتماعية وسياسية بالإحباط الشديد لأن ثمة «عدواناً» آخر وقع عليهم نتيجة اختطاف تنظيم «داعش» لنضالهم السلمي المدني. وساهمت قنوات فضائية خليجية في تعزيز المعادلة الميدانية على حساب الحراك الشعبي السلمي في المناطق السنّية. في النتائج، برز «داعش» بوصفه حبل نجاة ليس لسنّة العراق فحسب بل ولعموم السنّة في المنطقة، الأمر الذي فجّر هواجس أمنية وسياسية إقليمية ودولية..

وبدا أن «داعش» ليس ظاهرة فكرية أو سياسية - اجتماعية طارئة أو عابرة، ولا أفكاره صنعت في غير أرض، وإن الاكتشاف، بوقع الصاعقة، تمثّل في أن هذا التنظيم كان بمثابة السلالة النقيّة للجيل الوهابي المؤسس، وهنا تكمن خطورة ما يدبّر لمستقبل المملكة السعودية على وجه الخصوص والمنطقة عموماً.

في التدايعات، وخصوصاً بعد إعلان «داعش» عن الخلافة الاسلامية في 29 حزيران (يونيو) 2014 ، فإن المشروعية الدينية للدولة السعودية باتت في موضع خطر جدّي، إذ لم تعد الوكيل الحصري للعقيدة الوهابية. فإعلان الدولة الاسلامية يشي بنزع المشروعية وجدارة الاستمرار، وإنها، أي دولة «داعش»، أصبحت الوارث الشرعي للوهابية، الأمر الذي يعني أن

السعودية، دون بقية الدول، المستهدف الأول لمشروع دولة الخلافة بقيادة أبي بكر البغدادي، الذي حقق، بحسب متبنيات العقيدة الوهابية في ولي الأمر، العنصر المفقود في الأسرة المالكة في الجزيرة العربية، أي العنصر القرشي، وهو الذي يُنظر إليه بكونه شرطاً جوهرياً، من وجهة نظر تيولوجيين إسلاميين (إبي الفراء الحنبلي وابن خلدون وابن القيم وغيرهم) في الخلافة.

في لحظة ما، وفي محضلة أولية، أخرج «داعش» المستور والكامن والمحبوس داخل كثيرين ينتمون للتيار الديني الوهابي في المملكة السعودية. اكتشف هؤلاء في ضوء السردية الداعشية أنهم أعضاء غير رسميين في التنظيم، وربما رعايا في دولته أيضاً. عبّر كل منهم عن انتماؤه له على طريقته، وبأسلوبه الخاص، فمنهم من وصف سيطرة «داعش» على الموصل أنها «حركة تحرير» كما جاء في تغريدة للشيخ الصحوي سلمان بن فهد العودة، بالرغم من الخصومة المعلنة بينه وبين تنظيمات السلفية الجهادية (القاعدة وداعش حصرياً)، ومنهم من وصف مقاتلي «داعش» أنهم ثوار كما فعلت صحيفة (الجزيرة) التي تصدر من العاصمة السعودية، الرياض، بالرغم مما قيل عن تمايز بين «داعش» ومجموعات ثورية انتفضت على الحكم العراقي، فيما راح ناشطون من التيار الديني الوهابي يملأون فضاء (تويتر) بتغريدات تمجيدية صريحة تارة ومواربة أخرى لارتكابات مقاتلي «داعش» في العراق وإدراجها في سياق الثورة الشعبية، إلى جانب الطابع المذهبي/الطائفي المرافق لها وتصويرها على أنها منازل سنّة - شيعيّة..

وفي يوم الاعلان عن «الدولة الاسلامية» أو «الخلافة» وتويع أبي بكر البغدادي، إبراهيم بن عواد البدري خليفة على المسلمين، بادر بعض أتباع المذهب الوهابي في المملكة السعودية إلى مبايعته، على الأقل في العالم الافتراضي، وهنا يكمن السؤال المفتاحي لفهم علاقة «داعش» بالمملكة السعودية، وبأتباع المذهب الرسمي فيها.

عوامل النشأة

لا ريب أن نجاح التنظيم لعب دوراً محورياً في اختراق الوعي الشعبي الوهابي أولاً والاسلامي السنّي ثانياً، ولكن النجاح يأتي كنتيجة لتضافر عوامل تشكّل معقّدة أنتجت مثل هذا التنظيم، وتالياً وفّرت أسباب نجاحه. وعليه، فإن بناء صورة متكاملة عن التنظيم يتطلب عودة إلى جذور نشأة التنظيم وصولاً إلى هيئته الراهنة. وسوف نستعرض أهم العوامل على النحو التالي:

أولاً: الحملة الإيمانية التي بدأت في نهاية التسعينيات من القرن الماضي بقرار من الرئيس العراقي الأسبق صدام حسين. وتزوّدنا مقالة الكاتبة والاعلامية السورية ثناء الإمام من بغداد والذي نشر قبل شهر من إعلان الحرب الاميركية على العراق في آذار (مارس) 2003 بمعطيات على درجة كبيرة من الأهمية حول انعكاسات الحملة الإيمانية على الشارع العراقي. سلّطت الإمام الضوء على انتشار «ظاهريّ الدين والتسلّح بين المواطنين العراقيين...».

في الظاهرة الدينية، تتحدث الإمام عمّا يشبه الانقلاب في البنية السيكلوجية العراقية «فمن عرفوا بحب الحياة والكحول باتت غالبيتهم متدينة على ايقاع احباطات الفقر وريث الحصار». وفي هذا السياق، أصدرت القيادة العراقية أوامرها ببناء مئات المساجد في بغداد في السنوات العشر الأخيرة التي سبقت سقوط النظام، كما صدر قرار رسمي بمنع الكحول في المطاعم والفنادق، وحوّرب البغاء بصورة رسمية وبقسوة عام 2000، يضاف إلى ذلك انتشار ظاهرة الحجاب حتى في شوارع العاصمة. ولا بد من الحذر في التعامل مع هذا التصوير على اطلاقه، فالحياة التي تتحدث عنها الإمام تقتصر على البيئة الحاضنة للنظام في العاصمة العراقية وليس في عموم العراق بمجتمعه المحافظ.

تلفت «ثناء الإمام» إلى التجليات الدينية للحملة الإيمانية في الشارع العراقي «فالعراقيون مدفوعون باحباطات الحصار لجأوا إلى التدين فعلاً» وأن أكثر من 70 في المئة منهم باتوا مصليين وفقاً لاستطلاع أجرته صحيفة «النهار» البيروتية في الشارع، وشمل النخب السياسية والثقافية.

أما ظاهرة التسلّح، بحسب «الإمام»، فهي ليست وافدة، ولكن الحملة الأميركية على العراق «ساهمت أكثر في تسليح المواطنين سواء بقرار شخصي أم بتمويل رسمي». وتسجّل «الإمام» مشاهداتها في العاصمة وتقول: «وإذا تجوّلت في شوارع بغداد، تجد بين الفينة والأخرى رجلاً يحمل السلاح في يد وفي الأخرى لوازم بيته وكأن حمل السلاح ثقافة مسموح بها بل موضع ترحيب هنا». ونقلت عن مواطن عراقي يعمل حارساً قوله باللهجة العراقية «ماكو بيت عراقي ما في سلاح... الكل مسلح».

تضع «الإمام» ذلك في سياق سياسة العسكرية التي تبناها نظام صدام حسين في إطار بناء ما أسماه «جيش القدس»، إذ كان ينتمي سبعة ملايين مسلحاً لهذا الجيش الذي تأسس عقب انتفاضة الاقصى «ويضم عناصر بعثية ومقاودة ومستقلة والجميع مدربون على السلاح».

تخلص «الإمام» من مشاهداتها إلى نتيجة دقيقة وفي غاية الأهمية أن «المشهد كله في إطار الظاهرتين - التدين والتسلّح - يبدو مربعاً وخصوصاً في ضوء سيناريوات ما بعد الضربة والوضع الأمني الذي ستشهده البلاد»⁽¹⁾.

مفاعيل ظاهرتي التدين والتسلّح بعد سقوط النظام بدأت بوتيرة مجنونة، إذ أخذت شكلاً دموياً غير مسبوق، وخلقت بيئة مؤاتية لتحالفات مجموعات دينية ومسلّحة، وصار الانخراط في التنظيمات السياسية يتم عبر البوابة الدينية، والطائفية بوجه الخصوص.

(1) ثناء الإمام، العلمانية تنحسر في شوارع بغداد أمام مدّ «الحملة الإيمانية»، صحيفة (النهار) البيروتية بتاريخ 15 مارس 2003

ثانياً: التقاء مصالح فلول النظام العراقي السابق، والمشروع القاعدي العابر للحدود، والإحساس المستبد بالخسارة التاريخية للسلطة من قبل الأقلية السنيّة.

فالإحباط الشديد الذي أصاب سنّة العراق إزاء ما تعرّضوا له من انتكاسة تاريخية بعد سقوط النظام وتدايعاته اللاحقة دفع البعض منهم لناحية تبني خيارات راديكالية، إذ نجحت خطة الزرقاوي، جزئياً على الأقل، في إشعال نزاع طائفي سني شيعي وانعكاسه على أوضاع السنة في بعض المدن الكبرى والعاصمة على وجه التحديد. فقد هرب عدد كبير من العوائل السنيّة من العاصمة بعد انفجار العنف الطائفي. وبحسب برقية أميركية في أيلول (سبتمبر) 2007 فإن أكثر من نصف أحياء بغداد تسكنها الآن أغلبية شيعية واضحة، في وقت فشلت فيه الحكومة المركزية في اعتماد سياسة إدماج وطني شامل، وبذلك تمكّن داعش «من استغلال الحس المتنامي بالتغريب والاضطهاد بين صفوف السنة في العراق»⁽²⁾.

لا بد في السياق نفسه من الإشارة إلى الأثر التدميري لمشروع المحاصصة الطائفية الذي اقترحه الحاكم المدني الأميركي بول بريمر والذي أسس لتقسيم العراق إلى دويلات على أساس طائفي وقومي. وقد خضعت الطبقة السياسية الحاكمة تحت تأثير هذه «الوصفة» الكارثية على وحدة العراق، ومزّقت النسيج الاجتماعي، وقوّضت أسس الوحدة الوطنية، من خلال تكريس النزوع الطائفي التقسيمي، الذي فرضه النظام السابق ثم أضفى عليه الاحتلال الأميركي مشروعية من خلال اعتماده كنظام للحكم. والأخطر في ذلك، أنه دفع النخبة السياسية والعسكرية السنيّة التي كانت حاکمة قبل سقوط النظام في 9 إبريل 2003 إلى اعتناق خيارات راديكالية والاندماج في تنظيمات سلفية متطرّفة تكفيرية وطائفية.

(2) باتريك كوكبيرن، داعش.. عودة الجهاديين، دار الساقي بيروت 2014، ص 78

في النتائج، أصبح «داعش» يضم عناصر مسلحة في الجيش العراقي، سنية بدرجة أساسية، كانت تعمل تحت أوامر صدام حسين. يذكر من هؤلاء العقيد حجي بكر (وإسمه الحقيقي سمير الخليفاوي)، والعقيد أبو عبد الرحمن البيلوي (وإسمه الحقيقي عدنان اسماعيل نجم)، والعميد محمد الندي الجبوري (الملقب بالراعي)، والعميد ابراهيم الجنابي، والعقيد عدنان لطيف السويداوي (أبو مهند)، والعقيد فاضل عبد الله العفري (أبو مسلم)، والعقيد فاضل العيثاوي (أبو الياس)، والعقيد عاصي العبيدي والعقيد مازن نهر والمقدم نبيل عريبي المعيني (أبو عفيف)، والمقدم محمد محمود الحياي (أبو بلال)، والمقدم ميسر علي موسى عبد الله الجبوري «أبو ماري القحطاني» الذي صار شرعي عام جبهة النصرة⁽³⁾.

وقد عاد هؤلاء وعشرات الآلاف من الضباط والجنود السنة بأسلحتهم إلى بيوتهم بلا مصير ولا أفق في الحياة نتيجة قانون «اجتثاث البعث»، والتقى معهم ساخطون من الإسلاميين السنة العراقيين وكوادر من تنظيم «القاعدة»، لينتهي بهم المطاف إلى تشكيل قوة مسلحة وازنة، قبل أن يشكّلوا القيادة العسكرية لتنظيم «داعش» في مرحلة لاحقة. وينقل أحد أبناء الضباط البعثيين قصة انتقال والده الى «داعش» بما نصّه:

«والدي هو برتبة لواء ركن قوات خاصة وكان يعمل مدرباً في الكلية العسكرية في زمن النظام السابق، انتمى إلى الدولة الإسلامية منذ 7 سنوات وهو من مدينة الموصل، لم يكن متديناً كباقي زملائه الضباط الذين يدرّبون معه تنظيم الدولة، لكن عندما سقط نظام صدام تفرّغ والدي لقراءة الكتب الدينية والذهاب إلى المسجد وتأثرنا جميعاً بممارسات الأجهزة الأمنية الطائفية ليتغير منهجه من قومي وعلماني إلى سلفي

(3) الدكتور هيثم مناع، خلافة داعش..من هجرات الوهم إلى بحيرات الدم، المعهد الاسكندنافي لحقوق الانسان، آب - أغسطس 2014، ص 11

وأصولي. وكان قد سبقه بعض أصدقائه الضباط بالانضمام للتنظيم مما شجعه على ذلك»⁽⁴⁾.

إن ما تلفت إليه هذه الرواية، أن كثيراً من ضباط وعناصر النظام السابق تحولوا إلى التدين باتجاهه السلفي، كونهم وجدوا فيه ملاذاً آمناً ومخرجاً لأزمة الهوية، والدور، والمصير الذي عانوا منه بعد سقوط النظام.

وبرغم الحديث عن احتمالية الصدام بين أنصار النظام السابق والاسلاميين المحليين والاجانب، إلا أن «داعش» نجح، حتى الآن على الأقل، في أن يطمس الخلفيات الفكرية لقاداته الكبار، وأن يتظاهر بعضهم بالتحول نحو الاسلام السلفي لتحقيق التوافق التنظيمي والانسجام الفكري داخل التنظيم. يعيد هذا الإجراء الماكر إلى الذاكرة الخلاف الذي نشب حول مسيحية قائد حزب البعث، ميشيل عفلق، إذ جرت معالجة الخلاف بدعوى تحويله إلى الاسلام، وكتابتة عن الاسلام وعروبة الرسول محمد صلى الله عليه وآله بطريقة تمجيدية وإن لم ترض الإسلاميين الأميين.. وحديث عفلق عن البعث السنّي بطريقة مواربة.

ثالثاً: فشل الدول السنيّة وكذلك جماعات الإسلام السياسي في المجال السنّي بصورة عامة، وفي المجال السلفي الوهابي بوجه خاص في صنع «نموذج» يعوّض الخسارة المعنوية التي تكبدها على مدى عقود، وينسحب الفشل على تنظيم «القاعدة» في تحقيق اختراق من أي نوع في أي من الدول التي تواجد فيها.

رابعاً: الخطاب الجهادي الوهابي الجاذب لجماعات عديدة كانت تبحث عن خطاب تعويضي يركز على رؤية دينية مستمدة من مرجعية محدّدة

(4) تقرير وائل عصام، عمر الجبوري، ضباط في جيش صدام درّبوا «وحدات خاصة» لتنظيم «الدولة الإسلامية»، جريدة «القدس العربي»، 23 نوفمبر 2014، انظر الرابط:

<http://www.alquds.co.uk/?p=255086>

ينتج فيها هويته، ورؤيته، ودوره. إذ ليس هناك من يشكك في إخلاص «داعش» للعقيدة الوهابية الأصلية وتجسيده لتعاليمها.. مع اندلاع الخلاف بين «القاعدة» و«داعش» وخروجه للعلن، تكشفت حقيقة الجذور الفكرية لكل منهما، وتبين أن «داعش» هو تنظيم سلفي وهابي خالص، على العكس من «القاعدة» التي تضم بين صفوفها عناصر من تلاوين مذهبية سنّة متنوعة.

خامساً: الضرب في الخواصر الضعيفة والرخوة، ففي العراق لعب على الورقة الطائفية، بوصفها ورقة رابحة في مشرق عربي منقسم على ذاته طائفيًا وفي ظل انهيار أسس الدولة الوطنية. عليه، اختار «داعش» مقاتلة الشيعة وليس القوات الأميركية، ما شجّع حكومات خليجية وكثيراً من المشايخ الوهابيين على دعمه وتمويله. وفي سوريا، تمّدّد «داعش» في الأطراف (الرقة، دير الزور على وجه التحديد) ودخل في معارك مع الجماعات المسلّحة المنافسة له مثل (جبهة النصرة، والجبهة الإسلامية، والجيش الحر)، وكان يرى أن حماية ظهره، وتمهيد الأرض، وترسيخ الأقدام مقدّمات واجبة قبل الدخول في مواجهة مع النظام السوري. وبخلاف ما كان يتوقّع كثيرون، فإن الاستراتيجية العسكرية التي اعتمدها «داعش» في محاربة الجماعات المسلّحة لم تفقده شعبيته بل ضاعفت من أعداد أنصاره ومقاتليه.

سادساً: امتلاك التنظيم لإمكانات ضخمة سواء عبر التبرعات التي حصل عليها رسمية أو شعبية من بلدان خليجية محدّدة (السعودية وقطر والكويت والامارات) أو عبر السيطرة على مناطق استراتيجية تضم حقول نفط وغاز، أو حتى وضع اليد على أموال الدولة كما حصل في الموصل وكذلك فرض الأتاوات بعناوين شتى (الزكاة، الجزية..الخ)، إلى جانب سيطرته على مخازن سلاح وعتاد بكميات كبيرة ومتطوّرة في كل من العراق وسوريا.

سابعاً: استغلال الانقسامات الداخلية والتناقضات الإقليمية والدولية. إن وجود انقسامات سياسية ودينية حادة في العراق يمدّ في عمر «داعش»، ويعرّز من شعبيته، وإن صراعاً إقليمياً على مناطق النفوذ يوفر فرصاً ذهبية للتنظيم لتوظيفه لخدمة أهدافها عبر الانحياز لهذا الطرف وذاك، أو على الأقل تقديم نفسه كقوة مرجّحة لأهداف هذه الدولة أو تلك. ولا ريب، أن النزاعات الإقليمية والدولية جرى استغلالها من قبل الجماعات المسلحة عموماً ومن «داعش» على وجه الخصوص وسمح له بالتمدد في ظل وجود أطراف مستعدة للدعم وتوفير الغطاء والصمت إزاء ارتكابات التنظيم. ولتخيل المرء لو توافقت الدول الإقليمية وبدعم دولي جماعي على إغلاق الحدود ومنافذ العبور والتسلل، وطرق الإمداد حول المناطق التي يسيطر عليها «داعش» ماذا ستكون النتيجة؟

ثامناً: فشل أم تفشيل تجربة «الاعتدال السني» كان مسؤولاً عن ولادة تيارات راديكالية في العالم الاسلامي. كان سقوط تجربة حكم «الاخوان المسلمين» في مصر بفعل ارتكابات الجماعة القاتلة يضاف اليها مخطط إعادة انتاج النظام السابق بأموال سعودية إماراتية وتواطؤ من «العسكر» أسقط الامكانية النظرية لولادة بديل يمثّل «الاعتدال السني»، ما دفع كثيراً من التكفيريين للانضواء في مشاريع راديكالية وعنيفة. في واقع الأمر، كان يمكن استيعاب خطر التكفيريين من التنظيمات السلفية سواء «القاعدة» أو «داعش» واستقطاب الحماس الشعبي السني عن طريق تطوير تجربة حكم دينية ديمقراطية في المجال السني. بكلمة مكثفة، أفضى انهيار تجربة الاخوان المسلمين إلى صعود السلفية المتطرّفة، بل وعرّز من جنوح جماعة الاخوان المسلمين نحو التسلّف والتطرف والعنف، في سياق شيطنة واسعة النطاق لكل ما هو إسلام سياسي سني.

لا بد من إلفات الانتباه إلى نقطة على درجة كبيرة من الأهمية وهي: أن صعود السلفية الجهادية في شكلها الدموي ممثلاً في «داعش» لا يعبر

عن نجاح، بل قد ينطوي على إحباط واسع يترجم نفسه في شكل من أشكال الانزياح لكل ما هو خروج عن المألوف. نتائج الانتخابات التشريعية في تونس في أكتوبر 2014 وصعود التيار العلماني على حساب الاسلامي تشي بتحول تدريجي في المزاج الشعبي. فقد بلغ اليأس وانعدام الثقة والخوف من أداء الاسلاميين إلى حد القبول بعودة «الفلول»، أي رجال النظام السابق، وهذا ما حصل في مصر ولاحقاً في تونس، وجرت محاولة مماثلة في ليبيا.

تاسعاً: العامل المذهبي. فمن زاوية مذهبية صرفة تلامس عصباً رئيساً في الوجدان الشعبي السني، أن المسلم السني شهد هزيمة الدول السنية على مدى العقود الثلاثة الأخيرة، فيما كان نظيره الشيعي يحقق الانجاز تلو الآخر على مستوى الدولة (سقوط الشاه وقيام جمهورية إسلامية) بأمواجهما الثورية الاقليمية والدولية، وعلى مستوى الحركات (حزب الله) وكان انتصار تموز (يوليو) 2006 على الكيان الاسرائيلي وجيشه الذي لا يقهر، فجر أزمة كامنة، كان المجتمع الوهابي أول من عبر عنها من خلال فتاوى ومقالات ومواقف ذات طبيعة طائفية. في العمق، كان شديد الاعجاب بالصمود العسكري الذي أظهره حزب الله في المعركة، ولكن الخلفية المذهبية التي تربى عليها أفراد المجتمع جعلتهم يتصرفون بطريقة مناقضة.

في حقيقة الأمر، أن حلم الفرد الوهابي في أن يكون الانتصار سنياً وليس شيعياً هو ما كان يكمن وراء تلك المواقف الراديكالية التي تبناها المشايخ والأتباع، لأن الانتصار زاد من شعبية حزب الله وأمينه العام حسن نصر الله على مستوى العالم العربي والاسلامي. ولذلك، كانت الأزمة السورية بمثابة المكافأة التي انتظرها المجتمع الوهابي طويلاً كي يسحب الرصيد الشعبي من حزب الله..

كان المأمول من «الربيع العربي» أن يملأ الفراغ في الوجدان السني، عبر قيام حكومات شعبية وذات طابع إسلامي/سني، وكان ينظر كثير من المسلمين

السنة والغرب عموماً إلى أن تصبح جماعة «الاخوان المسلمين» بديلاً سنياً مرجحاً لملء الفراغ ذاك، ولكن الأخطاء الفادحة التي وقعت فيها الجماعة ومؤامرات النظام السعودي وأنظمة عربية وخليجية على اسقاط الرئيس الاخواني محمد مرسي وباقي التجارب الاخوانية أوجد فراغاً جديداً في المجال السني، فتحوّل «داعش» إلى ضرورة سنية، ونجح هو وبسرعة فائقة في ملء الفراغ. ولا غرابة في أن يحظى «داعش» بقبول في المجال السني رغم ارتكابه الدموية، فالترجمات السابقة أوصلت إلى خيارات هلاكية.

عاشراً: انتكاسة خطاب العولمة كأحد تظاهرات الهيمنة الأميركية على العالم وعلى منطقة الشرق الأوسط بوجه الخصوص، بوصفها مركزاً حيويّاً لمصالح الغرب، وتداعيات الانتكاسة على مسائل الهوية، والنزوع المتعاضم نحو الاستقلال، ومقاومة مشاريع الاغتراب الثقافي، والتصدي لكل أشكال الهيمنة السياسية والعسكرية والاقتصادية..

وإذا كانت ولادة «القاعدة» جاءت كرد فعل على الوجود العسكري للولايات المتحدة في الجزيرة العربية والخليج عقب الاحتلال العراقي للكويت في أغسطس 1990 وماتلاه من اتفاقيات دفاع استراتيجي ذات طابع ثنائي بين الولايات المتحدة ودول الخليج وشملت قواعد عسكرية أميركية دائمة على أراضيها، فإن «داعش» نشأ كرد فعل على الاحتلال العسكري الأميركي للعراق في إبريل 2003.

قد لا تكون هذه التنظيمات معنية بتحقيق الاستقلال الوطني بالطريقة التي تفكر فيها وتعمل عليها حركات التحرر عبر العالم، ولكن ثمة رسالة واضحة تبعث بها ردود فعل «القاعدة» و«داعش» بأن الدولة القائمة في المشرق العربي فشلت في تحقيق مبدأ استقلال الدولة، والدفاع عن حقوق الشعوب، وعليه قدّمت مثل هذه التنظيمات نفسها كبدايل لملء الفراغ الخطير في الدول، ورسمت لنفسها مساراً محدداً لجهة بناء كيانات بديلة (إمارات دينية في مرحلة أولية ودولة - خلافة في مرحلة نهائية).

لقد أمدّت العولمة التنظيمات الجهادية، وتنظيمات أخرى عارضت مشاريع الهيمنة الغربية في العالم وناضلت من أجل قضايا التحرّر الوطني، بكل أدوات التعبئة والتجنيد والحشد لجهة الانقضاء على خطاب العولمة ومشروعها. ولذلك، سعت التنظيمات الى تظهير هويتها عبر أدوات العولمة الاتصالية (أدوات التواصل الاجتماعي بدرجة أساسية)، كما نجحت في «استنقاذ» أفراد خضعوا تحت تأثير خطاب العولمة ثم جرى «تجنيدهم في مشروع آخر لتجربة دولة الخلافة في سياق الحنين الماضي (نوستالجيا)».

في النتائج، تحوّل «داعش» إلى «المنقذ» و«المخلص»:
أولاً: لأولئك الذين ناضلوا من داخل المجال السني لإعادة إحياء الهوية الممزقة نتيجة تشابك عوامل سياسية وثقافية وعولمية وإمبريالية، واستعادة المبادرة التي سرقّت من الشعوب السنيّة من قبل دول متماهية مع المشروع الغربي، الذي أدى إلى هدم سقف التوقعات المأمولة لدى هذه الشعوب حين جاءت الفرصة المناسبة، أعني الربيع العربي..

ثانياً: لأولئك الذين عملوا داخل المجال الوهابي من أجل ترسيخ المفاهيم الدينية وفق التفسير الوهابي الذي قامت عليه الدولة السعودية، فكان «داعش» بمثابة الملاذ الآمن لتوقعاتهم المحبطة، وصانع الأحلام الوهابية في المنطقة، وفي لحظة ما بالغة الحساسية تحوّل إلى «رهان» يمكن التعويل عليه، وازداد الرهان رسوخاً لدى المقاتلين السعوديين في الخارج بعد صدور الأمر الملكي في 3 شباط (فبراير) 2014 بتجريمهم، إذ بات «داعش» مركز الاستقطاب ومأوى المنيبوذين من التنظيمات المسلّحة في سوريا المدعومة من السعودية بعد أن تخلّت الأخيرة عنها، ثم تحوّل «داعش» إلى خيط الأمل الذي يعقده التيار الوهابي العام عليه، لتحقيق الوعد المؤجّل.

سوف يظهر من خلال التأمل في الرؤى الدينية وتجسيدياتها الميدانية لدى «داعش»، أنه يمثّل الوراثة التاريخي والشرعي لجيل الجهاديين الذي تربى على تعاليم محمد بن عبد الوهاب، والمتناسلين منه مثل جيش «إخوان

من طاع الله» الذي أنشأه عبد العزيز بن سعود ثم قضى عليه بعد تحقيق حلمه بإقامة دولة باسمه.

وفي محاولة لإعادة جمع مكوّنات الرواية التاريخية التي كتبها مؤسس الوهابية والجيل المؤسس وفهم العلاقة الإيديولوجية بغاياتها السياسية التي تربط تنظيم «داعش» بالتجربة الوهابية، سوف نحاول قراءة أهم المفصل الرئيسية التي أرسّت علاقة متينة بين عناصر جماعة مغلقة تعتمد بأيدولوجية الفتوح.

الفصل الأول

التحالف المملوكي: المذهب ضد الدولة

رباعية الدعوة والامير والشيخ والأنصار

التحالف التاريخي بين الامير محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب سنة 1744 سوف يبقى ناقصاً ما لم يدخل عنصران آخران: أولاً: أيديولوجيا عليا عابرة للانتماءات الفرعية وقادرة على صنع هوية جامعة، وثانياً: وجود كتلة إجتماعية متراصة (الأنصار) أو الجند، المؤمن بالتعاليم الوهابية والقادر على تسهيلها في منجزات ميدانية..

نجح ابن عبد الوهاب في إنجاز المتطلب الأول بصوغ أيديولوجية دينية تقوم على رؤية كونية (تكفير) المجتمعات المجاورة والتكتيك (الهجرة) والاستراتيجية (الجهاد). وفي ضوء هذا المشروع العابر للقبائل والمناطق جرى استقطاب الانصار المؤمنين بتعاليمه والمستعدين للقتال تحت رايته، وبذلك تحقق العنصر الثاني.

مضت التجربة الأولى بسلام، بفعل الانسجام شبه التام بين الأمير والشيخ والقاعدة الشعبية، ولم يظهر ما يفيد بحصول تناقض أو تصادم بين الديني والسياسي، فالجميع كان يعمل على ضوء رؤية كونية واضحة، ووفق استراتيجية موحدة.

بعد موت ابن عبد الوهاب (الشيخ) ومحمد بن سعود (الأمير) واجهت الدولة السعودية إشكالية خطيرة ترتبط بدرجة أساسية بالخطاب والبنية الداخلية، أي بتلك المتصلة بدوام الانسجام بين الشيخ والأمير والأنصار والعقيدة.

ونلاحظ في المراسلات بين شيوخ الوهابية والأمراء السعوديين بعد سقوط الدولة السعودية الأولى أن العلاقة بين الشيخ والأمير وصلت إلى نقطة التصادم، لأن الأمير أرادها سلطة وملكاً دنيوياً بينما الشيخ أرادها خلافة «على منهاج النبوة» بحسب الشيخ حسن، حفيد الشيخ ابن عبد الوهاب، وهو بالمناسبة شعار دولة «داعش». ولذلك، جاءت محاولات ترميم العلاقة

من جانب الأمير متأخرة فسقطت التجربة على يد العثمانيين الذين أمروا محمد علي باشا أن يرسل جيشاً بقيادة نجله ابراهيم باشا لاجراج جيش الوهابيين من الحجاز وصولاً إلى الدرعية التي دمرها بعد ذلك.

سوف نلاحظ في مراحل لاحقة التحوّل الدراماتيكي في الموقف السياسي والديني في نجد كرد فعل على ما أصاب سكّان نجد على أيدي القوات العثمانية/المصرية. أصبح تكفير العثمانيين شائعاً وسط المشايخ، فيما تحوّلت الوهابية إلى مأوى لمن تعرّضوا للاضطهاد خلال التجربة العثمانية/المصرية في نجد. لا يعفي ذلك الوهابيين من ارتكاباتهم قبل هجوم ابراهيم باشا خصوصاً ما فعلوه في العراق والحجاز والاعتداء على الحرمين ونهب الحجرة النبوية وما فيها من ذخائر وجواهر ومنع الحجاج المصريين والشاميين بدعوى أنهم مشركون «فلا يقربوا المسجد بعد عامهم هذا» أي عام 1223هـ⁽¹⁾.

ألقت التدابير القمعية التي اتبعتها الحاكم المصري ضد أمراء ومشايخ الدولة السعودية الوهابية بظلالها على مواقفهم. وقد هرب أمراء آل سعود ومشايخ الوهابية وكثير من سكان الدرعية عندما ملكها ابراهيم باشا، ولم يعودوا إليها إلا بعد أن أقفل الأخير عائداً إلى مصر. وأراد الأمير مشاري بن سعود استعادة الحكم السعودي، فجهّز محمد علي باشا جيشاً بقيادة حسين بك، فقبضوا على مشاري وأرسلوه إلى مصر فمات في الطريق، وتحصّن الباقون في قلعة الرياض، ف ضرب حسين بك طوقاً حولها وحاصرها لثلاثة أيام، فطلبوا الأمان فاستجاب لهم، وخرجوا ولكن تركي بن سعود هرب من القلعة ليلاً فوضع القيود في أيدي من بقي منهم وأرسلهم إلى مصر.

(1) ابن سند البصري، مطالع السعود بأخبار الوالي داود، اختصار أمين الحلواني، نسخة مقتطعة من كتابه خزانة التواريخ النجدية، جمع وترتيب الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام، ص 295 - 296

ولكن تركي الذي بقي هارباً في صحاري الجزيرة العربية إنتهز فرصة انتقال القوات العثمانية إلى الخليج، وضعف المواقع المصرية في نجد فعاد وراح يدعو أنصاره إلى طاعته وأقام حكم آل سعود مجدداً في هذه المنطقة. من جهة أخرى، شهدت نجد أوضاعاً اقتصادية واجتماعية بالغة الصعوبة، ويذكر في أحداث سنة 1871/1283: «كان الناس يأكلون جيف الحمير ويحرقون جلود الأباعر (جمع بعير)، ويدقونها، بل كانوا يدقون العظام ويأكلون مسحوقها»⁽²⁾.

وبدت الحاجة أشد إلحاحاً للخروج من الظروف الاقتصادية والاجتماعية الصعبة التي شهدتها نجد طيلة سنوات ما بعد سقوط الدولة السعودية الأولى. وتنبّه عبد العزيز بن سعود إلى مكمن الفشل في تجربة آبائه وأجداده، فأنشأ جيشاً عقائدياً يعتصم حرفياً بكل التعاليم الوهابية الصارمة التي وردت في كتب ابن عبد الوهاب ورسائله وجعل من هذا الجيش أداة فتح، أو بالأحرى رافعة لمشروع الدولة السعودية، وللخروج من المصاعب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي شهدتها نجد.

لجأ عبد العزيز إلى إعادة انتاج التحالف التاريخي بين أحد أجداده محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب سنة 1744، فدخل في تحالف مع الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ، وتزوج من إحدى بناته (والدة الملك فيصل وجدة وزير الخارجية سعود الفيصل)، وقد وصف خير الدين الزركلي آل الشيخ أنه «مرجع النجديين في أمور دينهم، وشارك في سياستهم وحروبهم»⁽³⁾.

(2) أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث وملحقاته، ص 85

(3) خير الدين الزركلي، الاعلام قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، الجزء الرابع، ص 277

على المستوى الديني، خاض حراس المذهب الوهابي تحديات متعاقبة لجهة إبقاء الدولة السعودية داخل نطاق تأثير التعاليم الوهابية التي وضعها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رسائله ومصنفاته. وحين خرجت الدولة السعودية عن تعاليم ابن عبد الوهاب في مرات عديدة، كانت تجري محاولات فردية أحياناً وجماعية أحياناً أخرى لجهة إعادة وهبة الدولة، ولكن تلك المحاولات باءت بالفشل، ولاتزال المحاولات جارية، وليس مشروع «داعش» سوى واحدة من تلك المحاولات الجماعية..

على المستوى الفردي، قام الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، حفيد محمد بن عبد الوهاب، وكان بمثابة المفتي العام في الدولة السعودية الثانية، بمحاولة جدية لإقناع أمراء آل سعود بالعودة إلى المنابع الأصلية للوهابية. وبعث برسائل إلى الأمير فيصل بن تركي آل سعود (1788 - 1865) يذكره بالأساس الديني الذي قامت عليه الدولة السعودية: «وأهل الاسلام ما صالوا على من عاداهم، الا بسيف النبوة، وسلطانها، وخصوصاً دولتكم، فإنها ما قامت الا بهذا الدين...»⁽⁴⁾.

كما حذر علماء المذهب الوهابي أمراء الدولة السعودية الثانية من العواقب الوخيمة التي آلت إليها أمور الدولة السعودية الأولى، حين غير الأمير سعود بن عبد العزيز بن محمد طريقة والده (وبغاياها ملكاً) بحسب تعبير الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، أي حين (طغت أمور الدنيا على أمر الدين)، حسب قوله⁽⁵⁾. أراد الشيخ عبد الرحمن تأكيد دور الدين في بقاء واستقرار وقوة الدولة ووحدتها وتمركزها النجدي، ولذلك طالبه بشدة أن يجعل الحكم أمر دين⁽⁶⁾.

(4) الدرر السنية في الاجوبة النجدية، جمع عبد الرحمن بن محمد النجدي، الجزء 14 ص 70

(5) المصدر نفسه، ج 14 ص 123

(6) المصدر نفسه، ج 14 ص 124

أَلَحَّ الشيخ عبد الرحمن في الطلب من الأمير فيصل بن تركي لأن يعود إلى التعاليم الوهابية الأولى، وأن يحيل الدولة إلى خلافة دينية (جدد هذا الدين الذي اخلوق، لما اقدرك الله على ذلك، والتمس من أهل الخير عدداً يدعون إلى هذا الدين ويذكرونه الناس)⁽⁷⁾.

وتكشف رسائل المشايخ في سنوات لاحقة عن إحباط شديد إزاء جنوح الدولة السعودية بعيداً عن المبادئ الوهابية، إذ اتسعت هوة الخلاف بين الطرفين. وفيما كان الحكام السعوديون يصرون على بقاء مصدر المشروع الدينية، أي الوهابية، فاعلاً في البيئة الشعبية الحاضرة لحكمهم، أي نجد، فإنهم في المقابل واجهوا تحديات جمّة تفرضها متطلبات التحديث، بدءاً من استيعاب منتجات التكنولوجيا داخل الجهاز البيروقراطي، وإرساء بنية تحتية شاملة ومعقدة (الطرق المعبّدة، المطارات، الموانئ، أنظمة الاتصالات السلكية واللاسلكية، شبكات الصرف الصحي، المدارس والجامعات الحديثة.. الخ) وصولاً إلى استحداث مؤسسات مدنية واستعارة أنظمة وتشريعات ليست مستمدة مباشرة من الكتاب والسنة، الأمر الذي فتح باباً من الخلاف لم يغلق حتى الآن. إذ اعتبره التيار الوهابي تجاوزاً خطيراً على خط دفاعه الأول واختراقاً لمجاله السيادي، حيث التشريع يمثل امتيازاً خاصاً للمؤسسة الدينية الوهابية.

أما المحاولات الجماعية لناحية إعادة وهبة الدولة السعودية، فيرد ذكر تجربة «الاخوان»، الجيش العقائدي لابن سعود والذي برز في بدايات العقد الثاني من القرن العشرين، ونجح في توظيفه لجهة إقامة ما يعتقد «ملك الآباء والأجداد». وبعد مرور نحو عقدين على الغزوات المتعاقبة في الجزيرة العربية وجد ابن سعود نفسه في مواجهة «إخوان من أطاع الله» الذين تمسكوا بمبادئ الوهابية الأولى والقائمة على تصوّر كوني صارم بأركانه الثلاثة: تكفير المجتمعات كافة، والهجرة منها، وإعلان الجهاد عليها. لم يقم

(7) الدرر السنية في الاجوبة التنجية، جمع عبد الرحمن بن محمد التجدي ج 14 ص 89

عبد العزيز بإحداث أدنى تغيير في تصوّر المقاتلين الذي فتحوا له البلدان، وإنما أوقف مفاعيله مرغماً.

يلزم الإشارة إلى أن عبد العزيز نفسه كان مكفّراًتياً من الطراز الأول، وقد عبّر عن ذلك للنقيب الانجليزي شكسبير (الذي شارك معه في المعارك كمستشار وقائد عسكري وقتل في معركة جراب سنة 1915 بين قوات ابن سعود وآل الرشيد) وقال له: «إن الكافر في نظره أفضل من التركي»⁽⁸⁾. كما صرح بذلك للمؤرخ اللبناني أمين الريحاني في سؤاله عن مقاتلة المشركين فنفى ومثّل بموقفه من شيعة الأحساء والقطيف⁽⁹⁾. اختلف عبد العزيز مع «الاخوان» في إبقاء الصلاحية العملائية للتصوّر العقدي مفتوحاً، وقد أخذوا عليه أنه «عطل فريضة الجهاد» إلى جانب إدخاله البدع «الاسلاكي والتلغراف» إلى بلاد الإسلام.

الاخوان وابن سعود: الوهابية الدينية Vs الوهابية السياسية

حسّم الجدول في مرحلة مبكرة حول هوية الجهة المسؤولة عن نشأة الجيش العقائدي، أي الإخوان، فقد صنع عبد العزيز عفريتاً يخيف به خصومه ويفتح به البلدان، فحقنه بحزمة التعاليم الوهابية الأصلية وذات الطبيعة القتالية. فكان جيش «الإخوان» يتصرف على أساس التفويض الملقطوع الذي منحه إياه ابن سعود مشفوعاً بخطاب ديني رسولي صاغه مؤسس المذهب، أي الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

يصف أمين الريحاني «الإخوان» بما نصّه:

«هم الفئة المحاربة، الفئة المتعصبة، الفئة المتدبنة - أي المتمذهبة - جديداً في الوهابية. الإخوان هم جنود عبد العزيز بن سعود الذين كانوا بالأمس

(8) انظر سانت جون فيلبي، بعثة إلى نجد 1917-1918، ترجمة وتعليق عبد الله الصالح العيثمين،

ص 23

(9) انظر أمين الريحاني، ملوك العرب، ص 584

من العرب الرحل، من البدو الجاهلين...وهم في غلوهم يعتقدون أن من كان خارجاً عن مذهبهم ليس بمسلم»⁽¹⁰⁾.

ولذلك، فإن الهجرة التي نشأ وتربى فيها الاخوان ليست مجرد انتقال من البدوة إلى التحضر أو حضرة البدوة، وإنما هي مختلفة عن ذلك كلياً، فلها بعد ديني وفق تعريف محمد بن عبد الوهاب نفسه لمفهوم الهجرة بأنها انتقال من أرض الكفر إلى أرض الإسلام.

ونجح عبد العزيز في تحويل الهجرة إلى مراكز تأهيل قتالية، أو معسكرات تدريب حيث أذكى ابن سعود «الروح القتالية عن عمد في الهجرة، إضافة إلى أن التلقين الديني ركز بدوره على مهمة مقاتلة الكفار..» ولم يقصد بالكفار شعوباً أخرى بل هم سكان شبه الجزيرة العربية «فإن الكفار الذي شجع ابن سعود الاخوان على قتالهم يمكن أن يكونوا هم المسلمين غير الوهابيين في كل من الحجاز وعسير»⁽¹¹⁾.

لم تكن حركة الاخوان نبتة خارجية ولا صناعة أجنبية بل كانت التجسيد المادي لمشروع ابن سعود السياسي وتعاليم محمد بن عبد الوهاب الدينية. فكان إنشاء «الاخوان»: «يرتكز، في جوهره، على مطامحه السياسية - العسكرية في بقية شبه الجزيرة»، وظلّ يشحن في «الاخوان» تلك العقيدة الوهابية الصارمة التي تضمن تحقيق اهدافه..

مكتب السجلات العامة البريطاني يحتفظ بتقرير كتبه هـ ديكسون في 2 سبتمبر 1929 عندما كان مندوباً سياسياً في الكويت جاء فيه:

الاخوان - «منظمة» تأسست [...] على يدي ابن سعود لتخوض له معاركه وتنتصر فيها باسم الدين. والاخوان بحكم أنهم كانوا من البدو لا يمكن

(10) أمين الريحاني، المصدر السابق، ص 565

(11) جون س. حبيب، المصدر، ص 52، 53

الاعتماد عليهم مطلقاً، ونظراً لأنهم كانوا إخواناً وتستعر داخلهم جذوة «الدين» فقد أصبحوا لا يقهرون. ويمكن تشبيههم بمدركات كرومويل أو قوات العاصفة الألمانية⁽¹²⁾. وبخلاف ما يروج له مشايخ ابن سعود، فإن الاخوان بكونهم أتباعاً للمذهب الحنبلي في ضوء تنقية محمد ابن عد الوهاب لهذا المذهب وتفسيره، لم يدخلوا ممارسات دينية جديدة ولا طقوساً من خارج المعتقد الوهابي..

أسبغت العقيدة الوهابية مشروعية على الروح القتالية لدى أبناء الصحراء الذين لم تتح لهم فرصة تلقي العلم من مصادر أخرى خارجية أو الاحتكاك بمجتمعات أخرى، فكان يرى «الاخوان» أن قتل من يرفض الدخول في الاسلام حين تتاح له الفرصة أنهم «أدوا خدمة للإسلام، وأنهم يضعون لبنة أساسية على طريقهم الخاص إلى الجنة، حتى وإن كانت هذه اللبنة هي في واقع أمرها، عظام ضحاياهم»⁽¹³⁾. ومن المنطقي أن تفرز التنشئة العقيدية الصارمة التي تلقوها على يد أشخاص لديهم معرفة دينية أفضل، تلك النزعة المتشددة التي تترجمها رغبة جامحة نحو قتل الخصوم والاعتداء على الممتلكات ونهبها وهدم البيوت باسم الامتثال الأمين للتعليم الديني وانتظار المكافأة الأخروية الأجل.

وكنتيجة، فقد أوجد عبد العزيز جيشاً عقائدياً تشرب التعاليم الوهابية الأصلية كما بشر بها محمد بن عبد الوهاب لناحية تحقيق مشروع سياسي، أي إقامة دولة باسمه. بكلمات أخرى، إن السياسي هو من أوجد الديني لتحقيق غايات سياسية، ولكن الديني لم يفهمه على هذا النحو، فبقي متمسكاً بالتعاليم التي تربي عليها ومضى في طريق تجسيدها.. فكان من الطبيعي ان يلتحم المشروعان: الديني والسياسي:

(12) جون س. حبيب، المصدر، ص 58

(13) المصدر نفسه، ص 79

- الديني يطالب بمواصلة فريضة الجهاد والسياسي يعطله بعد أن حقق هدفه منه.
- الديني يكفر المجتمعات والسياسي يرى غير ذلك بعد أن حقق هدفه من التكفير.
- الديني يطالب بالالتزام الحرفي بكل التعاليم الوهابية الأصلية جميعاً بما فيها البدع المستحدثة والسياسي يرى غير ذلك..

وسوف يظهر التناقض بين الديني والسياسي باستعانة عبد العزيز بالشيخ الذي أريد منه وظيفة أخرى، أي أن يصبح وسيطاً بين الديني والسياسي، فيعيد شرح التعاليم الوهابية وفق رغبة السياسي، وليس كما بشر بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب.. ولذلك بدت حجج الديني أقوى من كليهما.. وهذا ما سوف يظهر في كل التجارب اللاحقة (جهيمان، الصحو، القاعدة، داعش).

المأزق الذي عانى منه الأمير يكمن في الافتراق بين وعين، ووعي الذين تشبّعوا العقيدة الوهابية الأصلية وعملوا على مطابقة وعيهم وإيمانهم على الأرض وبصورة حرفية، وآخر وعي مفصوم، أفاد من الوهابية لتحقيق مشروع سياسي، دون الإيمان بها على وجه اليقين، وإن كان لا يزال يستخدمها للغايات السياسية نفسها، ولكن ليس من دون ثمن، وهذا ما واجهه ابن سعود فالإخوان «أخذوا على عاتقهم فرض الشريعة بالقوة، بل إنهم في بعض الأحيان كانوا يغزون «الكفار» باسم ابن سعود دون أن يأخذوا منه إذناً بذلك»⁽¹⁴⁾.

لا ريب أن «الإخوان» كانوا يمارسون ما يعتقدونه صحيحاً وواجباً دينياً، وأن ابن سعود استنفذ أغراضه منهم وشعر، لاحقاً، بخطرهم على ملكه. فقد لاحظ، على سبيل المثال، بوادر تمرّد لدى أبرز قادة «الإخوان» فيصل

(14) جون. س. حبيب، المصدر، ص 80

الدويش، الذي بدأت تبرز مطامحه السياسية وراح يجمع أنصار له من «الإخوان» ومن القبائل الموالية⁽¹⁵⁾. ولكن لم يكن بالإمكان المصادمة مع «الإخوان» في ذروة عنفوانهم، فلجأ ابن سعود إلى المشايخ لكي يعيدوا تفسير المفاهيم الوهابية بما يخفف من حدة طباعهم ويحول دون انفلات السيطرة عليهم...

وحين انفجر الخلاف بين «الاخوان» وعبد العزيز بدا واضحاً الانشعاب العميق بين الديني والسياسي، فكان الخلاف يدور حول الأقرب والأبعد من العقيدة الوهابية الأصلية. وكان إصرار «الاخوان» على أنهم يجسدون التعاليم الوهابية الأصلية الأمر الذي وضعهم في مواجهة مع ابن سعود والمشايخ المقربين منه. وسوف نعثر على معطيات جمة عن تلك التعاليم التي تربى عليها «الإخوان» وحفظوها حرفياً، بل ومن أجلها خاضوا غمار الحروب، وشهروا السيوف، وقتلوا وذبحوا ونهبوا، واستباحوا، ولولاها ما كان لعبد العزيز أن يبنّي مملكة مترامية الأطراف. وفي نتيجة مكثفة، فإن الوهابية في نسختها الأصلية هي الأيديولوجية المؤسسة والمرعنة للدولة السعودية، كما سيأتي تفصيل ذلك لاحقاً.

لقد تربى الإخوان على أن العثمانيين كفار ويجب قتالهم، وتلك كانت فاتحة التمرد داخل المجال الإسلامي العام. وبحسب رسالة من الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (ت1293هـ) إلى «الاخوان» من بني تميم جاء ما نصه: «..وقتل الدولة - يعني الدولة العثمانية - والأتراك، والإفرنج وسائر الكفار، من أعظم الذخائر المنجية من النار..»⁽¹⁶⁾.

بل عدّ آل الشيخ قتال العثمانيين جزءاً من عقيدة التوحيد: «ومن يعرف كفر الدولة (=العثمانية) ولم يفرّق بينهم وبين البغاة من المسلمين، لم

(15) إبراهيم فاعور الشرعة، حركة فيصل الدويش في نجد بين عامي (1927 - 1930)، المجلد السادس

والعشرون، العدد الرابع، 2011 ص 16 - 17

(16) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، ج9، ص 22 - 23

يعرف معنى لا إله إلا الله، فإن اعتقد مع ذلك أن الدولة (العثمانية) مسلمون، فهو أشدّ وأعظم، وهذا هو الشك في كفر من كفر بالله أو أشرك به، ومن جرّهم أو أعانهم على المسلمين بأيّ إغانة، فهي ردّة صريحة». بل وضع حكماً عاماً في قتال الخصوم وقال إن «هؤلاء الذين قاموا في عداوة أهل التوحيد، واستنصروا بالكفار عليكم، وأدخلوهم إلى بلاد نجد، وعادوا أهل التوحيد وأهله أشدّ العداوة، وهم «الرشيد» ومن انضمّ إليهم من أعوانهم لا يشك في كفرهم، ووجوب قتالهم على المسلمين، إلا من لم يشم روائح الدين، أو صاحب نفاق، أو شك في هذه الدعوة الإسلامية»⁽¹⁷⁾.

وسئل مجموعة من علماء الوهابية عن خروج العجمان وفيصل الدويش، زعيم قبيلة مطير والقائد الميداني لجيش «الإخوان» وآخرين من نجد إلى بلاد واقعة تحت حكم الأتراك جاء الجواب: «فهذا من ضلالهم، ومن الأسباب الموجبة لكفرهم، وخروجهم من الإسلام، بعد ما انتسبوا إليه...». وفي تعليق على قول السائل أنهم باتوا رعيّة الأتراك في الماضي، ولم يدخلوا تحت أمر ابن سعود وطاعته الا مغضوبين قالوا: «فهذا أيضاً من أعظم الأدلة على ردّتهم، وكفرهم»⁽¹⁸⁾. وكذا حال من دخل في ولاية الشريف في مكة، فقد عدّهم علماء الوهابية: «دعاة إلى الدخول تحت ولاية المشركين، فيجب على المسلمين جهادهم وقتالهم، وكذلك من آواهم ونصرهم، فحكمه حكمهم»⁽¹⁹⁾.

بطبيعة الحال، لا يمكن فصل الفتاوى الدينية عن السياق السياسي والعسكري الذي كانت تقال فيه، كما لا يمكن عزل التجربة العثمانية في نجد وانعكاسها على المشرّعين الوهابيين، بصرف النظر عن صحة وسقم الفتاوى الصادرة عنهم.

(17) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، الرياض المصدر السابق، ج 9 ص 83

(18) المصدر نفسه ج 9 ص 210

(19) المصدر نفسه ج 9 ص 211

على أي حال، فإن «تكفير» المجتمعات كان ينطوي على فعل تحريضي خطير على السكّان المحليين أولاً. وننقل هنا صورة عن تلك المعارك التي خاضها «الإخوان» ضد السكّان في الطائف على أثر تلك الفتاوى، وفي وادي تربه على وجه الخصوص، بقلم أحمد عبد الغفور عطار، المقرّب من الملك عبد العزيز، وبروايته له وطباعته على نفقته الخاصة. كتب عطار ما نصّه⁽²⁰⁾:

«أهل هلال المحرم من سنة 1343 (الموافق 2 أغسطس 1924) وأخذ حجاج بيت الله الحرام يغادرون الحجاز إلى اوطانهم وفي العاشر منه خلا الحجاز من الوافدين جميعاً فحان الوقت الموعود للغزو السعودي واجتمعت الجيوش بالرياض واستعدت له أكمل استعداد، كما أن جيشاً آخر سعودياً تجمع «بتربة» تحفزا للوثوب وقبيل أن ينتصف محرم تلقى خالد بن لؤي وكان بتربة أمر الغزو وخطته من الرياض، فبارحها ومعه ستة عشر لواء على كل لواء أمير». وذكر العطار أن «الخبراء الانكليز بقيادة جون فيلبي وراء هذه الخطط العسكرية النظامية التي لا يعرفها البدو»....

ويتحدث العطار، نقلاً عن عبد العزيز، عما أحدثه الجيش السعودي بمشاركة «الاخوان» حين دخل الطائف ويقول: «روع البلد الجميل بالقذائف المتفجرة فتداعت البيوت القديمة وتطاير فوق جوه الحام البديع الرصاص كشرر جهنم».

ويذكر العطار صورة مأساوية عن المعركة قائلاً: «وعلا صراخ الاطفال وعويل النساء وبكاء الرجال خوفاً على أفلاذ الاكباد وعلى الارواح...». ويصوّر العطار نقلاً عن عبد العزيز حال السكّان بعد وصول طلائع «الإخوان» ويقول:

(20) أحمد عبد الغفور عطار، صقر الجزيرة، الجزء الثاني ص 21 ومابعدھا.

«إنهم ينظرون من الثقوب فيرون الاخوان الوحوش والأعراب يملؤون البطاح ويطوفون بالسور والسيوف تتدلى كأنها تهتز من طرب بما تحتسي من دماء هي رحيقها الذي فنيته في طلابه...».

«خلت المدينة فلا تسمع الا همساً وتدفق الغزاة إلى الداخل كما تدفق الأعراب الطفيليون معهم وهم يهتفون هتافات عالية قويّة يشقّها أزيز الرصاص المنطلق من البنادق والرشاشات في الفضاء.

وزرعوا الشوارع والأسواق وقتلوا كلّ من وجدوه بها واحتلّوا المراكز الحكومية والأبراج والقلعة ونهبوا ما بها».

ويمضي في تصوير مأساة السكان:

«وقد وجد البدو ممن لهم ثارات عند الأهليين فرصة نادرة للانتقام فزحفوا إلى بيوتهم واقتحموها عليهم وقتلوهم شرّاً قتلة تشقيّاً منهم، وهتكوا أعراضهم، وبعد أن ذبحوهم وضعوا رقابهم في حنفيات الماء والصهاريج فشربوا من دمهم وتوضأوا بالماء الملوّث بالدماء البريئة وصلّوا!...».

«ولم يكلفوا أنفسهم عناء استلام الاساور الذهبية من أيدي النساء الممدّدة بل قطعوا أيديهن وأرجلهن ولبس «الاخوان» الحلي وهذه الأساور بأيديهم ووضعوا القلائد الخرزية والذهبية في رقابهم كي لا تعيقهم عن بقية النهب والقتل... وهكذا «دخل سلطان الدين السعودي» أي سلطان بن بجاد البلدة وأخلاها من السكان المدنيين وحشدتهم كلهم في حدائق شبرا وقصرها العتيق، وكان النساء سافرات لأول مرة في هذه البلاد وكنّ مع الرجال ومكثوا أياما بلا طعام ولا ماء!..».

هذه الصورة المفزعة تكشف، دون ريب، عن خطورة الشحن العقدي المحرّض على مقاتلة الخصوم الذي تربى عليه «الإخوان»، والأثر التدميري للفتاوى التكفيرية التي كانت تخرج من بيوتات مشايخ الوهابية، والتي

تقسّم العالم إلى مؤمنين وكفار. فقد أوجد عبد العزيز جيشاً مدججاً بعقائد تكفير الآخر والولاء والبراء ومقاتلة الطوائف الممتنعة. فهذا الجيش كان يجسّد تعاليم دينية جرى تصميمها لخدمة مشروع سياسي محدّد، وإن عبد العزيز كان يوظّف «الاخوان» لتحقيق حلمه السياسي عبر رافعة دينية.

بكلمات أخرى، كان «الاخوان» قوة مطلوبة لتحقيق حلم «إقامة الدولة»، ولكن سوف نلاحظ كيف واجه عبد العزيز مشكلة «إدارة الدولة» بعد أن قرر الحاكم السياسي البريطاني، بيرسي كوكس، ترسيم الحدود وتقسيم الدول وفق حسابات سياسية واقتصادية استعمارية. وفي التدايعات، كان على عبد العزيز أن يخوض معركة الداخل، أي مع جيشه العقائدي الذي لم يكن مصمّماً ولا مؤهلاً لمثل هذا التحوّل.

هنا حدث اختلال عميق وخطير بين الشيخ والأمير من جهة والأنصار والدعوة من جهة ثانية. لجأ عبد العزيز إلى الشيخ من أجل «إعادة توجيه» الخطاب الوهابي، أي بتعطيل مفاعيل «الجهاد» مع إبقاء مبرراته متماسكة. فأوفد إلى «الاخوان» رهطاً من المشايخ والدعاة لإعادة تفسير المفاهيم الدينية الوهابية..

الشيخ سليمان بن سحمان (1266 - 1349هـ) كان من بين المشايخ الذي أوكل إليهم عبد العزيز مهمة تصويب تفكير «الإخوان» بما يتواءم مع شروط إدارة الدولة. صنّف الشيخ ابن سحمان كتاباً أسماه (الهدية السنيّة والتحفة الوهابية النجديّة لجميع إخواننا الموحدين من أهل الملة الحنيفية والطريقة المحمدية)، طبع، كما جاء على الغلاف، بأمر عبد العزيز نفسه، وتكفّلت مطبعة المنار بمصر والتي كان يرأسها الشيخ رشيد رضا بطباعته سنة 1342هـ الموافق سنة 1921م. يقول ابن سحمان في مقدّمة الكتاب:

«اعلموا أيها الاخوان أنّا على ما كان عليه أئمتنا أهل الاسلام، والعلماء

الأئمة الأعلام، الذين ينفون عن كتاب الله وسنة رسوله تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين»⁽²¹⁾. وأحال إلى أقوال ابن تيمية وابن قيم الجوزية وابن كثير والطبري وابن رجب الحنبلي..

كما صنّف ابن سحمان كتاباً آخر بعنوان (منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع)، وكان الهدف بحسب محقق الكتاب: «مساهمة في القضاء على بعض الأفكار التي جنح أهلها إلى الغلوّ في دين الله تعالى والتشدد في التدين، مما كان نواة لسلوك مسلك الخوارج ونحوهم في تكفير المسلمين والطعن على علمائهم والخروج على ولائهم»⁽²²⁾.

ولكن ابن سحمان المولج بتطوير خطاب في التسامح الديني وتشجيع «الإخوان» على اعتناقه، كان هو نفسه موعلاً في التطرف، العقدي على الأقل، نجد ذلك واضحاً في توصيفه لحال سكّان الجزيرة العربية بقوله:

«أن من في جزيرة العرب لا نعلم ما هم عليه جميعهم، بل الظاهر أن غالبهم وأكثرهم ليسوا على الإسلام، فلا نحكم على جميعهم بالكفر، لاحتمال أن يكون فيهم مسلم.

وأما من كان في ولاية إمام المسلمين (في إشارة إلى من هم تحت حكم عبد العزيز)، فالغالب على أكثرهم الإسلام، لقيامهم بشرائع الإسلام الظاهرة...

وأما من لم يكن في ولاية إمام المسلمين، فلا ندري بجميع أحوالهم وما هم عليه، لكن الغالب على أكثرهم ما ذكرناه أولاً، من عدم الإسلام»⁽²³⁾.

(21) سليمان بن سحمان النجدي، الهدية السنّة والتحفة الوهابية النجدية، ص4

(22) الشيخ سليمان بن سحمان، منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع، تحقيق عبد السلام بن برجس العبد الكريم، ص 5

(23) المصدر نفسه ص 79

فالشيخ ابن سحمان حسم قسمة العالم من حوله، فمن هم خارج سلطان ابن سعود كفّار في الغالب. ويوضح ذلك في مقاطع لاحقة وبلغة جازمة:

«قد كان أهل نجد قبل ظهور هذه الدعوة المحمدية على غاية من الجهالة والضلالة.. كانوا على غاية من الجهالة في أمر دينهم، في جاهلية.. وفيهم من كفر الاتحادية والحلولية، وجهالة الصوفية..

وأما حال الأعراب من أهل نجد وغيرهم فهم أغلظ كفراً ونفاقاً وأشدّ إعراضاً عن الدين..»⁽²⁴⁾.

وبرر ابن سحمان تكفير ابن عبد الوهاب للبido بالقول «إنما هو حال كفرهم وقبل دخولهم في الإسلام»⁽²⁵⁾.

ما يلفت أن ابن سحمان وفي مسعى لتخفيف غلو «الإخوان» يطوّر خطاباً فريداً في الغلو، إذ يجعل آل سعود محوراً يدور حوله الإسلام حيث دار حكمهم. ففي الوقت الذي يوحى لمن يقرأه أن الاسلام جاء إلى نجد بعد الدعوة الوهابية، وبالتالي خرج أهل النجد من الضلال إلى الهدى بعد دعوة الشيخ ابن عبد الوهاب، عاد وكفّر أهل نجد مرة أخرى لسقوط حكم آل سعود وعودة حكم آل الرشيد كما حصل بعد سقوط الدولة السعودية الثانية. وعلّق ابن سحمان على هذه المرحلة بما نصّه: «وحصل من أهل نجد إعراض عن الدين، وضعف أمر الاسلام فيهم حتى غلب على أكثرهم الجهل ونسيان ما كانوا عليه أولاً، فنبذوا شرع الله وراء ظهورهم، وصاروا يتحاكمون إلى الطواغيت..»⁽²⁶⁾.

(24) الشيخ سليمان بن سحمان، منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع، تحقيق عبد السلام بن برجس العبد الكريم، ص 15

(25) المصدر نفسه ص 16

(26) المصدر نفسه ص 19

لذلك، فإن الاسلام لا يصح، من وجهة نظر علماء الوهابية، إلا حين يكون تحت سلطان آل سعود، فإن كان تحت حكم غيرهم، وإن عرف أهله عقيدة التوحيد بحسب التفسير الوهابي، فإن ذلك لا يجعل منهم مسلمين. ونقل ابن سحمان عن الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ في بعض رسائله، وقد سأله بعضهم عمن كان في سلطان المشركين، وعرف التوحيد، وعمل به، ولكن ما عاداهم ولا فارق أوطانهم، فأجابه بقوله:

«ان هذا السؤال صدر عن عدم تعقل لصورة الأمر، والمعنى المقصود من التوحيد والعمل به، لأنه لا يتصور أنه يعرف التوحيد ويعمل به ولا يعادي المشركين. ومن لم يعادهم لا يقال له: عرف التوحيد وعمل به». فإن كان مع العجز والخوف يعذر وان كان فلا بد من الهجرة...»⁽²⁷⁾.

في التحليل الإجمالي، يستهدف كتاب ابن سحمان تثبيت مشروعية سلطة عبد العزيز وعزل خطاب «الاخوان»، وقد اختاره عبد العزيز ليرد عليهم لأن حججهم متجذرة في الأدبيات الوهابية سيما تلك المتعلقة بمسألة التكفير، وخصوصاً تكفير ابن عبد الوهاب للبدو، كما تعكس ذلك رسائله الشخصية إلى علماء ووجهاء نجد، واعتماد «الاخوان» على أقواله في الهجرة وبعض الأمور مثل لبس العقال والغترة والسلام بصيغة خاصة كالقول السلام عليكم أيها الإخوان..

حاول ابن سحمان تصويب الجدل حول تكفير البدو، فعاد وكرر القول إن تكفير ابن عبد الوهاب للبوادي «إنما هو قبل ظهور هذه الدعوة الاسلامية في حال كفرهم وإشراكهم بالله...»، وانتقد «الاخوان» لجمودهم على التصورات العقدية الأولى حول البدو، فما كان منه إلا أن وصف حال الاخوان بصورة غير مباشرة «وقد عمّ الجهل، وعظمت الفتنة، واشتد البلاء من يتكلم في هذه المباحث الدينية فابتدعوا بدعاً، وأحدثوا في الدين

(27) الشيخ سليمان بن سحمان، منهج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع، تحقيق عبد السلام بن برجس العبد الكريم، ص 29

ما ليس منه، وشرعوا في الدين ما لم يأذن به الله...»⁽²⁸⁾. ورد ابن سحمان على تكفير الاخوان للبدو بالقول:

«ولم يبق في نجد أحد إلا وقد دخل في الدين وأسلموا بعدما كانوا كفاراً مشركين، فمن زعم بعد إسلامهم ودخولهم في هذا الدين لم يزالوا على الحالة الأولى من الكفر بالله والإشراك به وأنهم لم يسلموا فهو أضل من حمار أهله»⁽²⁹⁾.

وهنا أمران: تكفير ابن عبد الوهاب وابن سحمان لنجد قبل الدعوة، والأمر الآخر استمرار تكفير الاخوان لهم بعد الدعوة..

يلقى الكاتب والرحالة الأميري من أصل عربي جون حبيب في تأكيد العقيدة الاخوانية في تكفير البدو: «إن الإتياع الصارم للتعاليم الوهابية قد اعتراه شيء من الفتور في بعض أنحاء نجد، إلى ما بين سگان الحضر ولكن بدرجة كبيرة بين البدو. وقد ارتد البدوي الذي كان يعبر الفيا في الجرداء دون أن يفيد من المعلمين الدينيين، أو الأطباء أو المساعدات الرسمية الأخرى، إلى الممارسات الخرافية، التعاويذ، والتمايم التي ظن المصلح الوهابي الأول أنها أصبحت في طي النسيان إلى أبد الأبد»⁽³⁰⁾. فما حذر منه أمين الريحاني من أن «البدو سيف في يد الأمير اليوم، وخنجر في ظهره غداً» قد بدا واقعاً⁽³¹⁾.

وفي عام 1919 عُقد مؤتمر في الرياض وعرضت خمس مسائل اشكالية على العلماء الوهابيين:

(28) الشيخ سليمان بن سحمان، منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع، تحقيق عبد السلام بن برجس العبد الكريم، ص 70

(29) المصدر نفسه ص 71-72

(30) جون. س. حبيب، المصدر، ص 38

(31) أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث وملحقاتها، ص 260

- هل يطلق الكفر على البدو، وإن اعتنقوا الاسلام وفق المنهج السلفي؟
- هل من فرق بين لابس العقال ولابس العمامة إذا كان معتقدهما واحداً أم لا؟
- هل ثمة فرق بين الحضر الأولين والمهاجرين الآخرين؟
- هل ثمة فرق بين ذبيحة البدوي الذي في ولاية المسلمين ودربه ودروبهم ومعتقده معتقدهم، وذبيحة الحضر الأولين أو المهاجرين؟
- هل للمهاجرين أمر أو رخصة في اعتدائهم على الذين لم يهاجروا، فيضربوهم أو يؤذبوهم أو يهددوهم أو يلزموهم بالهجرة؟
- هل لأحد أن يهجر أحداً بدوياً كان أو حضرياً بغير أمر واضح أو كفر صريح أو شيء من الأعمال التي يجب هجره عليها بغير إذن من ولي الأمر أو الحاكم الشرعي؟⁽³²⁾

للتذكير، فإن فكرة الهجرة كانت راسخة منذ البداية في عقول أولئك «الإخوان» البسطاء الذين فسروا أقوال الدعاة الوهابيين تفسيراً حرفياً فضلاً عن تفسيرهم أيضاً للنصوص التي نشرها الدعاة بينهم⁽³³⁾. لقد آمن الاخوان بالعقيدة الوهابية في الهجرة بأنها باقية إلى يوم الدين، وأنها واجبة على المسلمين⁽³⁴⁾. عليه، وجد ابن سعود نفسه مضطراً إلى عقد اجتماع للعلماء للرد عليهم.

أجاب العلماء على اسئلة الاخوان وهدأت المشكلة لبعض الوقت، ولكن تجددت في وقت لاحق. وبعد احتلال الحجاز بلغ الخلاف بين عبد العزيز وقادة «الإخوان» حدّاً ينذر بمعركة فاصلة وشرسة.

اكتشف «الاخوان» أنهم وقعوا تحت وطأة خديعة من قبل إمامهم، عبد العزيز، وبعد عودتهم من «فتح» الحجاز، عقدوا اجتماعاً في الأرتاوية في

(32) جون.س.حبيب، المصدر، ص 146

(33) المصدر نفسه، ص 146- 147.

(34) محمد بن عبد الوهاب، الأصول الثلاثة، الرياض، الطبعة العاشرة 1420 هـ ص 21

أواخر سنة 1926 حضره مشايخ مطير وعتيبة والعجمان ووجهوا إلى ابن سعود الانتقادات التالية:

1. ركونه للإنجليز وتعاونه معهم ومجالستهم وعقده المعاهدات وهي أمور ينكرها الشرع.
2. تنصيب نفسه ملكاً على الحجاز والإسلام يحرم الملكية.
3. إرسال ابنه الأمير سعود إلى مصر (التي احتلها الانجليز النصارى والتي يسكنها مسلمون كفار).
4. إرسال ابنه الأمير فيصل إلى لندن (بلاد الشرك).
5. استخدام السيارات والتلغراف والتلفون (وهي من البدع حسب اعتقادهم).
6. فرض ضرائب في الحجاز ونجد، وذلك مخالف للشرع.
7. إعطاء الإذن لقبائل العراق وشرق الأردن بالرعي في أراضي المسلمين.
8. منع المتاجرة مع الكويت، لأن أهل الكويت إن كانوا كفاراً حاربوا وإن كانوا مسلمين فلماذا المقاطعة؟
9. السماح بدخول المحملين المصري والشامي مكة بالسلاح والموسيقى.
10. السكوت عن شيعة الإحساء والقطيف وعدم إرغامهم على الدخول في دين أهل السنة والجماعة.
11. معارضة هدم قبور الصحابة في مكة والمدينة.

عاد عبد العزيز وعقد اجتماعاً موسعاً في الرياض في كانون الثاني (يناير) سنة 1927، حضره شيوخ القبائل والعلماء وعدد من قادة (الإخوان) وتغيب عنه سلطان بن بجاد احتجاجاً. وانتهى المؤتمر إلى إعلان عبد العزيز ملكاً على نجد (وكان لقبه السابق: سلطان نجد وملك الحجاز)، كما صدرت فتوى تتضمن ردوداً على اعتراضات الإخوان ومن أبرز ما جاء فيها:

1. إزالة القوانين التي في الحجاز ولا يحكم إلا بالشرع وفق الفقه الحنبلي.
2. مسألة تحريم أو إباحة التلغراف تحتاج إلى الوقوف على حقيقته كونها غير معروفة.
3. إلزام الشيعة بالبيعة على الإسلام ومنع إظهار شعائهم.
4. منع القبائل الشيعية العراقية من دخول البوادي التابعة لنجد.
5. مسألة الجهاد متروكة إلى الإمام وعليه أن يراعي ماهو أصلح للإسلام والمسلمين.

واعترض الإخوان على حصر الدعوة إلى الجهاد بالإمام، وسألوا عبد العزيز: كيف كان الجهاد مطلوباً حين كان يوسّع من رقعة حكمه، ولم يعد مقبولاً بعدما صار يتعرّض لمصالح الدولة البريطانية وحلفائها؟.

ومع ذلك لم يقبل الإخوان منه ذلك..وهنا تفجّر الخلاف بين المشايخ و«الاخوان»، وبتنا أمام مواجهة سياسية بخلفية عقدية داخل المجال الوهابي فقد أراد المشايخ وبطلب من عبد العزيز أن يقدموا للإخوان نسخة من الوهابية تتناسب مع حكمه بتعطيل مفاعيل ثالث التكفير والهجرة والجهاد، الأمر الذي دفع بـ «الإخوان» لأن يحملوا على المشايخ ويتهمونهم في دينهم.

قدّم ابن سحمان مطالعة دفاعية عن المشايخ بعد اتهام الإخوان لهم بمداينة ابن سعود، وتناول دورهم في نشر الدعوة الوهابية وقال إن «المشايخ قد بذلوا الجهد والاجتهاد في نشر ملة إبراهيم وتعليمها، والقراءة في أصول الدين: كمثّل كتاب «التوحيد»، و«كشف الشبهات»، و«ثلاثة الأصول» وجميع ما اشتملت عليه «مجموعة التوحيد» من رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكتب الحديث والفقه..»⁽³⁵⁾.

(35) الشيخ سليمان بن سحمان، منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع، تحقيق عبد السلام بن برجس العبد الكريم، ص 95

أما رخصة المشايخ للسفر إلى بلاد الكفار فأجاب ابن سحمان على ذلك بمثال غريب:

فإن كان مراد هؤلاء الذي شبَّهوا على عوام المسلمين بهذه الشبهات أن السفر إلى بلاد الأحساء بعد أن أخرج الإمام الدولة الكفار منها مباح، فهذا لا شك فيه، لأنها صارت دار إسلام، بعد أن كانت دار كفر، لجريان أحكام أهل الإسلام على أهلها والغلبة والظهور فيها لأهل الإسلام على من كان فيها ممن ظاهر أهل الكفر من الروافض وغيرهم، كما نص على ذلك العلماء قديماً وحديثاً⁽³⁶⁾.

وأما السفر إلى بلاد الكويت فأوضح بن سحمان أن «المشايخ من أعظم الناس تحريماً لهذا السفر، وأن ذلك عندهم من أكبر الكبائر ولا يبيحون السفر إليها إلا لمن كان قادراً على إظهار دينه مع عدم الانبساط إليهم والتلطف لهم»⁽³⁷⁾.

وقد أسهب ابن سحمان في عرض المسائل التي احتجَّ بها «الآخوان» على المشايخ واتهموهم بالمداينة لابن سعود فيما هم متمسكون بالتحاليم الوهابية ولم يكتموها كما فعل المشايخ خدمة لأهداف عبد العزيز⁽³⁸⁾.

ونتوقف عند الملاحظات التي دونها جون حبيب في كتابه (الإخوان السعوديون في عقدين 1910 - 1930) وهو ترجمة عن كتابه باللغة الانجليزية بعنوان (Ibn Sa'ud Warriors of Islam).

ومن أهم ما يسجله حبيب في كتابه أن ابن سعود حين حرم على الآخوان غزو العراق والاردن والكويت تلك المناطق التي لقنوا أنها ملاجئ لغير

(36) الشيخ سليمان بن سحمان، منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع، تحقيق عبد السلام بن برجس العبد الكريم، ص 101-102

(37) المصدر نفسه ص 102

(38) المصدر نفسه ص 86-87

الموالين، الأمر الذي يجعلها أهدافاً مشروعة لهم، بدأوا يشعرون بخيبة الأمل والاحباط جراء افتقارهم إلى الأهداف التي يصبّون عليها جام عسكريتهم التي تولّدت فيهم نتيجة حماسهم الديني الشديد⁽³⁹⁾.

فإضافة إلى معارضتهم للابتكارات الحديثة التي أدخلها ابن سعود كما اعترضوا على «زيادة اتصالاته وتعاونه مع البريطانيين» فقد «اتهموه بخيانة نص وروح العقائد التي أذكأها، هو نفسه، فيما بينهم، تحدّوه أن يقودهم في مواجهة المملّحين في العراق أو يدخل بهم في معركة ضد هؤلاء المملّحين»⁽⁴⁰⁾.

في نهاية المطاف، فإن الاشتباك الفكري بين عبد العزيز والاخوان والمشايخ، أفضى الى تصدّع معادلة: الشيخ والأمير والأنصار، لسبب بسيط أن السياسة فلقت المجتمع الوهابي إلى فريقين: السلطة والجماعة. للتوضيح، فقد أوصلت الوهابية الأصلية عبد العزيز إلى السلطة عبر سلسلة اجتياحات للمناطق بعد تكفير أهلها وإعلان الجهاد ضدها، وهي نسخة من الوهابية شارك الجميع في تعميمها بمن فيهم عبد العزيز نفسه الذي كان هو الآخر، مكفراًتياً وجهادياً، وحين أنهى المحاربون العقائديون مهمتهم بدأت مهمة الوهابية المعدلة التي تولي عبد العزيز ومشايخ السلطة الترويج لها، فيما نافح «الإخوان»، وبأمانة فائقة وبروح فدائية غالباً، عن التصورات الوهابية الأصلية التي تشربوها قبل قيام دولة ابن سعود..

وكان من الطبيعي أن تواجه الوهابية نقيضاها، وهذا ما جرى عام 1929، حين خاض قادة «الإخوان» مواجهة مصيرية في معركة (السبلة) مع إمام الجهاد وقيادتهم الدينية المتمثلة في عبد العزيز بن سعود

(39) جون س. حبيب، الاخوان السعوديون في عقدين 1910 - 1930، ترجمة الدكتور صبري محمد،

ص 33

(40) المصدر نفسه ص 33

بعد قبوله بترسيم الحدود و«تعطيل فريضة الجهاد» فيما الاستراتيجية الوهابية الأصلية تقوم على أساس التمدد إلى حيث تصل رايات التوحيد.

وفي شهر مارس من العام 1929 التقى «الاخوان» وابن سعود مرة ثانية في ساحة القتال ولكن بوصفهم أعداءً له، فكانت المواجهة الحتمية والفاصلة. ويعلق ج. حبيب «وبعد تلك المعركة كان الاخوان يتممون أن ابن سعود لم يكن يمارس العقيدة ممارسة كاملة، وقد بدأوا يشعرون بالضيق منه لزيادة اتصالاته بالانجليز، كما تضايقوا منه بصفة خاصة لتفسيره الذي أورده عن غزو الاخوان للقبائل التي ثبتت على المذهب الوهابي ولكنها رفضت الاستقرار في الهجر»⁽⁴¹⁾. يعلق جون حبيب على مصير الاخوان في المعركة «كان الاخوان يهدفون من وراء هذا التمرد إلى درء المصير الذي استشعروا أن ابن سعود قد حدّده لهم...»⁽⁴²⁾.

ثبت للإخوان أن عبد العزيز كان مراوغاً، يعترض في الظاهر ولكن غزواتهم كانت تغذي طموحه الشخصي في توسيع مملكته وعدم ثقته بالانجليز هو ما دفعه لتقديم مواقف مواربة. ولكن في خاتمة المطاف وجد نفسه أمام خطر لا مناص من التخلص منه، فكانت معركة (السبله) وكانت شرارة الحرب قرار «الإخوان» مواصلة الجهاد والتوجه صوب العراق وشن الغزوات على قبائل المنتفق الرعوية..

ولم ينجح تمرد «الإخوان» إلا في تقديم موعد القضاء على هذه الحركة، وعوقب الإخوان على عدم ولائهم وأدخل كبار زعمائهم السجون وفيها توفي بعضهم. وبقي جنود الحركة في هجرهم يحصلون على الاعانات من

(41) جون س. حبيب، الاخوان السعوديون في عقدين 1910 - 1930، ترجمة الدكتور صبري محمد،

ص 144

(42) المصدر نفسه ص 33

الحكومة المركزية ولكن مع انحسار تأثيرهم المباشر على شئون الدولة⁽⁴³⁾. واقتصرت وظيفة فلول «الإخوان» على توفير الدعم المعنوي والعسكري في حال الضرورة، أي حين يتعرض الكيان لخطر داخلي في الغالب، لأن الأخطار الخارجية تكفلت بها اتفاقيات الدفاع الاستراتيجي مع الغرب، بريطانيا أولاً ثم الولايات المتحدة في مرحلة لاحقة.

في النتائج، صنعت الوهابية الأصلية لابن سعود دولة، وكان عليه أن يتخلص من تلك الايديولوجيا المتطرفة فور انجاز مهمتها. بمعنى آخر، كانت الوهابية الأصلية صالحة لصنع دولة ولكنها تتحول في مرحلة لاحقة إلى نقيضها حين يراد لهذه الدولة السير وفق شروط الدولة وليس الدعوة. وهو ما فشل عبد العزيز في إدراكه في مرحلة مبكرة، إذ دفع بالمشايخ لتكييف العقيدة الوهابية بما ينسجم ومتطلبات الدولة، وحين أخفقوا في إقناع القاعدة الشعبية، المتمثلة حينذاك في «الإخوان»، دخل معهم في مواجهة دامية في معركة السبله.

قرار عبد العزيز بسحب الوهابية الأصلية من التداول في الشارع لم ترافقه تدابير أخرى تؤول إلى تعطيل مفاعيلها الثقافية والاجتماعية، فقد حافظت الوهابية الأصلية على حضورها في المؤسسات المعنية بصوغ الوعي الجمعي، أي في المدارس والجامعات والمعاهد الدينية والمساجد وبقية أذرع المؤسسة الدينية مثل (هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لجان الافتاء والارشاد، مراكز التوجيه التربوي الديني، المنظمات الدينية الثقافية ذات الطابع الدولي...).

هزيمة الاخوان لم تقوّض محاولات التصحيح داخل المجال الوهابي وعبر أدوات الدولة نفسها، التي طمعت في أن تبقى على الوهابية المعدّلة للحفاظ على مشروعيتها الدينية، ولكن كانت الوهابية الأصلية تعمل في

(43) المصدر نفسه ص 33

الطبقات الدنيا، وتؤسس للوعي الديني وفق التصورات التي صاغها الآباء المؤسسون للوهابية الأصلية.

سوف نجد محاولات التصحيح على مستويين فردي وجماعي متواصلة. وسعى الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ، المفتي العام للمملكة في عهدي الملك سعود وخلفه فيصل لتأحية عدم خروج الدولة عن التعاليم الوهابية، على الأقل في مجال تشريع القوانين، وجاء من بعده من أراد تصحيحاً شاملاً للدولة، كما جرى في 1979 من قبل جماعة جهيمان العتيبي وهي إحدى سلالات «الاخوان»، وقد حظيت بعاطفة ومساندة من المفتي السابق الشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ المحدث ناصر الدين الالباني ومشايخ آخرين مثل الداعية الوهابي اليمني مقبل الوادعي، والشيخ بديع الدين الراشدي السندي.

الفصل الثاني

الحلم المغدور.. المحاولة الأولى

الجماعة السلفية المحتسبة..تأسيس التمرّد المسلّح

قبل الدخول في تفاصيل تجربة الجماعة السلفية المحتسبة، لابد من وقفة تأملية في مصطلح «السلفية» الذي سوف يكون محور عمل كل التنظيمات السلفية بأطيافها المختلفة (التقليدية، والعلمية، الجهادية..الخ).

السؤال المحوري الذي يطرح نفسه على الدوام حين مقارنة السلفية منهجاً أم جماعة، يدور حول التعريف نفسه. فالتعريف الكلاسيكي للسلفية يقتصر على العودة إلى المصادر الأولى النقية للمعرفة الدينية المتمثلة في الكتاب والسنة والرجوع إلى أفهام القرون الثلاثة الأولى في تاريخ الاسلام (الصحابة والتابعين وتابعي التابعين). ولكن تعريفاً كهذا يصبح معزولاً عن الواقع، حين نواجه اكتظاظاً رهيباً لنصوص أنتجت في القرن السابع الهجري، وتحديدأ في زمان ابن تيمية وتلامذته، وما أدّت إليه من انزياحات شبه كاملة لأفهام الأجيال المؤسسة للإسلام.

سطوة الشخصية العقدية والفقهية لابن تيمية أفضت إلى استقالة المدارس السلفية عموماً، فراحت تمارس نقيض ما تعلنه إزاء انتهاء عصر التقليد، وإن كل ما في الكتاب والسنة واضح وجليّ، ولكن الحضور الكثيف لنصوص ابن تيمية في كل المنتجات الكلامية والفقية في المدارس السلفية تجعل من أي حديث عن الاجتهاد، أو بالأحرى الاستقلال بالفهم مجرد زعم بلا دليل.

وفيما انصرف محمد بن عبد الوهاب نحو تطوير مفاهيم عقدية شديدة الخصوصية، أسبغ عليها عنوان «عقيدة التوحيد»، وبأركانها الثلاثة: اللاهوية، الربوبية، الاسماء والصفات، فإن أهل دعوته المتناسلين من مدرسته دمجوا شخصيتي ابن تيمية وابن عبد الوهاب، إذ يزداد النزوع السلفي التقليدي رسوخاً. وقد بقي الأتباع مفتونين بتلك النصوص التي أنتجها الرمزان السلفيان، دون مجرد التفكير بإخضاعها للمراجعة في أي مستوى.

لا يقتصر الأمر على الصغار بل يطاول الكبار بمن فيهم أولئك الذين خرجوا على التعاليم الارثوذكسية الصارمة وكسروا «تابوات» ذهنية في المدرسة السلفية. ويمكن القول إن المتبنيات العقيدية لدى كثير من مشايخ السلفية بكل أطيافها العلمية والصحية والجهادية خصوصاً تلك المتعلقة بالفرق والطوائف الأخرى مستمدة من كتابات ابن تيمية. على سبيل المثال، بنى الشيخ سفر الحوالي كتابه عن «الأشاعة» على آراء ابن تيمية فيهم، وينسحب ذلك على آرائه في الشيعة والصوفية وغيرهم.

الشيخ سلمان العودة، المصنّف ضمن التيار الصحوي، والأكثر اعتدالاً بين رفاق دربه، كتب تغريدة في 28 أكتوبر 2014 يقول فيها ما نصّه: «إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة»، هي جنة الأنس بالله، ولولا أن ابن تيمية قال هذا ما تجرأت أن أقوله».

في مثل هذا النص المشبع والمفتوح على تفسيرات متعدّدة، تبدو سلطة الماضي، النص، والرمز طاغية إلى حد الشعور بالنقص والحاجة إلى التلطي وراء سلطة عليا (متخيلة غالباً)، بهدف التحصّن أمام النقد أو الإحساس بالذنب من اختراق محظور. هكذا تبدو السلفية متكافئة مع الاستقالة أمام الماضي، وليس كل الماضي، بل ثمة ماض صنع في زمان ما أريد له أن يبقى حاضراً ومحركاً للنشاط الذهني بعد سبعمائة سنة لاحقة من عمر نشأته الأولى.

لا عجب، إذن، أن تكون مهمة ورسالة التنظيمات السلفية بكل أطيافها هو العودة إلى أفهام الماضين من المتحدّرين من مدرسة ابن تيمية وتالياً محمد بن عبد الوهاب. وهو المشروع الذي حمله أعضاء الجماعة السلفية المحتسبة على عاتقهم حين عقدوا العزم على قيادة مشروع إحيائي للسلفية الوهابية التي يرون أنها توارت في حياة المجتمع المحلي، على الأقل في المناطق التي كانت حواضن رئيسة لها.

وفي الحديث عن الجماعة السلفية المحتسبة، يربط الشيخ حمود صالح العقيل إمام جامع الأمير متعب بن عبدالعزيز بالرياض، والداعية بدار الافتاء والارشاد، نشأة الجماعة بالأوضاع التي تشكّلت بعد افتتاح (الجامعة الاسلامية) بالمدينة المنورة عام 1380هـ/1960، ورأسها المفتي الأسبق الشيخ محمد بن ابراهيم، فيما تولى الشيخ عبد العزيز بن باز، المفتي السابق، منصب نائب الرئيس، وكانت تضم طلبة من بلدان مختلفة حيث «نشأت مجموعة تدعو إلى نبذ المذاهب الفقهية والأخذ بالكتاب والسنة وترك البحث في كتب الفقه...». ولكن الحكومة تنهت على ما يبدو إلى الأبعاد الخطيرة لهذه الاجواء فقامت بإرجاع الطلبة غير السعوديين إلى أوطانهم، ولكن بعد وفاة الملك فيصل أخذت الظاهرة تنمو مجدداً وأخذت أبعاداً أخرى في سنة 1396هـ/1976 وزادت بشكل ملحوظ في العامين التاليين إذ اندمجت عناصر أخرى من الخارج⁽¹⁾.

في الرواية المشهورة، والمنقولة عن ناصر الحزيمي، أحد رفقاء جهيمان العتيبي، أن «الجماعة السلفية المحتسبة» تأسست بعد حادثة تكسير الصور والتماثيل في إحدى المحال التجارية في المدينة المنورة، أي بعد سنة 1965 تقريباً، حين تجمّع ستة أشخاص من بينهم جهيمان بن محمد بن سيف العتيبي، وسليمان بن شتيوي، وناصر بن حسين العمري الحربي، وسعد التميمي، وقرروا تأسيس جماعة تقوم بأمور الدعوة السلفية والتذكير في المساجد والأماكن العامة. وبحسب رواية الحزيمي فإن خمسة من أصل ستة أعضاء مؤسسين تخرجوا من عباءة جماعة التبليغ أما السادس فيبدو أنه من الاخوان المسلمين. ولكن ما يلبث الحزيمي أن يخرج المجموعة بأكملها من جماعة التبليغ، لأسباب تبدو مفهومة اذا وضعت في سياق آخر، غير انضواء المجموعة تحت عباءة التبليغ في الأصل. يرجع الحزيمي أسباب الخروج إلى التناقض العقدي، إذ

(1) سليمان العصيمي، جريدة (الرياض) عدد رقم 4393

لم تكن جماعة التوحيد تولي اهتماماً بعقيدة التوحيد في نشاطها الدعوي، وتتساهل في قضايا الولاء والبراء وإنكار المنكر، ولا تدعو على هدي من الكتاب والسنة. إذا كان الحال كذلك، فإن استخدام عبارة «تخرجوا من عبادة جماعة التبليغ» في غير محلّه، ببساطة لأن ملاحظات المجموعة تندك في صميم العقيدة الوهابية⁽²⁾.

قرّر الاشخاص الستة مفاتحة الشيخ عبد العزيز بن باز بقرارهم تكوين جماعة سلفية «تبذ التمذهب وتدعو إلى التوحيد والتمسك بالكتاب والسنة الصحيحة وأنهم لا يهدفون من وراء عملهم هذا أي هدف دنيوي، وأنهم يعرضون عليه منصب المرشد لهم والموجّه» فوافق⁽³⁾ وقال لهم بما أنكم تحتسبون الأجر من الله فليكن إسمها «الجماعة السلفية المحتسبة»⁽³⁾.

يلفت الحزيمي إلى نقطة جديرة بالإهتمام حول بدايات الجماعة، ويربطها بمرحلة الطفرة النفطية بعد حرب أكتوبر 1973 إذ طفر معها الخطاب اليميني بشكل عام، وبرز التمويل الداعم لكل ما هو ضد الكتلة الشيوعية أو القومية العربية وساد الصمت الرسمي حيال ممارسات الجماعات الدينية المسيّسة، ووجدت في أجواء الحرب الباردة خير معين على إعادة أجواء خطاب الاسلام السياسي⁽⁴⁾.

يروى الحزيمي قصة انضمامه إلى الجماعة وعلاقته بقائدها ومنظرها جهيمان العتيبي، وقد دوّن روايته لهذه المرحلة. ذكر الحزيمي بدايات تشكّل جماعة (بيت الاخوان السلفيين) في مكة سنة 1977 وهو أول بيت للإخوان في مكة، وكان يشرف عليه الشيخ عبد الله الحربي والشيخ عايض بن درميح، والتحق الحزيمي بالمجموعة واندمج في حياة الاخوان من

(2) ناصر الحزيمي، أيام مع جهيمان..كنت مع «الجماعة السلفية المحتسبة»، ص 42-43.

(3) المصدر نفسه، ص 43

(4) المصدر نفسه، ص 14

الجماعة السلفية ولازم عبد الله الحربي الرجل الأول في الحركة (فهو الذي يجمع الاخوان ويذهب بهم للدعوة في ضواحي مكة، وهو الذي يقودهم لطلب العلم على المشايخ..)⁽⁵⁾.

أخبر الحربي الحزيمي عن قدوم الاخوان السلفيين في المدينة المنورة إلى الحج. وهناك تعرف الحزيمي على جهيمان الذي كان من بين الذين جاؤا إلى مكة وحضروا دروس الشيخ الألباني، فأتيحت له فرصة التعرف على القضايا الخلافية بين الاخوان وأتباع المذاهب الفقهية من المقلّدين. يعلّق الحزيمي قائلاً: (هذا اللقاء الذي تم في الحج يكاد أن يكون العلامة على أنني أصبحت أنتمي لجماعة سلفية حقيقية..)⁽⁶⁾. وينقل الحزيمي عن محتويات مكتبة جهيمان فيقول (تحتوي على أغلب كتب الألباني، والكتب الستة بشروحها وتفسير ابن سعدي، وتفسير ابن كثير والبغوي، وكتاب «إتحاف الجماعة» للشيخ حمود التويجري، ونيل الأوطار وسبل السلام، ومجموعة التوحيد وكتب ابن تيمية، وابن قيم الجوزية، وشرح العقيدة الطحاوية)، ثم يقول (أما كتب المذاهب الفقهية فتكاد تكون معدومة)، ويضيف (وقس عليها أغلب مكتبات الإخوان)⁽⁷⁾.

وعليه، كانت جماعة الاخوان بمثابة مجتمع مضاد، أو جماعة مغلقة لذاتها تعيش عزلة اجتماعية لها قوانينها ونظامها الخاص وسلوكها الفريد في العيش وتحمل المصاعب، وكان لها أحلامها الخاصة بها، وقد جرب بعض أفرادها العزلة الجسدية أن انتقلوا هم وعوائلهم للعيش خارج المدينة، والتدرّب على الحياة في ظروف صعبة في محاولة استذكّار لفكرة «الهجرة» التي ارتبطت بتجربة «الاخوان».. ولكن ما يجدر الالتفات اليه

(5) ناصر الحزيمي، (ذكرياتي مع جهيمان العتيبي قائد المحتلين للمسجد الحرام) من كتاب (قصة وفكر المحتلين للمسجد الحرام)، ص 47

(6) المصدر نفسه، ص 51

(7) المصدر نفسه، ص 51 52

أن هذه المجموعة كانت تهيأ لعملية تصحيح كبرى في المجتمع والدولة، إلى أن بلغ بها الحال أن ترى في نفسها الجماعة الانقاذية التي يجري على يدها ملء الأرض قسماً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً، وفق العقيدة المهدوية الخاصة بها.

يتحدث الحزيمي عن النشاط الدعوي للجماعة: (كان الخطاب الدعوي وقتها يركز على البدع المنتشرة بين أهل هذه القرى). من الواضح، أن المجموعة كانت تعمل على أساس تشخيصها للواقع الديني في المجتمع، الأمر الذي عزز لديها النزعة الرسولية التي حملها الشيخ محمد بن عبد الوهاب يوم اضطلع بمهمة التبشير بدعوته.

في سردية مماثلة تطرق الشيخ مقبل الوادعي للجماعة السلفية المحتسبة أو أهل الحديث أو جماعة الحرم، وكان قد عاصر تلك المرحلة واندمج في نشاطات الجماعة السلفية وأثر فيها، وقال عن أفرادها (إنهم طلبة علم أخيار أفاضل وقد انتشرت بسببهم سنن كانت قد أميتت..) ويضيف (استيقظ كثير من الشباب من أبناء جدة ومن أبناء الرياض كما هو معروف، انتفع بهم كثير من البدو وأصحاب طلبة العلم ..)⁽⁸⁾. ورفض الوادعي أن ينسب الفساد للمجموعة، بحسب البيانات الرسمية السياسية والدينية، بل قال أن هؤلاء (لم يحاربوا الله ورسوله، ولم يسعوا في الأرض فساداً ولكنهم كانوا يظنون أنهم على حق فأخطأوا، وكنا نعتقد أنهم على خطأ وهم في الحرم، ومع هذا فكنا نسأل الله أن ينصرهم، لأن خطأهم هذا ليس بشيء بجانب فساد حكام المسلمين..)⁽⁹⁾.

في قصة جهيمان العتيبي يبدو حلم استعادة الوهابية النقية شاخصاً فقد ناضل ورفاق دربه لجهة إيصال ما انقطع في تجربة الاخوان التصحيحية.

(8) مقبل بن هادي الوادعي، المخرج من الفتنة، ص 142

(9) المصدر نفسه، ص 144

نقرأ في سيرة جهيمان أنه ولد في هجرة ساجر ووالده كان من الاخوان في جيش عبد العزيز، وكان صديقاً لسلطان بن بجاد. النهاية المساوية للإخوان في نهاية العقد الثالث من القرن العشرين ولدت شعوراً بالغبن عند الاخوان عموماً، وعند أهل ساجر خصوصاً، ونشأ جيل ورث بعضهم الضغينة للحكم القائم والتمرد عليه، كما يقول الحزيمي⁽¹⁰⁾.

وفي منتصف الستينيات اعتنق جهيمان سلفية أهل الحديث متأثراً بناصر الدين الألباني ومؤلفاته وتعاليمه، وتلمذ على ابن باز وحضر دروساً في دار الحديث التابعة للجامعة الإسلامية وشارك في تأسيس الجماعة السلفية المحتسبة سنة 1965.

ونجحت الجماعة في بناء بيوت للإخوان في الحرة الشرقية بالمدينة المنورة، وكانت بنيت بطريقة غير قانونية وعشوائية إلى أن سيطر «الإخوان» على أحياء بكاملها «بحيث لا تجد من يبيع الدخان أو يشربه في هذه الأحياء..» كما زوّدت البيوت بما يشبه مخارج طوارئ، لتسهيل هروب الأفراد، وقد هرب جهيمان من هذه المخارج عندما لوحق في الاعتقال الأول الذي تم سنة 1978.

في حديثه عن التأثيرات الفكرية والسياسية والحزبية الخارجية على الجماعة السلفية المحتسبة، بدا واضحاً أن الحزيمي يميل إلى ترجيح الرواية السعودية الرسمية بتوجيه الاتهام إلى جماعات خارجية، مصرية بدرجة أساسية مثل الاخوان المسلمين أو جماعة التكفير والهجرة أو جماعة المسلمين التي يرأسها مصطفى شكري، ودورها في تعميم الأفكار التكفيرية. نلفت الى أن جماعة جهيمان لم تكن تتبنى تكفير النظام السعودي، وقد سئل أبرز منظري السلفية الجهادية والقيادي في «القاعدة» أبو محمد المقدسي عن رأيه في كتب جهيمان فأثنى عليها في المجمل ولكنه أخذ على الأخير عدم

(10) الحزيمي، (ذكرياتي مع جهيمان العتيبي قائد المحتلين للمسجد الحرام) من كتاب (قصة وفكر المحتلين للمسجد الحرام)، مصدر سابق ص63

تكفيره لحكام آل سعود، وقال «وإنما نخالفه في رأيه في الحكام فقد كان لا يكفرهم بناء على نشأته السلفية التقليدية وتلقّيه ذلك عن الشيخ ابن باز والشيخ الألباني ونحوهما، بل كان ينكر على من يكفرهم..»⁽¹¹⁾.

إن قراءة تجربة جهيمان في سياق التطوّرات الداخلية والإقليمية التي شهدتها المملكة منذ ستينيات من القرن الماضي تستدعي الوقوف عند تحدّين: التحديث في الداخل والناصرة في الخارج. وكان لجماعة «الإخوان المسلمين» دور محوّر في كل منهما. في رد فعل على التحديات المصاحبة لبرامج التحديث، كان الملك فيصل بحاجة الى خطاب إسلامي متطوّر يشتمل على عنصري: المواكبة والمواجهة. مواكبة التحديث بوصفه عملية تطوّر ضرورية للدول والمجتمعات وما يصاحبه من تغييرات هيكلية وتقنيّة، ولم تكن العقيدة الوهابية في نسختها الأصلية مؤهلة للعب مثل هذا الدور، فكان قادة «الإخوان المسلمين» الذين جاءوا الى المملكة في تلك الفترة يحملون ثقافة إسلامية ذات طابع عصري خولهم للإضطلاع بهذه المهمة على أن يتم عزل التأثيرات السياسية والفكرية لاستيعاب التحديث. وقد حقّقت السعودية نجاحاً في فصل التحديث عن الحداثة، وقيل حينذاك بأن المملكة نجحت في استعارة التكنولوجيا بدون إيديولوجيا..

في التحدي الناصري، جرى العمل على شقّين: سياسي وإيديولوجي. كان واضحاً أن السعودية لم تسمح لجماعة «الإخوان المسلمين» بمزاولة أي نشاط سياسي في المملكة ضد النظام المصري برئاسة عبد الناصر، وقد يرجع ذلك الى قلق لدى الملك فيصل من ردود فعل عبد الناصر من جهة، ومن التدايعات المحلية لنشاط جماعة الإخوان المسلمين. للإشارة فحسب، حاولت الجماعة مراراً الحصول على رخصة لافتتاح فرع لها في المملكة، وكان الجواب سلبياً على الدوام.

(11) محمد المقدسي، ما راي الشيخ ابي محمد المقدسي في قراءة كتب جهيمان، رقم السؤال: 2505، منبر التوحيد والجهاد

في الشق الإيديولوجي، فتح الملك فيصل الأبواب لجماعة «الإخوان المسلمين» لمواجهة الناصرية في بعدها القومي، بتطوير خطاب إسلامي عبر افتتاح جامعات دينية حديثة مثل (الجامعة الإسلامية) في المدينة المنورة (تأسست سنة 1961) في مقابل (الجامع الأزهر) الذي حظي باهتمام شخصي من عبد الناصر، حيث زادت حصة «الإخوان المسلمين» في أعضاء هيئة التدريس خلال ذلك العقد⁽¹²⁾.

في مرحلة التأسيس الفعلي للدولة السعودية، لعب «الإخوان المسلمون» دوراً محورياً في مجال التعليم، سواء على مستوى هيئات التدريس في الجامعات الدينية وحتى الحديثة مثل جامعة الملك سعود بالرياض، أو على مستوى إعداد مناهج التعليم الديني، حيث كان مفكرو الجماعة مثل محمد قطب ومحمد المبارك ومصطفى كامل يشرفون على مادة (الثقافة الإسلامية) المقررة في المدارس الرسمية. وكان للقيادي الإخواني مناع خليل القطان، دور مركزي في مجال التعليم الديني عموماً. ويذكر في سيرة القطان أنه غادر مصر سنة 1953م إلى السعودية للتدريس في مدارسها ومعاهدها إلى سنة 1958م، حيث انتقل للتدريس بكلية الشريعة بالرياض، ثم كلية اللغة العربية، مديراً للمعهد العالي للقضاء، ثم مديراً للدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بالإضافة إلى عضويته في مجلس الجامعة، ورئاسة اللجنة العلمية لكلية البنات وكذلك لجنة السياسة التعليمية بالمملكة، وكان يشرف على رسائل الماجستير والدكتوراه في جامعات محمد بن سعود، وأم القرى، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة⁽¹³⁾.

لا ريب أن الملك فيصل أفاد كثيراً من «الاخوان المسلمين» في إضفاء مشروعية دينية على سياساته الداخلية والخارجية. ولعل تطعيم النظام

(12) ستيفان لاکروا، زمن الصوحة..الحركات الإسلامية المعاصرة في السعودية، ص 63

(13) عبد الله العقيل، القاضي الشيخ مناع خليل القطان..المدير السابق للمعهد العالي للقضاء في السعودية، موسوعة الإخوان المسلمين على الشبكة www.ikhwanwiki.com

التشريعي السعودي بقوانين مدنية حديثة لم يكن يمرّ بأضرار قليلة لولا الاجتهادات المتطورة التي قدّمها مفكّرو «الإخوان المسلمين» الذين كانوا في المملكة مثل قطّان والمبارك وقطب وسيد سابق والغزالي. فقد بقيت رسالة المفتي العام حينذاك الشيخ محمد بن ابراهيم (رسالة تحكيم القوانين) للرد على عملية «التوفيق» بين الفقه الاسلامي والفقه المدني في الهامش قبل أن تنال شهرة في الداخل وعبر جماعات إصلاحية وهابية محلية. نشير الى أن رسالة محمد بن ابراهيم سألقة الذكر طبعت سنة 1960، أي في الفترة التي كان فيها سيد قطب داخل السجن (أي منذ عام 1954 - 1964 قبل أن يتدخل الرئيس العراقي عبد السلام عارف لدى الرئيس جمال عبد الناصر لإطلاق سراحه)، وهي الفترة التي كان سيد قطب يكتب فيها (معالم في الطريق) على هيئة رسائل طبعت في مرحلة لاحقة. مثل هذه المقارنة توصلنا الى نفي العلاقة مطلقاً بين الأفكار الدينية الراديكالية التي طوّرها سيد قطب عبر سلسلة من كتبه، وعلى رأسها فكرة (الحاكمية) التي اندغمت في خطاب السلفية الجهادية لاحقاً، وما كتبه الشيخ محمد بن ابراهيم من انتقادات لاستعارات النظام السعودي لقوانين مدنية من أنظمة تشريعية غربية ووردت في رساله (تحكيم القوانين).

إن السؤال عن تأثيرات فكرية تركها «الإخوان المسلمين» على التيار السلفي الوهابي في المملكة وعلى جماعة جهيمان العتيبي، كأول تنظيم سياسي اعترض داخل المجال الوهابي نشأ بعد قيام الدولة السعودية جرى طرحه في سياق التوتر بين السعودية والإخوان المسلمين، لا سيما حين يجري الحديث عن نزعة تكفيرية لدى التيار السلفي الوهابي، وأنها مستعارة من التيار القطبي (نسبة الى سيد قطب).

ولا يمكن فصل الاتهامات السعودية لجماعة «الاخوان المسلمين» بتطوير خطاب راديكالي داخل المملكة عن الانتقادات الواسعة التي تعرّضت لها الأخيرة نتيجة ضلوع مواطنيها في الارهاب الدولي بعد هجمات الحادي

عشر من سبتمبر سنة 2001 في الولايات المتحدة. وعليه، يسترعي هذا المعطى تحفظاً إزاء إطلاق الاتهامات ضد جماعة الإخوان المسلمين، مع وضع دورها في صوغ خطاب إسلامي عام في الحسبان.

في الجواب: إن عنصر التكفير في خطاب جماعة جهيمان يحيل للمراجع الوهابية حصرياً، حيث يبدو هذا العنصر راسخاً ومؤصلاً، قبل قرنين من نشأة جماعة «الإخوان المسلمين» والتيارات التكفيرية المنشقة عنها مثل جماعة الدعوة والهجرة (وتعرف في الاعلام باسم جماعة التكفير والهجرة)، والتيار القطبي، والجماعة الاسلامية بقيادة الشيخ عمر عبد الرحمن..

في ضوء ما سبق، إن قراءة ناصر الحزيمي لتجربة جماعة جهيمان، والتي انفصل عنها وانقلب على أفكارها هي بمثابة إسقاط متأخر، إذ يسبغ على الوقائع وعيه اللاحق. وإن أقصى ما تمّذنا قراءة الحزيمي أن ثمة قنوات جديدة طرأت على مسيرته الحركية فرضت نفسها في تقويم تجربته السابقة، وجعلت منه ناقماً عليها الى حد تصويرها خلاف حقيقتها الواقعية.

وعلى الضد من رأي الحزيمي، فإن الأمير نايف وزير الداخلية صرح أن التحقيقات أكدت عدم وجود أشخاص يحملون فكر جماعة التكفير من الكويتيين والمصريين المتورطين مع جماعة جهيمان العتيبي⁽¹⁴⁾.

على أي حال، فإن ميول جهيمان ورفاق دربه في «الجماعة السلفية المحتسبة» نحو إلاستلهام من تجربة «الإخوان» (أي الجيش العقائدي لابن سعود) ومحاولة إعادة إحيائها يجعل منهم امتداداً لحركة تصحيح محلية. وبالرغم من أن الحرس الوطني ضمّ بقايا «الإخوان» الذين تربوا على الولاء لأسرة آل سعود، إلا أن ثمة نوستالجيا كامنة برزت وسط مجموعة جهيمان وكانت تنزع نحو إعادة أمجاد «الاخوان»، وإن لم تكن تأخذ في

(14) منصور النقيدان، قصة وفكر المحتلين للمسجد الحرام، مصدر سابق ص 114 عن (وَمَوْتِ الفتن، اصدار جريدة الندوة 1980، ص 88)

المرحلة الأولى طابعاً سياسياً بقدر ما هي عودة إلى حياة الالتزام بالتعاليم الوهابية الأصلية، وهذا ما أثار حفيظة علماء السلطة الذين شعروا أن هذه المجموعة تشكّل خطراً على نفوذهم ومكانتهم لدى آل سعود. الشيخ عبد العزيز آل الشيخ إمام الجامع الكبير في الرياض ومفتي المملكة الحالي وصف في خطبة له جماعة جهيمان بالخوارج وقال (إنهم يدعون السلفية والسلفية منهم براء)⁽¹⁵⁾.

كان مآل الحلف الذي انفرط عقده بين الملك عبد العزيز والاخوان إحدى القضايا المهمة التي شغلت تفكير جهيمان وظهرت بشكل واضح في رسائله. وقد وصف جهيمان حال الحرس الوطني، الذي يمثل الحاضنة الكبرى لبقايا الإخوان: «فأنت لن تجد في فوج كامل من الاخوان الا ثلاثة أو أربعة» كما جاء في رسالة له عام 1977. وما ذكره يعبر عن تحوّل كبير مقارنة بالحال قبل عشرين عاماً إذ كان الاخوان هم الغالبية الساحقة.

وفي مقابلة مع ولي العهد فهد بن عبد العزيز، الملك لاحقاً، مع جريدة (السفير) في 10 يناير 1980 يذكر فيها أن جماعة جهيمان بدأوا بانتقاد علماء الحكومة الرسميين وطرحوا أسئلة عن شرعية الحكم السعودي والتشكيك في تطبيق ال سعود للشرعية. ويقول «يأتي أفرادها إلى المساجد وإلى الناس البسطاء يحاولون إفهامهم أن العقيدة الإسلامية بدأت تضعف في المملكة وأنه لابد للقاعدة الإسلامية أن تنتبه». وتحذّر عن خلاف نشب بين الجماعات السلفية حينذاك «حتى وصلوا إلى الشقاق والخلاف إلى درجة أن بعضهم صار يصلي جماعة أخرى، بعد صلاة الجماعة السلفية..»⁽¹⁶⁾.

يقول الحزيمي أن الاخوان كسروا حاجز الهيئة بين المفتي والمستفتي، وكانوا عاملاً في كسر احتكار العلم الشرعي لفئة من الفقهاء وأساتذة

(15) النقيدان، مصدر سابق، ص 114

(16) النقيدان، (الجماعة السلفية المحتسبة..دراسة في فكر المحتلين للمسجد الحرام)، مصدر سابق ص 71

الجامعات، ويمكن القول إن «الاخوان «جمهروا» العلم وجعلوه شعبياً وبثوا روح المحاجة بين العوام⁽¹⁷⁾..

أقام «الاخوان» بيوتاً لهم في الرياض وجدة ومكة والطائف وحائل والاحساء وكلها دانت بالولاء لجهيمان، وكان ابو بكر الجزائري مندوب الشيخ ابن باز في الجماعة، ولكنه قرر الخروج من قيادة هذه الجماعة بعد أن فقد السيطرة عليها، وكان العمل التنظيمي الفعلي والأفكار بيد جهيمان الذي صعد من خطابه ضد الدولة، ووجد الجزائري نفسه أمام مفترق طرق بين العمل مع الدولة أو جماعة جهيمان، الذي كان يتهمه بنقل تقارير عن الجماعة إلى «الداخلية».

بعد الاعتقال الاول الذي تعرضت له جماعة الاخوان السلفيين وخروج أعضائها من السجن تنامت شعبية الجماعة فكان الانجذاب اليهم لافتاً وقوياً. يحدّد منصور النقيدان الفترة ما بين 1987 - 1995 بكونها فترة ازدهار وانبعث ثان لأهل الحديث، وهو الاسم الآخر للجماعة السلفية المحتسبة، إذ أعيد تشكيل المجموعة مرة أخرى في المرحلة ما بين 1995 حتى 2003، وبذلك «دخلت طوراً آخر عرف فيما بعد عند المراقبين والباحثين بـ «السلفية الجهادية» التي تجعل من جهيمان العتيبي رمزاً وشخصية ملهمة» وكان منظر الجهادية السلفية الأردني عصام البرقاوي (ابو محمد المقدسي) جسراً ووصلة تحوّل رئيسة في كل هذا⁽¹⁸⁾.

رسائل جهيمان...يونيبيا الامارة الوهابية

توصل الرسائل التي كتبها جهيمان العتيبي بالاستعانة برفاق دربه إلى نتيجة واحدة أن المملكة السعودية لم تعد هي الدولة الضامنة والحارسة للتعاليم الوهابية، وأن الواقع القائم لا بد من تغييره بكل السبل وان

(17) الحزيمي، المصدر السابق ص73

(18) النقيدان، (الجماعة السلفية المحتسبة..دراسة في فكر المحتلين للمسجد الحرام)، مصدر سابق

تطلب رفع السلاح. من نافلة القول، إن رسائل جهيمان باتت مكوّناً أساسياً في أدبيات السلفية الجهادية بكل أطرافها وعلى رأسها (شبكة القاعدة وتنظيم داعش).

يصدر جهيمان عن رؤية شديدة الخصوصية، لا صلة لها بالواقع، فهو لا يقدم رؤية متطورة لتجربة في الحكم أو في العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وإنما يحيل إلى التجارب السابقة لجهة إعادة انتاجها. ليس في رسائل جهيمان ما يشير إلى تحوّل في العقل السلفي، فهو يبقى ماضوياً حتى وهو يمارس عملية النقد من داخل التجربة لا من أجل تطويرها، وإنما بالعودة إلى الشروط المسؤولة عن انتاجها وصوغها وفق المعايير التي أضفت عليها تلك الخصوصية.

نشير الى أن رسائل جهيمان كانت تعرض على الشيخ عبد العزيز بن باز قبل طباعتها، وكان يتعمّد أتباع جهيمان إيصالها له، ولم يصدر منه ما يفيد المعارضة في البداية على الأقل. ولكن بعد مقتله وجماعته، أصدر مجلس هيئة كبار العلماء في دورته الخامسة عشرة في مدينة الرياض في النصف الأول من شهر صفر عام 1400 الموافق 21 ديسمبر 1979 فتوى وصفت فيها رسائل جهيمان بأنها تشتمل على «الشبه الأثمة والتأويلات الباطلة والاتجاهات الضالة ما يعتبر بذور شر وفتنة وضلال وطريق إلى الفوضى والاضطرابات والتلاعب بمصالح البلاد والعباد...». وحذّرت الهيئة «المسلمين جميعاً» مما في تلك المنشورات⁽¹⁹⁾.

في (رسالة الإمارة والبيعة والطاعة وحكم تلبس الحكام على طلبة العلم والعامّة)، يؤكّد جهيمان على أن واجب الخليفة هو تحكيم الشريعة، وإلا «فقد ضل عن سبيل الله...». ويرى أن واقع حال المملكة السعودية هو «تعطيل الحكم بكتاب الله».

(19) الشيخ عبد العزيز بن باز، حادث المسجد الحرام وأمر المهدي المنتظر، الموقع الرسمي انظر:

<http://www.binbaz.org.sa/mat/8202/print>

ويقسّم جهيمان الحكومات في بلاد المسلمين في ضوء حديث نبوي عن أطوار الحكم في تاريخ المسلمين إذ تبدأ بخلافة نبوة ثم ملك عاص وملك جبري وما تستوجبه من مواقف ذات صلة بالمبايعة والطاعة والخروج. يخلص جهيمان من هذه المقاربة لا لجهة الاستعراض فحسب بل والاسترشاد لנاحية نزع المشروعية عن الحكم السعودي. يتأكد ذلك من تقسيم دور القيادة في الامارة والخلافة، على أساس العلاقة العضوية بين (الشريعة والمشروعية)، فكل نظام يقوم على تطبيق الشريعة هو الشرعي ودونه فاقد للشرعية، وإن ادّعى الاهتداء بدين الله وسنة نبيه وهذا يندرج في قائمة (الملك الجبري) على حد قوله وهذا «لا بيعة له ولا طاعة، حتى لو حكم له بالإسلام».

توصيف جهيمان للواقع لا يؤسس لموقف مناقض، أو بالأحرى متطور، وإنما يخضعه لمعايير تاريخية وأيديولوجية. على سبيل المثال، يرى جهيمان أن المسلمين يعيشون اليوم في الملك الجبري «الذي ليس المسلمون فيه هم الذين يختارون الخليفة وإنما هو الذي يفرض نفسه عليهم، ثم يبايعونه بيعة مجبورين عليها، ولا يترتب على عدم رضاهم بهذا الخليفة أنه يعزل...». قد تبدو النكهة الديمقراطية شاخصة هنا، فيما لو اقتطع عن سياق بقية النص، ولكن ما يلبث أن يوضح الغايات من البيعة بل ومن الدولة عموماً. فهو يؤكد أن «حكّام المسلمين اليوم لم يبايعوا الناس على ما بايع عليه الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من القول بالحق حيثما كانوا ونصرة الدين، بل على نظام وقوانين ليس فيها من الشرع إلا ما وافق الهوى، وأما ما خالف فلا، والمقصود أنه ليس خلافة على منهاج النبوة». فالبيعة مشروطة بتطبيق الشريعة، وليس القيام بوظائف الدولة: تنظيم المصالح وحفظها، ودرء المفاسد العامة، وحماية الأفراد من أشكال العدوان كافة، وتحقيق العدل والمساواة..

في إطار أدلجة الدولة، يصرّ جهيمان على مواصفات خاصة بالسلطة،

مستمدة من النص الديني السلفي والواقع التاريخي الذي يخضع لتفسير إيديولوجي ضيق. فمع أن جهيمان لا يكفر الحكام الا أنه يرى بيعتهم باطلة شرعاً بالأدلة من الكتاب والسنة، حسب قوله. ويذهب جهيمان إلى شرط القرشية في الامام والخليفة، وهو من تجب بيعته وطاعته.

في مقاربتة النقدية للملك الجبري ودعوته للخروج عليه، لا كلام عن شكل السلطة (مستبدة أم ديمقراطية). فالملك الجبري مكافئ لانتهاك سيادة الشرع، واستعارة المنجزات الحديثة. وهو يرى أن وجود الحكام الجبابرة «هلاك للدين وهدم للحق وإحياء للبدعة وإطفاء للسنة..». ويعد آل سعود أنهم من الحكام المنافقين «فتراهم - مع إظهارهم الإسلام - يوالون الكفار والمشركين..». ويضيف إلى ذلك في ردّه على من يرون الخير من قيام دولة الاسلام ورفع راية التوحيد أنهم تعاملوا عن «تعطيل الجهاد وموالة النصاري للمصالح الدنيوية». وهنا تبدو روح «الاخوان» حاضرة في احتجاجات جهيمان، وكأنه يعيد تلك الانتقادات على النظام السعودي في عصره.

وبخلاف التسلسل الافتراضي، فإن البديل عن الملك الجبري ليس الملك الديمقراطي أو الملك الشوروي، وفق التعبير الديني، وإنما حكم الشريعة، بصيغته السلفية الصارمة. وهذا لا يتحقق سوى بوجود جماعة يعقوبية، أو الصفوة الثورية (كتلك التي ظهرت في بداية الثورة الفرنسية) التي تتولى مهمة الفعل التغييري الراديكالي في مرحلة الانطلاق، وهو ما يومئ به جهيمان له في حديثه عن «الطائفة المنصورة» وهو النموذج «الذي رضيه الله لنا وأمرنا به؛ فهو نصر دينه حتى يكون ظاهراً على الدين كله». والطائفة المنصورة، بحسب جهيمان، تتمايز عن طائفتي (أهل العلو والفساد، وأهل الذلة والمسكنة). وهنا يستمد جهيمان رؤيته من ابن تيمية كما وردت في مجموعة الفتاوى، وسوف نعثر في أدبيات السلفية الجهادية (القاعدة وداعش) على تنظيرات حول الطائفة المنصورة تستلهم مما كتبه جهيمان وغيره من منظري الوهابية في هذه المسألة.

خَصَّ جهيمان مساحة كبيرة لنقد الدعاة والعلماء الذين ارتضوا الدعة والمسكنة والنأي عن مطلب «قيام السلطان مع الدين». يؤكّد جهيمان على اندغام السلطان والدين، وأن وظيفة الدعاة والعلماء تنحصر في مراقبة الانصهار الثام بينهما في الواقع الخارجي، وإعلاء الصوت في حال انفصام العروة بين الدين والسلطان. وهذا ما يأخذه جهيمان على علماء الوهابية في الدولة السعودية إذ لم يكن «لهم استعداد لأن يقيموا الدين من الجانبين - ألا وهو جانب المجاهدة بالحجة من الكتاب والسنة وبيان سبيل المجرمين والدعوة إلى الحق والصبر على الأذى، وجانب القسوة التي تحملهم على إقامة الجهاد ونصرة دين الله وإقامة دولة الإسلام..».

تنبّه الاخوان القدامى والجدد إلى ما يمكن أن يقع فيه العلماء في مداھنتهم لأمرآء آل سعود. في الخلاف الحاصل بين «الاخوان» وابن سعود بعد احتلال الحجاز ومطالبة قادة الاخوان بتولي ادارة شؤونهم لكونهم هم من «فتح» الحجاز، أخذ الإخوان على العلماء مداھنتهم لابن سعود، ما اضطر الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ، أعلى سلطة دينية في زمان ابن سعود إلى كتابة رسالة إلى الاخوان يؤكد فيها على طاعة الامام والتمسك ببيعته وحذر من نقض العهد، وقال «وقد بلغني عن بعض من غرّه الغرور، من الطعن في العلماء، ورميهم بالمداھنة...»⁽²⁰⁾. وهي الملاحظة التي حملها جهيمان العتيبي ودونها في إحدى رسائله واتهم بعض العلماء بمداھنة آل سعود.. وهي نفس الملاحظة لدى القاعدة ومن جاء بعدها، إلى درجة أن هناك من كَفّر ابن باز وابن عثيمين لتماھيهما مع آل سعود..

يستحضر جهيمان حقبة النزاع بين عبد العزيز و «الاخوان» كما لو أنها الدليل الإرشادي له في مواجهة آل سعود في زمانه. وكتب تحليلاً دقيقاً لجذور الخلاف بين عبد العزيز والإخوان وبينهم وبين المشايخ. فقد انتقد المشايخ وموقفهم من عبد العزيز وصنّفهم «بين موافق له ومعزز له

(20) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، مصدر سابق، الجزء التاسع ص 91

بما يشاء وآخر ساكت عن باطله، وآخر التبس عليه الأمر». أما عن خلاف «الإخوان» وابن سعود، فقدّم جهيمان رؤية وهابية أصيلة، وقال أن الإخوان كانوا «يجاهدون ويفتحون البلاد ويرسلون له - لابن سعود - بما للإمام من الغنائم والخمس والفيء ونحو ذلك على أنه إمام المسلمين. ثم لما استقر سلطانه، وحصل مقصوده والى النصارى. ومنع مواصلة الجهاد في سبيل الله خارج الجزيرة فلما خرجوا لقتال المشركين في العراق.. لقبهم هو ومشايخ الجهل الذين معه لقبوهم باسم يكرهه أهل الإسلام وهو (الخوارج) مع أن الإخوان لم يخرجوا عليه ولم يخلعوا يداً من طاعة وإنما لم يطيعوه حينما نهاهم عن الجهاد... ثم واصل السير على نهجه أبناؤه من بعده حتى وصلت بلاد المسلمين..» وتساءل أخيراً: «أين الحكم بالكتاب والسنة الذي ادعوا الحكم به أول ملكهم ويدّعيه كل من تجددت له بيعة منهم؟؟.. وإن طالت بك حياة لتجدن الولد يشابه أباه ويشعلون الحرب بين المسلمين ويسيّرون بعضهم على بعض»⁽²¹⁾.

يستعيد جهيمان في مطالعته النقدية جذر المشكلة وجوهرها بين الإخوان وابن سعود، بما يشي بكثافة حضور التجربة الاخوانية في أداء جهيمان ورفاق دربه. فهو هنا يشن حملة انتقادات لثنائية الأمير والشيخ، بكونها مقطوعة الصلة بالتحالف الرباعي الذي كان قائماً في بداية الدعوة الوهابية، فأهدافه لم تعد دينية بل تحولت إلى سياسية. شنّ جهيمان على مشايخ السلطة ووضعهم في خانة «من يبايع الظلمة ويسكت عن باطلهم» طمعاً في الدنيا، ويلحق بهم «المطاوعة» و «المُرشدِين». وقال عنهم: «فوالله لو أن المرشدين كما زعموا في دار الإفتاء والحرس والجيش وغير ذلك؛ بينوا تحريم هذه الأعمال عند أولئك الأمراء، لتبصر الكثير من محبي الخير ولعرفوا دينهم وأرضوا ربهم، ولكن والله لو فعلوا؛ ما تركهم هؤلاء الأمراء - الذين لم يستقيموا لا في العلم ولا في العمل - ما تركوهم ليلة واحدة وهم تحت أيديهم في أحسن المساكن وأخفم المراكب...».

(21) جهيمان العتيبي، رسالة الإمارة والبيعة والطاعة، طبع خاص، د.ت. ص 29

في رسالة (الميزان في حياة الانسان) يخبر جهيمان عن دراسته في دار الحديث وينقل عن أحد طلابها قوله «يا فلان! والله لقد دخلت دار الحديث والجامعة وتخرجت منها ولم أستاذ شيئاً، وإنما عرفت من طلبة الجامعة ومدرسيها أنهم «متعوشة»!!)، يقصد أنهم يدرسون من أجل المعاش والشهادة التي يتعيشون بها.. ولولا خوفي عليه من الفتنة لذكرت اسمه، إلا انه استثنى رجلين وهما الشيخ «عبد العزيز بن باز»، والشيخ محمد الأمين بن محمد بن المختار «الشنقيطي» صاحب تفسير «أضواء البيان».

ويرد على من يحتج عليه بما كان يفعله المفتي السابق الشيخ ابن باز، وطريقته في إنكار المنكر. فردّ عليهم بالقول إن حكّام آل سعود لم يبقوا له مكانته العلمية، بل أصبح مجرد «موظف إداري» ويخدعونه بـ «أبونا» و«والدنا» و«شيخنا» وغير ذلك من إطراءات المنافقين، وإنما يأخذون منه ومن علمه ما وافق أهواءهم، فإذا خالفهم بالحق لم يتخرجوا في مخالفته ورد الحق، وهو يعلم ذلك جيداً..». ويؤكد جهيمان أن أهل الحكم في المملكة السعودية إنما اختاروا أمثال ابن باز «ممن يثق الناس بدينهم وعلمهم، اختاروهم من غير المبصرين لئلا يروا كثيراً من المنكرات، وإذا لاقوهم تدهنوا بالطيب وقبلوا جباههم وداهنوا معهم وناقفوا حتى يزيلوا ما في أنفسهم إن كان قد وصل إليهم شيء من أخبارهم السيئة..». وعليه، يرى أن دور ابن باز الوعظي لم يعد مؤثراً فهو «مستمر في الإنكار وهم مستمرون في المنكر..».

يرسم جهيمان في رسالته (رفع الالتباس عن ملّة من جعله الله إماماً للناس) خارطة الانقسامات داخل المجتمع الاسلامي، ويقدم مطالعة تفصيلية كيما يخوض في المسألة الشائكة، وهو ما كان يحمله الإخوان على علماء الوهابية في زمن عبد العزيز، واتهامهم لهم بالمداهنة والسكوت عن الحق.

وكتب جهيمان فصلاً بعنوان: «فصل في بيان أن قيام الدين لا يكون بالمداهنة والسكوت بل بالصدع بالحق والصبر على الأذى». وقال أن العلماء

أخذوا «بالجانب الذي يرضى الظلمة به ويوافقونهم عليه...». ووجه خطابه إلى الإنسان العادي وطالبه أن يعرض نفسه على الكتاب والسنة، وأن يحذر من تلبيس المبلسين ولا ينخدع بثناء الناس على هؤلاء الدعاة.

في التحليل الاجمالي، يقدم جهيمان قراءة نقدية لحال تيار المشايخ والدعاة الوهابيين في المملكة وعلاقتهم بالسلطة، وتأثيرات الأخيرة على وظائفهم، وتشكيلهم قوة حمائية للسلطة بمنعها كل من يضطلع بالدور الدعوي الحقيقي القائم على الدعوة إلى التوحيد وذم الشرك بأنواعه، والمجاهرة بالعداء للكفار والتبرؤ منهم علناً، وهي الطائفة الناجية بحسب جهيمان.

رسم جهيمان خارطة طريق، أو بالأحرى استراتيجية التغيير التي تفضي في نهاية المطاف إلى الالتحام بالدولة وإطاحتها، لناحية إعادة انتاج الدولة الوهابية الأولى. ويحدد جهيمان ثلاثة مراحل للوصول إلى الهدف وهي:

1. قول الحق في الدعوة لتوحيد الله عزو وجل، والتبرؤ من الشرك وأهله والبدع وأهلها والمعاداة في ذلك.
2. عند ذلك يحصل الإيذاء والإخراج من الديار والأموال وتكون الهجرة إلى مكان يجتمعون فيه.
3. ثم بعد ذلك يكون القتال.

والحال أن هذه المراحل تمثل خارطة طريق لحركة سلفية جهادية تنشق من داخل الحركة السلفية التقليدية، أي إعادة إحياء تجربة «الإخوان»، بعد أن تخلّى الدعاة والعلماء عن وظيفتهم الدعوية الجهادية مذ تماهوا مع السلطة، ونبذوا تعاليم الوهابية الأصلية وراء ظهورهم بوصفها هجرة وجهاً إلى يوم القيامة. خارطة تقوم على تكفير المجتمع ثم الهجرة منه وثالثاً إعلان الجهاد عليه.

في مقالته (البيان والتفصيل في وجوب معرفة الدليل) يتحدث جهيمان عن غربة الاسلام، والتي يرى أنها تشبه «غربة الاسلام الأولى». ويصوغ

جهيمان رؤيته في اللامذهبية، أي التخلي عن المذاهب والعودة إلى الكتاب والسنة دون واسطة، وقد فتح ذلك الباب أمام دخول مئات بل آلاف من طلبة العلم إلى عالم الافتاء، وألغى، في نهاية المطاف، التراتبية الدينية والعلمية، وجعل من الافتاء مهمة عامة ليست خاضعة لمعايير علمية صارمة ومعقدة، فكل من يفهم الكتاب والسنة يصبح مرشحاً بصورة تلقائية لمزاولة دور المفتي. وسوف تظهر آثار هذه الرؤية المتساهلة في ممارسة عدد كبير من الأمراء الشرعيين لمهمة الافتاء في تنظيمات السلفية الجهادية، وإصدار فتاوى في أشد الموضوعات حساسية وخطورة.

في رسالة (الفتن وأخبار المهدي.. ونزول عيسى عليه السلام وأشراف الساعة) يؤسس جهيمان العتيبي بعد ثماني سنوات أمضاها في تتبّع أخبار المهدي والدجال وأشراف الساعة لمشهد اسكاتولوجي يكون مرشداً لحركته المهديوية.

قد يلفت تفسير جهيمان للروايات الواردة في آخر الزمان وخروج المهدي إلى الأدلجة الجامحة إذ يميل إلى تظهير الواقع وفق المعطيات الواردة في الروايات. يفسّر جهيمان ما ورد في حديث منسوب للنبي (ص) حول الفتنه وأنها «لاتدع بيتا من العرب إلا دخلته..»، وطبّق ذلك على الصور الموجودة على أوراق العملة «فما تكاد تجد بيتا من العرب إلا دخلته..». وقد استحوذ موضوع الصور والتصوير على اهتمامات جهيمان ومجموعته.

فسّر جهيمان ما جاء في حديث نبوي (ثم يصطليح الناس على رجل كورك على ضلع) وطبقه على عبد العزيز ابن سعود لتوحيده جزيرة العرب وكانت مليئة بالحروب من قبل. ولكن الحال بعد ذلك تبدّل كما يقول جهيمان «ونحن الآن في فتنة الدهيماء» ومن صورها: الاذاعة، والتلفاز والصور وغيرها.

جهيمان الذي مثّل نموذجاً وفتياً للتعاليم الوهابية وأراد إحياءها في حركته التصحيحية، راح يوظف روايات آخر الزمان في الخصومة مع ابن سعود.

وكان يربط حركته في سياق علامات وأشراط خروج المهدي، وكأنه يلمح إلى أمر يقدم عليه، كظهور المهدي في البيت الحرام، وطلبه البيعة من الناس. ويلفت إلى أن «النصر الاسلامي ليس بكثرة عدد ولاعدة كما فتن بذلك أهل هذا العصر المادي...».

لعب كتاب (إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط والساعة) للشيخ حمود بن عقلا التويجري، المطبوع سنة 1396/1976 بالرياض دوراً رئيساً في صوغ رؤية واستراتيجية عمل جماعة جهيمان التي أخذت منحى مسلحاً بعد أن نجح في استدراج بعض عناصر الجماعة السلفية المحتسبة نحو خياره التضحوي، أو بتوصيف أدق الانتحاري.

استلهمت جماعة جهيمان من كتاب (إتحاف الجماعة) الرؤية الاستشراعية وأخبار نهاية العالم، إذ رصد التويجري كل القصص التي تتحدث عن علامات آخر الزمان وأشراط الساعة. وراح يفسر الفتن التي تناولها المؤرخون السابقون في كتبهم، ومنها على سبيل المثال فتنة السراء كما أوردها ابن الاثير في كتابه، ووجد أنها تطبق على ما وقع بين أهل نجد والأترك والمصريين من الحروب العظيمة في القرن الثالث عشر من الهجرة⁽²²⁾. كما فسّر الحوادث التي جرت في المنطقة الممتدة من المغرب وحتى اليمن والشام والعراق ووضعها في صيغة فتن لكونها م مهدات لخروج المهدي، وهذا ما يجعل الأدلجة المسرفة طاغية على تفسيرات التويجري للحوادث الجارية في التاريخ وما سوف يقع في المستقبل حول خسف وطوفان ورجف وزلازل، بحسب ما ورد في الروايات المدونة في الكتب التاريخية الاسلامية.

اعتمد جهيمان ومحمد بن عبد الله القحطاني، مهدي الجماعة، على رواية خسف الجيش القادم من تبوك حسب ما أورده التويجري في (باب ما

(22) كتب التويجري «وقد كانت هذه الفتنة من أعظم الفتن التي وقعت في هذه الامة وقد وهى الاسلام بسببها وانظمست أعلامه حتى رد الله الكرة لأهل نجد بعد ذلك ذلك فعاد الاسلام عزيزاً ولله الحمد والمنة»، حمود بن عقلا التويجري، إتحاف الجماعة، ص 42

جاء في الخسف بالجيش الذي يغزو الكعبة)، وحدث إرباك شديد وسط المجموعة التي كانت داخل الحرم حين قتل القحطاني.

وعَلّق التويجري على حديث (لتنقضن عرى الاسلام عروة عروة.. الخ) بما نصّه: «وقد وقع مصداق هذا الحديث في زماننا حيث نبذ كثير من المنتسبين إلى الاسلام الحكم بالشريعة المحمدية وراء ظهورهم واعتاضوا عنها بالقوانين الوضعية التي هي من حكم الطاغوت والجاهلية»⁽²³⁾. في إشارة الى استعارة المملكة السعودية قوانين مدنية أوروبية وهو ما حذّر منه الشيخ محمد بن ابراهيم، وقد وضع التويجري ذلك في خانة علامات آخر الزمان.

خصّص الشيخ التويجري الجزء الثاني في ما جاء في المهدي والاحاديث عليه والايمان به وخروجه والجدل حوله، ولكن الأهم في ذلك هو ما جاء في (القحطاني) الذي طبّقته جماعة جهيمان على محمد بن عبد الله القحطاني⁽²⁴⁾. تناول التويجري أيضاً الآيات والظواهر الطبيعية والوقائع البشرية التي تسبق ظهور المهدي أي القحطاني.

في الموعد المضروب سلفاً، قاد جهيمان حركة تمرد مسلحة ضد الدولة السعودية تكون مقدمة لعملية تغيير ثورية وشاملة في الأمة من خلال حركة المهدوية. فاختار الحرم المكي مكاناً لإعلان دعوته التصحيحية، واقتحم ومجموعته المسجد الحرام بعد نهاية موسم الحج لعام 1400هـ/ نوفمبر 1979، وتيقّنت المجموعة أن ما كان ذات مرة مجرد «مزحة» أصبح إيماناً راسخاً، فراح محمد بن عبد الله القحطاني يتصرّف على أساس أنه المهدي الفعلي، وساعدته على ذلك علامات فهم منها جهيمان ومجموعته على أنها دلالات على صحة الاعتقاد..

(23) التويجري، إتحاف الجماعة، ج1 مصدر سابق ص 397-398

(24) التويجري، إتحاف الجماعة، ج1 مصدر سابق، ج2 ص 43

ولكن مفاجأة وقعت في الساعات الأولى من العملية، إذ كان القحطاني من بين أوائل القتلى، وكاد يفرط عقد الجماعة على الفور، لولا استعانة جهيمان بالأفكار الغيبوية، فراح يخبر رفاق سلاحه وعقيدته أن القحطاني لم يمت ولكنه حوصر، وسوف يظهر عمًا قريب، وإن بشارة خسوف الجيش القادم من تبوك قد أمدّت المجموعة برصيد معنوي لبعض الوقت ولكن ما لبث أن تراجع تدريجاً، فيما أنهك الجوع والتعب المجموعة وقرروا في نهاية المطاف الاستسلام إما للموت أو الاعتقال..

في تحليل تجربة (الجماعة السلفية المحتسبة) أول ما يظهر في أسباب الفشل الرئيسة هو العسكرة المبكرة التي جنحت إليها الجماعة قبل نضوج شروط نجاحها. فالانتقال من النشاط الدعوي إلى العمل المسلح محمولاً على الفكرة المهدوية أجهض مشروع التغيير المأمول، وهو ما أدى إلى موت المشروع ومقتل أفرادهِ. بكلمات أخرى، كان إصرار جهيمان على خيار المصادمة مع النظام في مرحلة الإنطلاق قد أفضى إلى عزله ومجموعته عن التيار الوهابي العام الذي أراد اختراقه، بهدف تشكيل تيار شعبي جديد يحمل مشروعه التغيير.

في الأخير، أسدل الستار على قصة جهيمان العتيبي ورفاق دربه بالإعدام، ولكن بقيت أفكاره حيّة، مؤثرة، وساحرة، وبعد عقد من الزمن عاد جهيمان في شكل آخر، بوجه، يلهم، ويرشد إلى ذات الانتقادات والأفكار الطموحة وقد اعتنقها التيار الصحوي في تسعينيات القرن الماضي أول مرة، ثم اندغمت في خطاب السلفية الجهادية لدى «القاعدة» و «داعش».

الفصل الثالث

التأسيس الثاني للوهابية الأولى

الصحة.. التأسيس الفكري للسلفية الجهادية

يمكن أن نعزو بوادر تشكّل تيار ديني في المجتمع الوهابي إلى مطلع الثمانينيات من القرن الماضي، حين قرر الملك فهد مواجهة المد الثوري الإيراني عن طريق الإفصاح في المجال أمام الوهابية كي تنهض مجدداً وتغمر الفضاء العام. وكنتيجة، انتقلت الوهابية من مجرد كونها ممارسة فردية حتى نهاية السبعينيات من القرن الماضي إلى ظاهرة شعبية في أوائل الثمانينيات لها مظهراتها في الشارع، حيث بدأت تتنامى ظاهرة اللحن الطويلة، والثوب القصير، والمطويات الدينية والمخيمات الدعوية، فيما ازدادت الجرعة الدينية في مناهج التعليم الحكومية بنسبة الثلث⁽¹⁾.

وقد خصّصت الحكومة السعودية ميزانية ضخمة للاحية تحصين الداخل إزاء تأثيرات الثورة الإسلامية الإيرانية التي فرضت نفسها على العالم بأسره. في إطار الترويج للعقيدة الوهابية حول العالم، يذكر ألكس ألكسييف، الخبير في شؤون الإرهاب في معهد مركز السياسة الأمنية الخاص في واشنطن، نقلاً عن أرقام الحكومة السعودية، أن الرياض أنفقت 70 مليار دولار بين الأعوام 1970 - 2002 بصفة مساعدات للخارج من دون احتساب الهبات الخاصة. وأوضح أن تنظيمًا خاصاً يقوم سنوياً بطباعة 13 مليون نسخة من الكتب الإسلامية ويمول ثلاثة آلاف رجل دين وأكثر من ألف مدرسة ومسجد.

ويعلّق السيناتور الديمقراطي تشارلز شومر من ولاية نيويورك «بفضل هذا التمويل، يمتد نفوذ الحركة الوهابية إلى الولايات المتحدة ويدخل حتى إلى المنظمات الإسلامية الكبرى في البلاد والمدارس والجيش...»⁽²⁾.

(1) في الندوة السنوية لمركز الدراسات العربية المعاصرة في جامعة جورجتاون في الفترة ما بين 23 - 24 آذار (مارس) 2006 في واشنطن ذكرت الباحثة سيرا كيردار في ورقتها أن الحصة المخصصة للمواد الدينية في السعودية تستغرق 33 بالمئة. انظر: فؤاد إبراهيم، السلفية الجهادية في السعودية، بيروت 2009، ص 160.

(2) مسؤولون أمريكيون يهتمون السعودية بتمويل الإرهاب، وكالة الأنباء الفرنسية، بتاريخ 30 يونيو 2003

من جهته، كتب السفير الأميركي في كوستاريكا كيرتن ويندزور دراسة بعنوان (السعودية، الوهابية وانتشار الفاشية اللاهوتية السنيّة)، تشتمل على ملاحظات مهمة حول الانتقال المفاجيء للوهابية من كونها عقيدة محلية محافظة إلى إيديولوجية ثورية عابرة للقارات. ويرى السفير ويندزور بأن الوهابية كانت مقتصرة على الجزيرة العربية حتى ستينيات القرن الماضي، ولكن تطوّرات لاحقة حصلت مثل الطفرة النفطية والتحديات التي واجهتها السعودية من الناصرية وتالياً الثورة الإيرانية، وانخراطها الإيديولوجي والسياسي في الحرب الباردة بين المعكسرين الرأسمالي والاشتراكي.. يذكر السفير ويندزور بأن السعودية أنفقت على الأقل 87 مليار دولار لنشر الوهابية في الخارج خلال العقدين الماضيين، وأن وتيرة الانفاق في السنوات الماضية (2005 - 2007) قد بلغت معدّلات قياسية. وتنفق هذا الاموال في الغالب على البناء والموازنة التشغيلية للمساجد، والمدارس، والمؤسسات الدينية الأخرى لنشر الوهابية، كما يتم دعم تدريب الأئمة، والهيمنة على وسائل الاتصال الجماهيرية ووسائل النشر، وتوزيع الكتب المدرسية الوهابية، وأدبيات أخرى، والأوقاف للجماعات (في مقابل التأثير على تعيين علماء الدين). يقارن السفير ويندزور بين الانفاق السعودي على نشر الوهابية مع انفاق الحزب الشيوعي السوفيياتي خلال الفترة ما بين 1921 - 1991 والذي يربو قليلاً عن 7 مليار دولار⁽³⁾.

إعادة الوهابية إلى الشارع مجدداً في عهد الملك فهد، بالرغم من معارضته الشخصية للتوجهات الدينية عموماً، لم يخرجها من إطارها المذهبي/الدعوي المحض. ولكن تحويل الوهابية إلى تيار شعبي ساهم في خلق بيئة حاضنة لحركة سياسية وظّفت شبكة المؤسسات الثقافية والمراكز الدعوية والمساجد المنتشرة في أرجاء العالم بأموال الدولة للترويج لأفكارها ورموزها التي لم تكن حينذاك تنطوي على مخاطر على نظام الحكم السعودي.

Curtin Winsor, Jr, Saudi Arabia, Wahhabism and the spread of Sunni theofascism; (3)

Mideast Monitor Volume 2 No 1, June/July 2007

وكان انخراط السعودية في مشروع «الجهاد الأفغاني» في مطلع الثمانينيات قد عزّز من فرص تبلور تيار شعبي بقيادة رجال الدين الوهابيين الذين زخموا التيار بأفكار في الجهاد إلى جانب أفكار أخرى كانت موضع اهتمام التيار السلفي مثل التغريب، والمرأة، والحرب الصليبية، والعلمانية، والطوائف الممتنعة.. الخ.

وفي بدايات التسعينيات من القرن الماضي، وبعد غزو نظام صدام حسين للكويت في آب (أغسطس) 1990، برزت حركة اعتراضية من داخل المجتمع الوهابي بقيادة مشايخ من الطبقة الثانية في التراتبية الوهابية في المملكة السعودية أمثال: سفر الحوالي، سلمان العودة، ناصر العمر، عايض القرني، عادل الكلباني، وأسّسوا ما عرف لاحقاً بتيار الصحو، وزوّدوا الساحة المحلية بفيض وفير من الخطب الاحتجاجية ضد المخالفات الشرعية للنظام السعودي. وهنا أخذ التيار الشعبي الوهابي طابعه السياسي بعد أن كان مجرد تيار ديني محض.

العامل الإخواني في الحراك الصحوي

جمع مشايخ الصحو بين العقيدة السلفية الوهابية وحركة «الاخوان المسلمين»، ما حدا بتصنيفهم، من قبل خصومهم، بـ «السروريين» نسبة إلى محمد بن سرور زين العابدين، رجل الدين السوري، عضو سابق في جماعة الاخوان المسلمين، جاء إلى المملكة السعودية في الستينيات من القرن الماضي وأصبح مدرس مادة الرياضيات في المعهد العلمي في بريدة في منطقة القصيم، وقد تأثر بالعقيدة السلفية، فيما نقل إلى تلاميذه تجربته الحركية الاخوانية.

ولفرط الحديث عن تأثير «الإخوان المسلمين» على مشايخ الصحو، نجد أنفسنا معنيين بقراءة تجربة الجماعة منذ هجرة عدد من قياداتها إلى المملكة السعودية في الستينيات من القرن الماضي، في سياق الصراع السياسي بين الزعيم جمال عبد الناصر والملك فيصل.

أول ما يظهر في الموجة الثانية من الهجرة الإخوانية التي شملت قادة وكوادر الإخوان، والتي تزامنت مع برامج التحديث، أي في مطلع السبعينات من القرن الماضي، حين أفاد «الإخوان المسلمين» من التجاذب الداخلي بين التيار الوهابي المتشدد والملك فيصل في مسائل تتعلق بالتحديث.

وبرغم تأثر «الإخوان المسلمين» بالسلفية الوهابية نتيجة «المعايشة» الطويلة معها في ظل بيئة مغلقة وتوجيه ثقافي صارم، إلا أن الإخوان مثلوا في المملكة على نحو ما «تياراً إسلامياً لا يعاني مشاكل مع التحديث السريع في الدولة التي باشر الملك فيصل بناءها على خلاف التشدد الوهابي الذي كان يرفض الآخر الأجنبي بكل أشكاله»، وقد عزز ذلك موقع الإخوان بفعل ولوجهم قلب المشروع التحديثي الذي بدأه الملك فيصل منذ أواخر الستينيات بحيث تمّد الوجود الإخواني في معظم الجامعات السعودية التي تأسست غالبيتها في هذه الفترة..⁽⁴⁾

في المسألة الحركية، وفي دور الشيخ محمد سرور زين العابدين على وجه الخصوص، أمكن القول بأن التيار الصحوي جمع بين منهجين: السلفية الوهابية والحركية الإخوانية، أو بحسب توصيف إبراهيم السكران، العضو السابق في تيار السرورية، للمنهج السروري أنه يقوم على المزج بين شخصيتين إسلاميتين هامتين هما: ابن تيمية وسيد قطب. في توضيح ذلك يقول السكران: أخذوا من ابن تيمية موقفه السلفي الصارم من المخالفين للسنّة من الفرق والمذاهب الأخرى مثل الشيعة، وبالتالي فهم استمدوا من ابن تيمية (المضمون العقائدي)، وأما سيد قطب فأخذوا منه (ثورته) وآمنوا إيماناً تاماً بمقولته في الحاكمية⁽⁵⁾.

(4) حسام محام، تسلّف الإخوان.. تآكل الأطروحة الإخوانية وصعود السلفية في جماعة الإخوان

المسلمين، ص 12، 13

(5) مشاري الذابدي، لغة القرضاوي، صحيفة (الشرق الأوسط)، 28 ديسمبر 2010

مهما يكن، لابد من التعاطي بحذر مع الدور المزعوم الذي لعبه الشيخ سرور زين العابدين في التأثير على مشايخ الصحو، وتصويره على أنه «مصدر إلهام» في الوسط السلفي الوهابي السعودي، مثل سلمان بن فهد العودة، وناصر العمر، وسفر الحوالي، عائض القرني، بالنظر إلى أن مدة إقامة الشيخ سرور في المملكة لم تتجاوز الثماني سنوات، أي في الفترة ما بين 1965 - 1973، أي في فترة كانت فيه أعمار مشايخ الصحو صغيرة نسبياً..

ثمة من يجادل بأن كتابات سيد قطب، ومنير الغضبان، ومحمد قطب ومحمد سرور زين العابدين، شكّلت مصادر ثقافية رئيسة لدى التيار الصحوي السعودي، برغم التزامه المبدئي والتام بالعقيدة الوهابية، كما يظهر في خطابات المشايخ وبياناتهم. وفي التفاصيل، أن الشيخ محمد سرور زين العابدين بعد انتقاله إلى بريطانيا وإصداره مجلة (السنة) من مدينة برمنجهام، طور خطاباً جهادياً راديكالياً في بداية التسعينيات بالتزامن مع «الفورة» الصحوية التي انطلقت في الرياض ثم انتقلت إلى مناطق أخرى من المملكة، فكان سلمان العودة يخطب في بريدة، وعائض القرني في أبها، وسفر الحوالي وناصر العمر في جدة، وسعد البريك في الرياض، وعادل الكلباني في الدمام..

تجدر الإشارة إلى أن الكتابات حول مشايخ الصحو خصوصاً من جانب الإعلام الرسمي في المملكة السعودية لعبت دوراً مفضلاً، الأمر الذي يفرض الحذر في التعاطي مع كل ما ينشر حول التيار ورموزه، خصوصاً ما يتعلق منه بارتباطهم بجماعة الإخوان المسلمين. المؤكّد أن مشايخ التيار رسموا بأفكارهم الثورية معالم مرحلة جديدة، بل وانقلابية في المجتمع الديني الوهابي وتركت لاحقاً تأثيراتها المباشرة على تنظيمات السلفية الجهادية قاطبة.

ما يلحظ في خطاب التيار الصحوي، أنه بقي ملتزماً وبصورة حرفية بالعقيدة الوهابية الأصلية بمضمونها الطائفي والتقسيمي، وأيضاً التكفيري. وبحسب الباحث محمد بو هلال فإن الفكر الصحوي في أساسه فكر

مذهبي «ينظر إلى الآخرين لا سيما المسلمين نظرة مذهبية، فهم إما سنّة أو شيعة أو خوارج أو مرجئة أو جبرية، أو قدرية أو معتزلة..»⁽⁶⁾.

كما شكّلت إطروحة الشيخ سفر الحوالي في «الإرجاء» مستنداً شرعياً لعقيدة التكفير، وزوّدت تنظيمات السلفية الجهادية بسلاح تحارب به علماء السلطة. وكان الحوالي قد انتقد الشيخ ناصر الدين الألباني، المختص بعلم الحديث في المدرسة السلفية، واتهمه بالإرجاء وقال ما نصّه:

«أن بعض علماء الحديث المعاصرين الملتزمين بمنهج السلف الصالح قد اتبعوا هؤلاء لالمرجئة في القول بأن الأعمال شرط كمال فقط، ونسبوا ذلك إلى أهل السنة والجماعة»، ونقل ذلك من كتاب الألباني (رسالة حاكم تارك الصلاة، ص 24)⁽⁷⁾. في المقابل، ردّ الألباني على الحوالي وخلص من قرائته لكتابه «...مع غلو ظاهر في بعض عباراته، حتى ليخيّل إليّ أنه يميل إلى مذهب الخوارج»⁽⁸⁾.

وفي فتوى للشيخ سلمان العودة في الألباني ونسبته للإرجاء، سئل: من هم المرجئة، وماهي أفكارهم، ومن يمثلهم في هذا الزمان؟ فأجاب بلغة مخفّفة بعد تعريفه أصل الإرجاء قائلاً: «وقد نُسب الشيخ الألباني إلى شيء من ذلك...»⁽⁹⁾.

من نافلة القول، أن حواراً جرى بين الشيخ الصحوي ناصر العمر مع الشيخ ناصر الدين الألباني في الأردن في أوائل التسعينيات من القرن الماضي،

(6) محمد بو هلال، خطاب الصحوّة السعودية..مقاربة لموقفها من العلمانية والديمقراطية والمخالف الفقهي والعقدي، ص 25

(7) سفر بن عبد الرحمن الحوالي، ظاهرة الإرجاء في الفكر الاسلامي، حاشية ص 350

(8) محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وأثرها السيء في الأمة، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، المجلد الرابع عشر، القسم الأول، الجزء 14، ص 949

(9) انظر رابط السؤال والجواب:

<http://www.muslim.net/vb/showthread.php?t=248947>

وننقله هنا حرفياً من مصدره:

العمر: يا شيخ أنا على استعداد أن أقسم بالله أن الشيخ سلمان العودة ليس من الإخوان المسلمين!

الألباني: دعنا من هذا القسم لكن هل تستطيع أن تقسم أن منهجه ليس منهج إخوان مسلمين؟

العمر: (سكت ولم يرد بكلمة)

الألباني: تعرف (عبدالرحمن عبدالخالق؟)

العمر: نعم أعرفه.

الألباني: هذا من طلابنا في الجامعة الإسلامية في المدينة ليس من الإخوان المسلمين لكن (انحرف) في إخواننا السلفيين في الكويت إلى منهج الإخوان المسلمين⁽¹⁰⁾.

ما سبق يفتح باب الجدل حول مدى حضور المكوّن الفكري/المنهجي الإخواني في الخطاب الصحوي، وعلى وجه الخصوص في مرحلة التأسيس في مطلع ثمانينيات القرن الماضي ووصولاً إلى ذروة النهوض الصحوي في النصف الأول من التسعينيات، أي قبل التحولات الفكرية والحركية التي شهدها التيار الصحوي عقب مرحلة السجن.

أدبيات الصحوة لا تزودنا بمعطيات متينة حول تأثيرات فكرية لجماعة (الإخوان المسلمين)، بل على العكس تماماً فإن كل ما قدّمه شيوخ الصحوة له جذور راسخة في العقيدة الوهابية الأصلية. تشي الردود التي كتبها مشايخ الوهابية، ومن بينهم مشايخ الصحوة، على طروحات رموز فكرية

(10) الشيخ سالم بن سعد الطويل، على خطى الإخوان المسلمين، جمعية إحياء التراث الإسلامي، بتاريخ 9 مارس 2009 انظر الرابط:

مقرّبة من (الاخوان المسلمين) مثل الشيخ محمد الغزالي والشيخ يوسف القرضاوي بنزوع سلبى إزاء أي نوع من الانفتاح على الآخر، حتى وإن كان هذا الآخر سنيًّا⁽¹¹⁾.

فلم تُحدث النزعة الحركية والثورية لدى مشايخ الصحوّة أدنى تغيير في جانب العقيدة التي بقيت متماسكة وراديكالية، كما لم تؤسس تلك النزعة لرؤى سياسية متطورة. بكلمات أخرى، أن المباحث في شقيها العقدي والفقهى كما قاربها التيار الصحوي كانت تقليدية وعقيمة⁽¹²⁾.

الصحوّة الوهابية

في واقع الأمر، أن خطاب الصحوّة كان وهايباً خالصاً وجهادياً وتكفيرياً. يمدّنا سلمان العودة في محاضرته (حي على الجهاد) بأدلة قوية على التزامه الصارم بالخط الوهابي الأصلي. وفي مقطع بالغ الدلالة يقول فيه:

«أصبح كثيراً - لا أقول من عامة الناس؛ بل من دعاة الإسلام مع الأسف في هذا العصر - يتصورون أننا في دعوتنا الناس جميعاً للإسلام ينبغي ألا نسلك إلا هذا الطريق، ولا نحتاج إلى رفع راية الجهاد، ولا نحتاج إلى حمل السيوف للقتال...». ويؤكد هذه الفكرة مجدداً وبأسلوب أشدّ صرامة:

«نرى كثيراً منهم يجهلون وجوب عداوة الكفار والبراءة منهم، فلا يعرفون الولاء والبراء؛ بل قد تجد المسلم يعيش إلى جنب اليهودي والنصراني والمشرّك والشيوعي سواءً بسواء، وتحت سقف واحد، يأكلون طعاماً واحداً، ويعملون في عمل واحد، وبينهم من الألفة والمودة الشيء العظيم

(11) يذكر على سبيل المثال كتاب صالح الفوزان في (نقد كتاب الحلال والحرام للإسلام) للشيخ القرضاوي، وكتاب سلمان العودة (حوار هادى مع محمد الغزالي) للرد على الأفكار التجديدية والتقريبية للآخر، وكذلك انتقاداته الشديدة لمدرسة الأثر وجمودها وتاليها استقالتها المطلقة، كما يفضل ذلك في كتابه (السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث).

(12) محمد بو هلال، خطاب الصحوّة السعودية، مصدر سابق

كأنهم إخوة، فحتى عوام المسلمين اليوم ضاعت منهم معاني الولاء والبراء، وفقدوا إحساس التميّز بالدين».

عالج العودة بطريقة تقليدية مفاهيم كبرى في العقيدة الوهابية مثل الهجرة والجهاد والطائفة المنصورة والولاء والبراء. وفي ضوء تفسيره لآيات وأحاديث الجهاد يرى «استمرارية الجهاد شرعاً وواقعاً» وأنها «تدل على ثبات الجهاد وبقائه إلى يوم القيامة». وكذلك الروايات الخاصة بـ «الطائفة المنصورة» وهي «باقية إلى قيام الساعة»، وأن من مهماتهم «أنهم يقاتلون أعداءهم، ظاهرين على من ناوأهم».

ويقول عن الجهاد أنه «شريعة وشرعة» وهي «باقية إلى قيام الساعة، فالجهاد مستمر شرعاً وواقعاً». وفي تفسيره لحديث نبوي «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية» أن الهجرة المقصودة في الحديث هي من مكة إلى المدينة، أما الهجرة بالمعنى العام فباقية إلى قيام الساعة، حسب قوله..

ويخلص العودة إلى نتيجة (من السذاجة أن نتصور أن الإسلام ينتصر وينتشر عن طريق الدعوة السلمية فحسب.. نعلم من دين الله وشرعه، كما نعلم من حقائق التاريخ، وتجارب الواقع، أن هذا الدين لا يمكن أن يستقر أمره إلا عن طريق الطائفة المنصورة التي تحمل راية الجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى»⁽¹³⁾.

عبّر مشايخ الصحوة، بصيغ متعددة، عن ميل شديد نحو إعادة إحياء التعاليم الوهابية الأصلية، وكانت عناوين ومضامين المحاضرات التي كان ينظمها قادة التيار الصحوي تستهدف تلك الغاية على وجه التحديد.

(13) سلمان العودة، حي على الجهاد، المبحث الأول، استمرارية الجهاد شرعاً وواقعاً في ضوء الأحاديث النبوية، موقع الإسلام اليوم، بي دي إف، 2001، ص 9 - 16. ملاحظة: تاريخ المحاضرة يعود إلى العام 1991، وقد أجرى العودة تعديلاً عليها لتسهيل قرائتها حسب قوله.

وعبر عن ذلك الشيخ سفر الحوالي، أبرز صقور التيار، في محاضرة له بقوله:

«وقد وفق الله تعالى هذه الصحوه الممتدة المباركة لبدء الطريق من أوله، والبناء من أساسه، والإقبال على تصحيح العقيدة، وتقويم المسار، وربط كل قضية مهما صغرت بأصل الدين والإيمان وحقيقة العبودية، فبان لها سبيل الولاء والبراء، وظهر لها كيد المنافقين وأهل الكتاب في الأصل والجملة، وأصبح لزماً على من تصدر لتذكيرها بأيام الله، وتبصيرها بدين الله أن يبينوا لها من المعالم ما هو أكثر تفصيلاً وأبين قبلاً...»⁽¹⁴⁾.

كانت مخاور الخطابات الصحوية شبه محدّدة وتدور، في أغلبها، حول تغلغل التيار العلماني الليبرالي في مؤسسات الدولة وخصوصاً في الاعلام والتعليم، وتطعيم النظام القضائي بتشريعات وضعية مستمدة من دساتير أجنبية، والحرب الصليبية، كما يسمونها، على العالم الاسلامي، والتغريب وعلامته المرأة، إلى جانب، بطبيعة الحال، الشيعة، الموضوع الأكثر حضوراً في الخطاب السلفي عموماً.

كان خوض التيار الصحوي صراعاً علنياً مباغتاً في بداية اندفاعتهم الثورية إبان أزمة الخليج الثانية ضد تيارات فكرية محلية قد أذهل عن الرسالة السياسية التي يود مشايخ التيار إيصالها، الأمر الذي دفع شخصيات مرموقة مثل الأديب والدبلوماسي الراحل غازي القصيبي للرد عليهم في كتاب (حتى لا تكون فتنة)، وتبعه آخرون، ما قد يشير إلى تشوّش رؤية المشايخ وعدم وضوح خطة العمل المرسومة حينذاك.

(14) الشيخ سفر الحوالي، القدس بين الوعد الحق..والوعد المفترى، الموقع الرسمي للشيخ سفر الحوالي الرابط:

<http://www.alhawali.com/index.cfm?method=home.SubContent&ContentID=3961>

شأن السلفية التقليدية، لم يطوّر التيار الصحوي خطاباً إسلامياً تنويرياً، وفي حقيقة الأمر لم يكن على استعداد لذلك أو بالأحرى لم يكن مؤهلاً لمقاربة موضوعات لم يطلع عليها خلال مراحل تنشئته الثقافية، فالموضوعات العقيدية التي اشتغل بها مشايخ الصحوة كانت تقليدية محضة، مثل الارجاع، والطائفة المنصورة، والولاء والبراء.. أما الموضوعات الحديثة التي قاربها التيار مثل العلمانية، والحداثة، والليبرالية، والمدنية، والمرأة، فكانت مثيرة للشفقة من حيث استيعابها بدقة وبصورة صحيحة من مصادرها وليس عبر إما ترجمات مشوّهة وانتقائية أو قراءات أخرى مؤدلجة⁽¹⁵⁾. وينسحب ذلك على مقاربات مشايخ الصحوة لعقائد خصومهم مثل الاشاعرة والصوفية والشيعة والتي غالباً ما تأتي في سياق سلبي وتشويهي، وإن أقصى ما يقال عن هذا النوع من القراءات أنها غير حيادية. على سبيل المثال، بدا الحوالي في كلامه عن الأشاعرة أنه كان «مولعاً بنقل أقوال الذم وإشاعتها وتبريرها، جاعلاً من ذلك سلوكاً مطلوباً من المؤمنين...»⁽¹⁶⁾.

على أي حال، لم تخف «الصحوة» الفئاعات العقيدية الراديكالية والتكفيرية لدى قادتها، فكانت واقعة الغزو العراقي للكويت الصاعق الذي فجّر المكبوت الحركي لدى التيار الدعوي الوهابي الذي نهض في لحظة تظهير بالغة الدقّة. اختار التيار لنفسه صفة «الصحوة» الإسلامية، وإن كانت مقتصرة على نطاق ضيق وتمّس السلفية الوهابية في السعودية على وجه الخصوص، قبل أن يشكّل التيار لنفسه امتدادات في الخارج، لتحمل سماته الوراثية.

إن مجرد وقوع التصادم بين التيار الصحوي والسلطة عني أن ثمة انفصاماً خطيراً حدث في التحالف بين الشيخ والأمير، ولا بد أن ثمة أمراً عظيماً ما تسبب في ذلك.

(15) ينظر في هذا الصدد كتاب سفر الحوالي، العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية

المعاصرة، صنعاء، 1982

(16) محمد بو هلال، خطاب الصحوة السعودية، مصدر سابق ص 27

وكان إصدار «مذكرة النصيحة» في يوليو 1992 والتي حملت توقعات 108 من المشايخ والقضاة والدعاة وأساتذة الجامعات الدينية والأكاديميين والأطباء والمهندسين المصنّفين على التيار الوهابي الصحوي، يعدُّ ذروة النشاط الاحتجاجي السلفي في المملكة، إذ طالب الموقعون بإعادة أسلمة الدولة السعودية على منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب، بحسب مضامين الأبواب العشرة التي تناولتها المذكرة. بكلمة، مثلت المذكرة ما يشبه «مانيفستو» وهابي، يلخّص مجمل المطلب الصحوي منذ انطلاقته وحتى اعتقال رموز التيار في العام 1994.

للوهلة الأولى، تكشف «المذكرة» عن نزعة تقليدية شديدة لدى مشايخ الصحوة، إذ تؤكّد الرؤية الفقهية الساکنة والمتوارثة المستمدة من المدرسة الوهابية التقليدية. يظهر ذلك في المطلب الرئيس في «المذكرة» بـ «وجوب التحاكم إلى شرع الله وتحكيمه في جميع شؤون الفرد والأسرة والدولة وفي علاقة الأمة بالدولة، وفي علاقة الدولة والأمة بغيرهما من الدول والأمم..» كما طالب الموقعون بإعادة إحياء فريضة الجهاد إذ طالبوا الدولة السعودية بـ «إذكاء روح الجهاد والإيثار وحب التضحية في أبناء هذه الأمة»...

جاءت المذكرة في 45 صفحة مؤلفة من عشرة موضوعات تخلص إلى مطلب واحد: إعادة وهبة الدولة السعودية، بالتشديد على دور العلماء والدعاة إذ يستلزم أن تكون لهم «في الدولة المسلمة مكانة لا تعدلها مكانة، وأن يكونوا في مقدمة أهل الحل والعقد والأمر والنهي، وإليهم ترجع الأمة - حكاماً ومحكومين- لبيان الحكم الشرعي لسائر أمور دينهم ودنياهم كما أن ذلك يقتضي أن يكون ما يقوم به الدعاة والعلماء من نشر للعلم الشرعي وإرشاد للخلق ودعوة للحق، واجباً يتحتم التسهيل له، وتوفير كل مساندة له، وتقديره على سائر نشاطات الدولة، إذ أن الدعوة إلى الإسلام هي العمل الأصلي للدولة». أي تحويل الدولة إلى أداة لنشر الدعوة. وفي هذه النقطة يلفت الموقعون إلى:

«ضعف دور العلماء في الحياة العامة، وهامشية هذا الدور في قطاعات بالغة الأهمية في حياة الأمة مثل الأنظمة، والإعلام، ونشاطات المرافق الثقافية والاقتصادية والعلمية والتربوية، حيث لا يُطلب الرأي الشرعي للعلماء في كثير من الأعمال التي تقوم بها قطاعات الدولة وأجهزتها». وطالب الموقعون بتعزيز دور العلماء والدعاة برفع كل القيود المفروضة عليهم بـ «السماح لهم بالتأليف والنشر والإفتاء والخطابة والمحاضرة وتسجيل الأشرطة وعقد الندوات والحلقات العلمية»، و«فسح المجال لإنشاء هيئات وجمعيات مستقلة للعلماء والدعاة وتشجيع ذلك»، و«عرض جميع الأنظمة والمعاهدات قبل إقرارها على هيئة كبار العلماء للتأكد من مطابقتها لقواعد الشريعة الإسلامية»، و«إصدار التعليمات لكل قطاعات الدولة ووسائل الإعلام والتعليم والنشر بتمكين العلماء والدعاة من أداء واجبهم الشرعي، والأخذ بنصائحهم»، و«إنشاء محطات إذاعية وتلفزيونية خاصة للدعوة إلى الإسلام وتعليم أحكامه باللغات العالمية»..

نلفت الى أن الشيخ ناصر العمر عمد إلى تأصيل فكرة ولاية الأمر وحصرتها في العلماء، وأن لهم سلطة أعلى من سلطة الأمراء، بل إن الإمراء تابعون للعلماء وليس العكس، بحسب محاضرة للعمر بعنوان (على بصيرة)⁽¹⁷⁾. ولكنه عاد وتراجع بعد ذلك، ربما بسبب الانتقادات التي واجهها من أمراء آل سعود، فأعاد تفسير ولاية الأمر بأنها «مناصفة» بين العلماء والأمراء وأنها قائمة في المملكة السعودية، وأنه عنى بذلك الدول العلمانية التي لا تقيم وزناً للعلماء الشريعة، وكتب ما نصّه: «أوضح أن المقال.. ليس فيه أي حديث عن دولة دينية ولا غيرها، وإنما هو مقال في الدعوة إلى

(17) أ.د ناصر بن سليمان العمر، على بصيرة، بتاريخ 23 مايو 2006 الجزء الأول والثاني على الرابط التالي:

<http://www.almoslim.net/node/83311>

<http://www.almoslim.net/node/83325>

الله، وهو موجه لمعالجة مشكلة تعاني منها الدعوة والدعاة على مستوى الجمعيات والجماعات الإسلامية في العالم، ومسألة إقصاء العلماء ينطبق على الدول التي اتخذت العلمانية منهجاً في الحكم، وليس على الدول الإسلامية، حيث إن علاقة الحكام بالعلماء واضحة والتشاور، والمناصحة قائمة بينهما»⁽¹⁸⁾.

على أية حال، تأكدت الميول التقليدية لدى التيار الصحوي في المطالبة الحرفية بـ «وجوب التحاكم إلى شرع الله وتحكيمه في جميع شؤون الفرد والأسرة والدولة وفي علاقة الأمة بالدولة، وفي علاقة الدولة والأمة بغيرهما من الدول والأمم.. وجوب أن يكون شرع الله وحده هو المهيمن على ما سواه وأن تتحقق سيادة الشرع التامة على أعمال الدولة وأنظمتها وتصرفاتها ولوائحها ومعاهداتها وكافة جوانب الحياة فيها»، أي مراجعة شاملة لسجل القوانين والأنظمة وتنقيحها «وإلغاء كل مخالفة للشرع بها وكذلك العمل على وضع أنظمة شرعية بديلة لما يتعسر تنقيحه منها».

وتسهب المذكرة في شرح مطلب «تحكيم الشريعة»، ويشدد الموقعون عليها على: «إن الحكم التشريعي يجب أن يقتصر مصدره وأدلته على أدلة الإسلام، وقبول أي مصدر غير الإسلام للأحكام التشريعية يعد تحاكماً إلى الطاغوت...». وتطبيقاً لهذا المبدأ تبين للموقعين «إن كثيراً من الأنظمة تتضمن أحكاماً تشريعية مستمدة من مصادر قانونية عربية أو غربية في بلاد أخرى لا تحكم الشرع» وأوردت المذكرة أمثلة على ذلك «فنظام الأوراق التجارية مستمد عن معاهدة جنيف للأوراق التجارية، ونظام الشركات نصت مذكرته التفسيرية على أنه مستمد من «الصالح من أحكام أنظمة الدول الأخرى»، ونظام العمل والعمال مستمد من الاتفاقيات

(18) أ.د ناصر بن سليمان العمر، على بصيرة، بتاريخ 23 مايو 2006، الجزء الثاني على الرابط التالي:

<http://www.almoslim.net/node/83325>

والأنظمة الدولية العمالية، ونظام مكافحة التزوير يتشابه في كثير من مواده وتعابير مع القوانين الأوروبية وعلى الأخص الألمانية والفرنسية....». وطالب الموقعون بـ «مراجعة الأنظمة القائمة بالنظر في كل مادة منها على حدة، وإبطال كل مادة تشريعية منها لا يشهد لها دليل شرعي باستنباط واجتهاد صحيح»، وتبعاً له «إلغاء كل اللجان ذات الصلاحيات القضائية في الأنظمة، وإحالة جميع القضايا واختصاصات هذه اللجان إلى المحاكم الشرعية»، وإنشاء «محكمة شرعية عليا للنظر في الدعاوى التي تُرفع بشأن مخالفة الأنظمة واللوائح للشرع لتحقيق جعل الشريعة حاکمة على جميع الأنظمة، ولإبطال وإلغاء ما ثبت مخالفته للشرع منها...».

وما يقال عن الأنظمة والقوانين ينسحب على المحاكم والقضاء عموماً، وكذلك على وزارة الخارجية والجيش والاعلام وغيرها التي يرى فيها الموقعون ما رأوه في غيرها من مخالفات شرعية وانحراف تام عن الخط الشرعي الذي رسمه المؤسسون الأوائل⁽¹⁹⁾.

وقد أفاد الموقعون على المذكرة من الملاحظات النقدية التي قدّمها المفتي الأسبق الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ في عهد الملك سعود وخلفه فيصل، في رسالته (تحكيم القوانين) وقد طبعت بمطابع الثقافة بمكة في رجب سنة 1380 هـ/1960 (أي إبان عهد الملك سعود) ونشرت في مجلتي (لواء الإسلام)، و(راية الإسلام) في 1380/4 هـ الموافق لشهر سبتمبر 1960. وقد ذكر ابن إبراهيم في مقدمة رسالته ما نصّه «إنّ من الكفر الأكبر المستبين، تنزيل القانون للعين، منزلة ما نزل به الروح الأمين، على قلب محمد صلى الله عليه وسلم، ليكون من المنذرين، بلسان عربي مبين، في الحكم به بين العالمين...». ورأى أن الحاكم بغير ما أنزل الله كافر إما كفر اعتقاد ناقل عن الملة وإما كفر عمل لا ينقل عن الملة. وأما الأول فهو أنواع والخامس أعظمها وأشملها وأظهرها معاندة للشرع، ومكابرة

(19) انظر: مجلة الجزيرة العربية، لندن، العدد 21 أكتوبر 1992

لأحكامه، ومشاقّة لله ورسوله، ومضاهاة بالمحاكم الشرعية...

وفي السياق نفسه، سئل المفتي السابق، الشيخ عبد العزيز بن باز(ت 1999): هل يعدّ الحكّام الذين يحكمون بغير ما أنزل الله كفاراً؟ فأجاب: فمن حكم بغير ما أنزل الله يرى أن ذلك أحسن من شرع الله فهو كافر.. وهكذا من يحكّم القوانين الوضعية بدلاً من شرع الله ويرى أن ذلك جائز، حتى وإن قال: إن تحكيم الشريعة أفضل فهو كافر لكونه استحل ما حرم الله»⁽²⁰⁾.

كنتيجة، فهم طلاب الشيخ ابن باز ومن جاء بعدهم، خصوصاً من (الجهاديين) في «القاعدة» و«داعش» رسالة ابن ابراهيم، وفتوى ابن باز و«مذكّرة» مشايخ الصحوّة على أن النظام السعودي ليس شرعياً، بل أسست تلك المساهمات الفقهية/الفكرية لتكفير الدولة السعودية كونها حكّمت قوانين وضعية في المحاكم، بحسب ما جاء في محتويات كتاب (الكواشف الجليّة في كفر الدولة السعودية) لمنظر «القاعدة»، أبو محمد المقدسي وهو ما يؤكده الأخير برجوعه لفتاوى الشيخ محمد بن ابراهيم «وقد نقلنا منها شيئاً كثيراً في الكواشف...»⁽²¹⁾ حسب قوله.

من وجهة نظر «القاعدة» فإن «مذكّرة النصيحة» هي تأصيل شرعي لكفر الدولة السعودية. وهكذا فهم الشيخ ابراهيم الربيش، أحد تلامذة الشيخ سلمان العودة، إذ كتب ما نصّه: «إن مذكّرة النصيحة وإن لم تكن صرحت بتكفير الحكومة، لكنها ذكرت شيئاً غير قليل من المكفّرات»⁽²²⁾.

(20) مجموع فتاوى الشيخ عبد العزيز بن باز، المجلد الرابع، ص 416

(21) أبو محمد المقدسي، الدولة السعودية وموقف ابن باز وابن عثيمين منها، منبر التوحيد والجهاد، د.

<http://www.tawhed.ws/r?i=azoko3qg>

(22) الشيخ ابراهيم بن سليمان الربيش، د. سلمان العودة خلال عشرين عاماً، نشر خاص، 12 أكتوبر 2009

وقد برز من صفوف الصحوة الشيخ سفر الحوالي إذ قدّم مساهمات فكرية مؤصلة في تكفير الدولة السعودية. فإلى جانب شرحه رسالة «تحكيم القوانين» للشيخ محمد بن إبراهيم، فإنه صنّف كتاباً إبان أزمة الخليج الثانية بعنوان (كشف الغمة عن علماء الأمة) وكتب فيه:

«لقد ظهر الكفر والإلحاد في صفحنا وفشا المنكر في نوادينا ودُعي إلى الزنا في إذاعتنا وتلفزيوننا واستبحنا الربا حتى أن بنوك دول الكفر لا تبعد عن بيت الله الحرام إلا خطوات معدودات. أما التحاكم إلى الشرع - تلك الدعوى القديمة - فالحق أنه لم يبق للشرعية عندنا إلا ما يُسميه أصحاب الطاغوت الوضعي الأحوال الشخصية وبعض الحدود التي غرضها ضبط الأمن (ومنذ أشهر لم نسمع شيئاً منهم عن حد أقيم)، ومع ذلك وضعنا الأغلال الثقيلة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصدقنا الدعوة والموعظة بالقيود المحكمة، وهذا من استحكام الخذلان وشدة الهوان ومن يُهن الله فما له من مُكرم»⁽²³⁾.

في واقع الأمر، إن الكتابات النقديّة التي قدّمها مشايخ الصحوة أعادت إنتاج خطاب جهيمان العتيبي ولكن بلغة جديدة ومتينة. بيد أن من الضروري إلفات الانتباه إلى أن التيار الصحوي قد لا يكون تبنى الخيار الجهادي العسكري في التغيير، ولم يحمل السلاح في وجه الدولة، بالطريقة التي كانت عليها حركة جهيمان العتيبي. ولكن من راقب خطابات الصحويين في فترة التسعينيات أدرك أنهم أسسوا لمشروع ثورة حقيقية، وهكذا فسرها غازي القصيبي في كتابه (حتى لا تكون فتنة). وبالرغم من الإيحاءات المضلّة التي تركها «مذكرة النصيحة» كونها محاولة إصلاحية من الداخل، أي من داخل الدولة وليس خروجاً عليها، فإن محتويات المذكرة تنزع المشروعية الدينية والتاريخية للدولة السعودية، ولو قدّر لها أن تصدر في مرحلة مبكرة، أي في ذروة النشاط الصحوي، وقبل إعلان الملك

(23) سفر الحوالي، كشف الغمة عن علماء الأمة، 1991، موقع صيد الفوائد على الشبكة، ص 61

فهد (الأنظمة الثلاثة: النظام الأساسي للحكم، مجلس الشوري، مجلس المناطق) في مارس 1992، وقبل تحرك أعضاء هيئة كبار العلماء، ومن بينهم المفتي السابق الشيخ عبد العزيز بن باز وابن عثيمين لتطويق تداعيات الحراك الصحوي، للحيلولة دون تطوره بما يصعب السيطرة عليه، والذي مهد لبدء التحرك الأمني المضاد المصاحب لحملة مناصحة قام بها كبار العلماء ثم أعقبها حملة اعتقالات تدرجية لعدد من الناشطين في التيار الصحوي، أقول لولا كل ذلك، لربما كانت الأمور ستسلك طريقاً آخر غير الذي انتهت إليه.

الانقلاب والعقاب

في النتائج، تعرّض التيار الصحوي في منتصف التسعينيات إلى ضربة قاصمة أدّت إلى توقّف نشاطه، بعد اعتقال رموزه وإرغامهم على التوقيع على تعهّدات خطيّة بعدم ممارسة أي نشاط سياسي، فيما تمّ احتواء بعضهم في مؤسسات الدولة، ولكن الإرث الفكري والاحتجاجي لمشايع الصحوة إنتقل إلى «القاعدة» الذي تفاعل معه وأدمجه في خطابه السياسي وآلته الاعلامية والتحريضية.

بالعودة إلى أدبيات «القاعدة»، سوف يظهر أن التركة الصحوية، خصوصاً ما يتعلق منها بالسعودية، شكّلت الخلفية الفكرية والسياسية لتنظيمات السلفية الجهادية في الجزيرة العربية المرتبطة بـ«القاعدة»، واندغمت بصورة تلقائية وسلسة في البنية الأيديولوجية لدى «داعش».

بل أمكن القول، وبسهولة، أن التراث الصحوي الشفهي والمكتوب شكّل الخلفية الفكرية التي استندت إليها تنظيمات السلفية الجهادية بما فيها «القاعدة» و«داعش». ولو قدّر لمشايع الصحوة البقاء على القنوات السابقة، التي تشكّلت وشاعت في النصف الأول من تسعينيات القرن الماضي، ولم يتماهوا مع السلطة في مرحلة ما بعد السجن، ولم يجرِ بعضهم (سلمان العودة وعايض القرني بدرجة أساسية) مراجعات لأفكارهم السابقة

لكانوا هم أنفسهم اليوم رموزاً للسلفية الجهادية، أي لتنظيمات «القاعدة» و«داعش».

لويس عطية، وهم إسم جهادي مجهول الهوية، ولكنه يعرّف عن نفسه بأنه درس في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وكان مقرباً من تيار الصحوة، نقل في مقالة له معلومة قديمة بأنه حين كان سفر الحوالي وسلمان العودة وناصر العمر في السجن كان عدد من الجهاديين يعتقدون اجتماعت ومشاورات لدراسة الرد على اعتقالهم من قبل النظام السعودي، واتفقوا على إيصال رسالة لوزير الداخلية حينذاك الأمير نايف بن عبد العزيز بأن أي ضرر يحصل لهؤلاء الشيوخ يعني أننا سنحرق القصور التي تسكنونها ولن تنفعكم أمريكا ولا غير امريكا...». وهذا التهديد صدر قبل تشكيل القاعدة بصورته الحالية.

وطالب عطية بتحالف استراتيجي بين «القاعدة» وتيار «الصحوة» وقال بأن مصلحة شيوخ الصحوة على المدى القريب والبعيد تتمثل في دعم وتقوية تيار وحركة القاعدة، والسبب أن «القاعدة ستكون الذراع الضاربة التي سيتقوى بها الشيوخ أولاً من حيث أن أي عدو يريد النيل من شيوخ الصحوة سيفكّر أولاً في أن القاعدة ستنتقم منه فلن يجروء على مجرد التفكير بذلك»⁽²⁴⁾.

من جانبه، أبو أنس الشامي (عمر يوسف جمعة صالح) أردني من أصل فلسطيني، تخرج في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وتأثر بفكر الصحوة وشارك في الجهاد الافغاني مع القاعدة ثم أصبح قائداً في جماعة التوحيد والجهاد مع الزرقاوي، يصف مثلث سفر الحوالي وسلمان العودة وناصر العمر بأنه «صام الأمان للأمة وأنهم القادة الفعليون للحركة الإسلامية». ويقول الشامي «أنا كسائر أبناء الصحوة من أترابي؛ تربيت على المحاضرات

(24) يقول لويس عطية، الخيار التاريخي والاستراتيجي لمشاخ الصحوة، منبر التوحيد والجهاد، د.ت

والنتاج الثقافي الشرعي الذي قاده الرادة الكبار - وعلى رأسهم الشيخان سفر وسلمان - وقد تربّع هذان الشيخان على عرش قلبي وقلوب أتباعي في كل مكان».⁽²⁵⁾ وكان يرد على مشايخ الصحوّة الذين تخلّوا عن فكرهم الجهادي بأن «الجهاد في الواقع هو جهاد سلفي بنسبة 90% وتزيد».

مهما يكن، فإن ثمة حملة تأنيب عنيفة شنتها جيل «القاعدة» ضد رواد الصحوّة، وتعبّر عن إحساس بالخديعة، فجاء الرد انتقامياً.. فكان الشيخ سلمان العودة، أبرز صقور الصحوّة، قد تعرّض لموجة انتقادات واسعة وشديدة اللهجة من كواد «السلفية الجهادية» الذين تأثروا بخطابه الصحوي الجهادي بفعل ما وصفه الشيخ عبد العزيز آل عبد اللطيف مراجعات وتراجعات الشيخ العودة⁽²⁶⁾.

في مقالة نقدية وصف أبي الحسن الأزدي، الذي أصبح من كبار منظّري «داعش» بعد تنكّبه من «القاعدة»، سلمان العودة بأنه «شخصية قلقة بامتياز! ما يميزها عن غيرها من رؤوس النشئ الهجين هو الثبات على اللاتبات!!»، ويخلص الأزدي، في قراءة حركة التحوّل الفكري في حياة العودة بالتركيز على كتابه (أسئلة الثورة) بأن «ثمة قناعات جديدة أسهمت في تلقيحها رياح الثورات!» ويضيف «كما يبدو فإن سلمان قرّر أن يكون مواكباً لعصر الثورات على أنظمة الطغيان، لكنه سيحتاج هو الآخر لثورة أخرى على مساره ليحقق المواكبة!!»⁽²⁷⁾.

ويمثّل الأزدي لذلك التحوّل بالوساطة التي قام بها العودة بين النظام الليبي والجماعة الإسلامية المقاتلة قبل سقوط القذافي بمدة قصيرة في

(25) أبو أنس الشامي، عندما يضل الهداة وينعق الحداة، 3 رجب 1424، منبر التوحيد والجهاد <http://www.tawhed.ws/r?i=8rgxmva>

(26) عبد العزيز آل عبد اللطيف، أبعدت النجعة يا إبا معاذ، 29 أغسطس 2009، منبر التوحيد والجهاد

(27) أبو الحسن الأزدي، السروية..فصام يولد الانشطار، منبر التوحيد والجهاد 2012

مقابل تخلي الجماعة عن السلاح واقناعهم بحرمة الخروج على الحاكم، وقد لعب الشيخ عايض القرني الدور ذاته.⁽²⁸⁾

ونال العودة حصة وافرة من انتقادات مشايخ «القاعدة» الذين خضعوا تحت تأثير خطابه الثورية في التسعينيات من القرن الماضي. على سبيل المثال، يتحدث الشيخ إبراهيم الربيش في دراسة نشرت في 12 أكتوبر 2009 حول التحولات التي عاشها سلمان العودة خلال عشرين عاماً، تناول فيها التأثير الشديد لمحاضرات العودة على الشباب السلفي، إذ كان يلقي محاضرة أسبوعية عامة في جامع أطلق عليه عدة أسماء؛ من بينها جامع السوق المركزي. ويذكر الربيش من بين المحاضرات (أسباب سقوط الدول) والتي كان لها تأثير صدى ما دفع السلطات السعودية إلى منع بيعها وتداولها. ويشير الربيش إلى الاهتمام الخاص الذي كان يولييه سلمان العودة بأخبار الجهاد الافغاني، فكان يخصص وقتاً للإطلاع الجمهور على الجديد فيه. ويصف الربيش محاضرات العودة بأنها «نشرة أخبار»، ويمثل لذلك محاضرة للعودة بعنوان (نثار الأخبار).

ويذكر الربيش جانباً آخر من اهتمام العودة بموضوعات الجهاد في الخارج، ومنها البوسنة والهرسك، حيث أرسل مندوباً من مكتبه للإطلاع على الأوضاع، وعقب عودته ألقى محاضرة بعنوان (مشاهدي في يوغسلافيا)، وأفاد منها العودة في «التحريض على الصدقة، وقام بجمع التبرعات، وكان يرسل مندوبه بشكل مستمر»، حسب الربيش.

يلفت الربيش أيضاً إلى الأساليب الذكية التي كان يتبعها العودة لاسقاط الحوادث التاريخية على الواقع المعاش والمحلي. مثال ذلك محاضراته (سلطان العلماء) والتي تناول فيها سيرة العز بن عبد السلام (577 - 660م) الفقيه الشافعي الذي عاش في زمن الحروب الصليبية، وكان العودة

(28) إبي حسن الأزدي، هل انتعتوا من عادة لعق الأحذية؟!، مؤسسة المأسدة، 2012/1432.

يركّز على قصصه مع الولاة ويستنتج السامع أن انتقاد الولاة والإنكار عليهم علانية أمر قد عهد عن السلف وكذا الحال في محاضرة (سلطان الأندلس).

يعلّق الربيش بأن سلمان العودة لم يكن يذكر اسم السعودية إلا في سياق يفهم منه الذم. ولكن تحوّل طراً على الشيخ العودة عقب خروجه من السجن، ولحظ عليه أنصاره ذلك، وقد نبّه أحد مشايخ الوهابية المتعاطفين مع «القاعدة» وهو الشيخ حمود العقلا الذي زار سلمان العودة وسمع منه كلاماً يثني فيه على نائب وزير الداخلية للشؤون الأمنية سابقاً، محمد بن نايف، وزير الداخلية الحالي، ولمّا خرج من عنده قال الشيخ حمود لمن معه بالحرف: «ربعكم ما هم اللي أنتم تبون»، أي أن الشيخ ورفاقه في السجن ليسوا هم على ما كانوا عليه قبل السجن، فقد تغيّروا.

يقسّم الربيش حياة سلمان العودة على المستويين الفكري والسياسي إلى مرحلتين، ما قبل السجن وما بعده:

• كان سلمان الأول يعلّق على الأحداث بجرأة عالية «وكان تعليقه يسرّ المؤمنين ويغيظ الكفار والمنافقين». كان في طرحه يطعن في الحكومات العربية - ومنها حكومة آل سعود- بمطاعن عظيمة، يؤصّل كلامه تأصيلاً شرعياً بأدلة من الكتاب والسنة.

في هذا الصدد، ينقل الربيش عن أمير «القاعدة» في جزيرة العرب عبد الكريم الوحيشي الملقّب أبو بصير أن أسامة بن لادن حدّثه أنه أيام أزمة الخليج، وفي أثناء تواصله مع المشايخ ذهب إلى سلمان العودة وذكر له أنه ذهب إلى الشيخ ابن باز وابن عثيمين، فقال سلمان: دعك منهم، إذا جالسناهم قالوا الحق، وإذا ظهروا للناس قالوا الباطل.

• أما سلمان الثاني فتعليقه على الأحداث «إن لم يسر المنافقين والكفار فهو لا يغيظهم، وهو عاجز في كل حكم أو تعليق أن يتجاوز الخطوط الحمراء

التي يرسمها سجانوه». سلمان الثاني تولى عن كل مواقفه السابقة، فقد تولى عن دعواته السابقة إلى «الجهاد» بما في ذلك أفغانستان معللاً ذلك بوجود بن لادن فيها.

من جانبه، يقدم يحيى بن علي الغامدي قراءة نقدية في تحولات الشيخ سفر الحوالي الفكرية، عبر دراسة بعنوان (سنوات خداعة)، وقد أوصى أسامة بن لادن بقرائتها (لمعرفة أحوال علماء الأمة) حسب موقع جهادي.

يصف الغامدي حال مشايخ الصحوّة قبل تبدّل قناعاتهم: «هؤلاء العلماء كانوا إنسان العين بالنسبة لجماهير الشباب، وكانوا من المراجع التي يعتمد عليها الناس في تنزيل نصوص الوحيين - أي الكتاب والسنة - على واقع بئيس سكت فيه الكثيرون، وكان بعض هؤلاء العلماء يرسلون الشباب إلى الثغور ويقدموهم للسااحات إما بأشرطتهم وكتبهم ومضامين أفكارهم القائمة على نبذ الحكم بغير ما أنزل الله وجهاد الطغاة، وإما بالدعم المادي المتحقق على الأرض فعلاً...».

ولكن المشايخ خرجوا من تجربة السجن في حال أخرى، «فلما خرجوا من السجن وجدوا المجاهدين على نفس المستوى من الصبر والثبات واليقين...»، أما المشايخ فـ «كان السجن تجربةً جديدةً كلياً عليهم.. فحصل من ذلك أن خبرتهم في مواجهة الضغوط قليلة وضعيفة وغير فاعلة، فاستسلم كثيرٌ منهم لهذه الضغوط...». فعمد بعضهم إلى تميع «مفاهيم الجهاد والشهادة.. وبعضهم انطلق نحو الدينار والدرهم، وبعضهم أخذوا يظهرون مع المومسات في القنوات...».

ويذكر الغامدي شاهداً من محاضرة سابقة للشيخ سفر الحوالي بعنوان (القدس بين الوعد الحق.. والوعد المفترى)، والتي يقول فيها:

«إن الحديث عن الحقوق المشروعة، والقرارات الدولية التي استنزفت وتستنزف من الإعلام العربي ما يملأ البحار لم يجد أذنًا - ولا عُشْرَ أذن -

كتلك التي أحدثها انفجار مشاة البحرية في بيروت ، والهجوم على ثكناتهم في مقديشو ، بهذه اللغة وحدها يسحب الكفر أذيال الهزيمة، وتحنى هامات الخواجات العتية أمام مجموعات طائفية، وعصابات قبلية، وليست جيوشاً دولية، وإن استرداد بضعة قرى ومدن في البوسنة قلب المؤشر الصليبي، وأرغمه على إعادة حساباته، وإن أي خطاب للكفر لا يستخدم هذه اللغة هو لغو من القول وزور من العمل»

ويعلق الغامدي بأن هذا الكلام الجميل قد يكون «دفع بشبابٍ لعل منهم أحد منفذي هجمات الثلاثاء الأبلج إلى ظلال السيوف...»، ثم يورد مقطعاً آخر من مقالة للحوالي بعنوان (أسلوبان في دفع العدوان) بتاريخ 24 يونيو 2003، وتأتي في سياق الترويج للحملة العالمية لمقاومة العدوان، وتنطوي المقالة، بحسب رؤية أنصار «السلفية الجهادية» على تراجع الحوالي عن خطه الجهادي الثوري. الحوالي قال بأن ثمة لغتين لدفع العدوان: لغة الاستجداء والضعف التي تقتصر على مجرد الاحتجاج الخطابي والشجب، ولغة القوة بوضع برامج عملية للنكابة في العدو والتأثير عليه ليس عسكرياً فقط، بل وإقتصادياً وإعلامياً وقانونياً أيضاً وفق تخطيط محكم.

الحوالي يفرق بين ساحة وأخرى، ويرى بأن المجاهدين في فلسطين عليهم مواصلة المقاومة المسلحة بسبب فشل خيار السلام «أما حين نتحدث عن واجبي وواجبك وأمثالنا فينبغي أن يكون الحديث عن إيجاد وسائل سلمية للمقاومة...». وتنبه الحوالي الى ما قد يقوله «المجاهدون» عنه فاستبق الهجوم برد استباقي واعتبر بأن هناك خلافاً «في منهج التفكير لدى كثير من المسلمين»، على أساس أن هناك من يعجبه كتابة البيانات الحماسية وأنهم سوف يملأون «الدنيا ثناء عليك وسموك الشيخ المجاهد» أما من يضع «برنامجاً أو خطة لمقاومة مؤثرة للعدوان» فالحال مختلف «جاءك النقد من كل جهة بأن هذا ضد

الجهاد، أو لا ينفع أو أنه يناقض حديثاً سابقاً لك وجهته لأهل الثغور محذراً لهم إياهم من إلقاء السلاح استسلاماً للعدو»⁽²⁹⁾.

يعلق الغامدي على تناقض الموقفين: «سبحانك ري!!! الذين كانوا ينظرون للمواجهة أصبحوا ينظرون للعودة...»⁽³⁰⁾.

نقرأ في سيرة يوسف العيري، من أبرز قادة «تنظيم القاعدة في جزيرة العرب» وقتل في مواجهات مسلحة مع قوات الأمن السعودية في العام 2003 بأنه كان عضواً في تيار الصحوه بفضل أفكار الشيخ العودة، قبل أن يلتحق بـ «القاعدة» عقب تخلي الأخير عن أفكاره الجهادية. يخاطب العيري العودة قائلاً: «فحن نعلم يقيناً أن صحتنا المباركة بصوتكم سمع نداؤها، ومجهودكم غيرت الواقع، وبفكركم وتوجيهكم أثزن نهجها، فلکم الفضل بعد الله فوق فضل غيركم من العلماء والدعاة فيما حققته هذه الصحوه، علماً أنا ما تعلمنا المنهج إلا من فضيلتكم...».

وجّه العيري انتقادات شديدة للهجة لأستاذه العودة، واتهمه بالبحث عن الشهرة ما دفعه للتساهل حتى يحظى بقبول في الخارج، ووصف منهج العودة الجديد بأنه إخواني، وانتقد تخليه عن الخيار الجهادي وعقيدة الولاء والبراء.. وذكر العيري العودة بما كان يقوله في محاضراته (سلطان العلماء، وهشيم الصحافة الكويتية، لسنا أغبياء، حتمية المواجهة)⁽³¹⁾.

(29) د. سفر بن عبد الرحمن الحوالي، أسلوبان في دفع العدوان، مجلة (العصر) بتاريخ 24 يونيو 2003

(30) يحيى بن علي الغامدي، سنوات خداعة.. دراسة لواقع دعاة الصحوه، منقول من مجلة (صوت الجهاد)، الناطقة باسم تنظيم القاعدة في جزيرة العرب، الأعداد من 5 إلى 10، الجبهة الإعلامية الإسلامية العالمية

(31) يوسف العيري، مناصحة سلمان العودة بعد تغيير منهجه، عن منبر التوحيد والجهاد: أبو محمد المقدسي، 15 أغسطس 2000، الرابط:

http://www.metransparent.com/old/texts/Ayeeri_munasaha.htm

في نقده لـ (الحملة العالمية لمقاومة العدوان) التي برزت بعد سقوط نظام صدام حسين في إبريل 2003، وترأسها الشيخ سفر الحوالي، عدّها العييري بأنها مجرد شعار ودعاية جوفاء. العييري وضع نقده في سياق التعريف بما أسماه «الخلل الذي أصاب منهج الصحويين فتحولوا من مشايخ صحوّة إلى مثقفين...». ويلفت إلى أن الحملة فقدت استقلالها حين استجابت لقرار الحكومة السعودية بحذف إسم (مكة) من عنوان الحملة والتي كانت تحمل اسم (حملة مكة لمكافحة العدوان) بحسب ما جاء في البيان التأسيسي قبل أن يجري تغييرها إلى (الحملة العالمية لمقاومة العدوان).

يستدعي العييري تجربة مشايخ الصحوّة قبل تخليهم عن أفكار الجهاد والولاء والبراء ويقول: «سفر بالأمس يؤلف كتباً يبيّن فيها أن طواغيت العرب هم شر خطر على الأمة، وهم الذين بدّلوا دين الله تعالى، وهم السبب في فساد الأمة وتغييبها وكبتها، سلمان له أشرطة نارية تحذر من هذه الحكومات الطاغوتية، الجميع يقرّ بأن أخطر شيء على الأمة تلبّيس هذه الحكومات وتزييفها للدين...».

ويستذكر العييري بعض الأفكار التي كان مشايخ الصحوّة يشيعونها بين أنصارهم بما نصّه:

«ألم تؤصّلوا لنا سابقاً أن هذه الحكومات هي دمي بأيدي العدو؟ ألم تقولوا لنا سابقاً بأن الاستعمار المباشر زال، وفرض علينا استعماراً غير مباشر عن طريق هذه الحكومات العميلة؟ ألم تحشوا رؤوسنا من قبل بأن أخطر خطر على الأمة هذه الحكومات التي تنفذ إرادة العدو؟ ألم تقولوا لنا بأن هذه الحكومات حرب على الإسلام؟ ألم تكفروا هذه الحكومات وتناقشوا الشيخ عبد العزيز بن باز بكفر هذه الحكومات في شريط مسجل؟ بالأمس ترفضون الاعتراف بشرعية هذه الحكومات ومنها الحكومة السعودية، وتكفرونها ولا زالت كتبكم وأشرطتكم شاهد عليكم حتى الآن، ثم تأتوا اليوم لتكونوا مع هذه الحكومات في خندق واحد،

ألم تقولوا سابقاً بأن الحكومات وخاصة وزارة الداخلية السعودية لا يمكن أن تفسح المجال أبداً لما فيه خير لهذا الدين، إلا النزر اليسير لتخضع به هيئة كبار العلماء والشعب من ورائها...»⁽³²⁾.

من جهته، وجّه أبرز منظري السلفية الجهادية أبو محمد المقدسي انتقادات شديدة لشيوخ الصحوه واتّهمهم بالخداع، وقال بأنهم «مارسوا دوراً في خداع الشباب حين كانوا يجمعونهم حولهم أو يسعون في تنظيمهم في جماعاتهم من خلال إلهاب مشاعرهم بخطبهم الرنانة حول الجهاد وكتاباتهم الطنانة المملوءة بالحماس الأجوف!! فلما كثر الأتباع وقال لهم الشباب هيا إلى العزة التي جمعتمونا من أجلها، حي على الجهاد الذي حبيبتمونا به؛ تورط أولئك المشايخ واضطرت طائفة منهم تحت ضغط الشباب وحماسه إما إلى توجيههم للجهاد بعيداً عن الأوطان؛ لا حرج في الشيشان أو في أفغانستان أو في البوسنة أو في أي مكان؛ المهم أن ينأى الشباب بجهاده عن الوطن حيث استقرار أولئك المشايخ ومصالحهم ومصالح دعواتهم المزعومة»⁽³³⁾.

وغمز المقدسي في قناة مشايخ الصحوه لأنهم تخلّوا عن رسالتهم خوفاً، حيث ذكر في رسالة إلى الشيخ حمود بن عقلا الشيعي «تخاذل أكثر المنتسبين إلى العلم المتصدرين للفتوى عن نصرة هذا الدين وسكتوا، بل رقعوا بفتاواهم لأعداء الأمة وداروا في الفتوى مع طواغيت الحكام حيث داروا» وأفضى ذلك إلى «فقدان الشباب الثقة بالعلماء فيما سقط آخرون في اتباعهم»⁽³⁴⁾.

(32) يوسف العيري، الحملة العالمية: زيف وخداع وشعارات كاذبة، منبر التوحيد والجهاد، 7 يونيو 2003

(33) أبو محمد المقدسي، المنهزمون، منبر التوحيد والجهاد، شعبان 1423هـ
<http://www.tawhed.ws/r?i=tum5bzfk>

(34) أبو محمد المقدسي، رسالة للشيخ حمود بن عقلا الشيعي قبل شهور من وفاته، في ربيع الثاني سنة 1422هـ

<http://www.tawhed.ws/r?i=6zip6cz>

علي بن خضير الخضير، أحد ثلاثة شيوخ إلى جانب ناصر الفهد وأحمد الخالدي، محسوبين على «تنظيم القاعدة في جزيرة العرب»، جرى اعتقالهم في 28 مايو 2003 وظهروا في مقابلة تلفزيونية للإعلان عن التراجع عن الأفكار التكفيرية، كتب مقالة عن الصحة الأم. وقال بأنها انشقت عن تيارين أطلق على الأول إسم: تيار عصرائي، والآخر انهزامي. وبدأ بالتيار الانهزامي كونه لا يزال «يعيش فترة نمو.. ويستحدث من الاصول ما يناسب العصر والواقع، ثم يلبسه لباس أهل السنة والجماعة..». وإطروحات هذا التيار، بحسب الخضير، جديدة منها: في باب الإيمان يتجهون الى الإرجاء وفي باب التكفير الى التجهم ولذا لا يكفرون بل يطالبون بالكف عن دراسة فقه التكفير والتحذير من تعلّمه، وعدم الاهتمام بمسائل الولاء والبراء والدعوة الى التسامح، ويعطّلون الجهاد المسلّح ويستبدلونه بجهاد الكلمة وجهاد التربية، ويدعون الى فقه التيسير والتأكيد على باب الترخّص في الفقه، والقبول بالانتخابات والمجالس البرلمانية، وتعظيم المصلحة..

وأما العصرائيون، فلهم إطروحات علمانية في المرأة والاقتصاد والسياسة والمال والغناء والفن والتمثيل، وهم مرجئة في باب الإيمان، جهمية في باب التكفير مع رقة في الدين، وعلمانيين في باب السياسة والحكم، بحسب الخضير.

ثم يشدّد على محورية وأصالة الصحة الأم، ويرى بأنها لا تزال باقية «على أصول أهل السنة في الإيمان والتوحيد والتكفير والفقه والجهاد والسياسة والموقف من الكفار والعلمانيين والضالين والمبتدعين ورفض التعايش ورفض الأطروحات العلمانية وغير ذلك، وهم جمهور الصحة اليوم ولم يشذ عنها إلا أولئك النفر القليل الذين أحدثوا الفرقة والشقاق»⁽³⁵⁾. وهنا يشير الخضير الى معتقدات وأفكار الصحة في منشأها الأول قبل مرحلة السجن التي

(35) علي بن خضير الخضير، أصول الصحة الجديدة، منبر التوحيد والجهاد، القصيم / بريدة،

عاشها شيوخ الصحو، وهي ذات الأفكار التي تعتنقها تنظيمات السلفية الجهادية في الوقت الراهن..

في الخلاصات، مثل تيار الصحو الرافعة الأولى التي أطلقت مشروع السلفية الجهادية، والذي مظهر ابتداءً في تنظيم «القاعدة» عبر أفكار في الجهاد، قبل أن يتخلى مشايخ الصحو عن تلك الأفكار بهدف التماهي مع السلطة التي وصفوها في مرحلة سابقة بكونها «دمية» بيد العدو، ثم مع النخب الدينية والثقافية والسياسية التي وصموها في أيام الصحو بالتحلل والكفر والتغريب. بطبيعة الحال، يصعب تطبيق هذا الحكم على كل أعضاء تيار الصحو، إذ لا يزال البعض أميناً على أفكاره السلفية الأصلية، والتكفيرية منها بوجه الخصوص، وإن تخلّى عن خطاب الجهاد مثل ناصر العمر⁽³⁶⁾.

كخلاصة: فإن تيار الصحو أنجب بأفكاره الجهادية والتكفيرية «السلفية الجهادية» المؤسسة على الوهابية في نسختها الأصلية ثم تخلّى عنها في مرحلة لاحقة، الأمر الذي أغضب «الجهاديين» كونهم تربّوا على أفكار كان مشايخ الصحو هم من غرسوها، ودفعوا الشباب للهجرة من الأوطان والالتحاق بسوح القتال في أرجاء العالم، فيما راح الصحويون يبشّرون بأفكار في الاعتدال..

وبعد أن كان الفعل الصحوي في الفترة ما بين 1990 - 1995 سلفياً جهادياً خالصاً، فإنه في مرحلة ما بعد السجن، أصبح أقرب إلى «الإخوان المسلمين» فكرياً وحركياً، أي إصلاحياً وتدرجياً وسلمياً.

(36) في مواجهة الانتقادات التي تعرض لها سلمان العودة ودوره في تعميم الأفكار الجهادية، خُصص في محاضرة للرد على الاتهامات وقال: «هل سمع أي إنسان أو يستطيع أن يثبت أياً كان موقعه وأياً كان رأيه أن هناك لا أريد أن أقول من حمل مسدساً، بل من ضُرب ضرباً حقيقياً بسبب ما كنا وغيري نظرحه من اجتهادات أو آراء أو كتب وأشرطة؟ في حدود علمي أنه لم يوجد شيء من ذلك...». محاضرة: الكلمة الحرة ضمان، نشرت في موقع شبكة مشكاة الإسلامية بتاريخ 23 ديسمبر 2002 الرابط: <http://www.almeshkat.net/vb/showthread.php?t=18087>

الفصل الرابع

داعش.. دولة الميدان

خلفية تاريخية

من ثوابت تاريخ الاسلام في العراق أن الأخير كان أقرب إلى مدرسة الرأي منه إلى مدرسة الحديث، منذ بدايات تشكّل الاتجاهات التيولوجية الاسلامية، إذ برزت مدرسة الحديث في المدينة المنورة في مقابل مدرسة الرأي في البصرة، ووجدت التيارات الكلامية والعقلية في العراق مرتعاً خصباً لنشاطها، فكانت المعتزلة، على سبيل المثال، نشأة عراقية..

على المستوى المذهبي، يتقاسم المسلمون السنة في العراق المذهبين الحنفي والشافعي، باستثناء بعض الجيوب الصغيرة في الجنوب المتاخمة للجزيرة العربية مثل مدينة الزبير جنوب البصرة حيث تعود جذور سكّانها إلى نجد، فهم يعتنقون المذهب الحنبلي، وبالتالي هم أقرب إلى المدرسة الوهابية..

من ثوابت تاريخ العراق الحديث أيضاً، أنه كان على خصومة شديدة مع الوهابية، للفارق الكبير في التكوين الذهني بين سكّان البلدين أولاً، ولما أحدثه الوهابيون من خراب خلال غاراتهم على مناطق متفرقة من العراق، سواء المناطق الحضرية أو مواطن العشائر المنتشرة على أطراف الصحراء الفاصلة بين العراق والجزيرة العربية. ويذكر ياسين العمري في كتابه (الدر المكنون في المآثر الماضية من القرون): «أن الوهابيين كانوا يظهرون هنا وهناك غرب الفرات فيقطعون الطرق ويغيرون على القرى. وفي إحدى الغارات عام 1800، نهبوا قافلة كانت قادمة من الشام، بالقرب من بلدة عانة، وقتلوا عدداً من العائنين، وأغاروا على عانة نفسها ونهبوا بعض بيوتها وقتلوا أربعين شخصاً من سكانها، وأغاروا على كبيسة ولكنها قاتلتهم فولوا الأدبار»⁽¹⁾.

(1) ياسين أفندي بن خير الله الخطيب العمري، الدر المكنون في المآثر الماضية من القرون، نشر معاوية أحمد ناظم العمري، مخطوط يعود إلى ثلاثينات القرن الثامن عشر الميلادي

يحدّد عالم الاجتماع العراقي علي الوردي سنة 1790 كبداية للخطر الوهابي على العراق، حين ظهرت على الحدود من ناحية الصحراء جماعات وهابية وسمت إبلها بشارات بارزة وهي تحمل رقاعاً دينية غريبة، وصارت تغزو مراعي الظفير والمتفق والشامية، وكذلك أخذ الدعاة الوهابيون يتسلّلون إلى العراق في محاولة لنشر الدعوة الجديدة في أوساط العشائر والمدن، فكانوا يرتادون مضائف الشيوخ في الفرات ليخطبوا فيها ويستغلوا العداء الموجود لدى العشائر ضد الحكومة العثمانية ووالي بغداد⁽²⁾.

بطبيعة الحال، شكّلت الغارة الوهابية على كربلاء مفصلاً حاسماً في العلاقة بين العراق عموماً والدولة الوهابية، إذ أقدم مسلّحوها على ارتكاب مجزرة في 18 ذي الحجة سنة 1216 الموافق 22 إبريل 1802. ويروى عالم الاجتماع العراقي علي الوردي مختصراً لتلك الحادثة بما نصّه: «دخل الوهابيون بلدة كربلاء يومذاك على حين غرة وهم شاهرون سيوفهم يذبّحون كل من يلقونهم في طريقهم ولم يستثنوا منهم الشيوخ والنساء والأطفال...»، وقدّر عدد من قتلوا بثمانية آلاف شخص ثم شنّوا غارة أخرى على النجف ولكنها فشلت «حيث كان أهل النجف قد استعدوا لهم ودافعوا عن بلدتهم دفاعاً مستميتاً»⁽³⁾.

أحدثت الغارات الوهابية على المدن الشيعية في العراق ردود فعل غاضبة شعبية ورسمية، ودفعت إلى تدابير حمائية وردعية للحيلولة دون تكرار الهجمات الوهابية والتصدي لحركة التبشير المذهبي في الداخل العراقي. ولكن لم يكف الوهابيون عن محاولاتهم في سنوات لاحقة.

وفي 11 مارس سنة 1922 قام «الاخوان»، وبصورة غادرة ومباغثة بارتكاب مجزرة في لواء المنتفك بالعراق ضد مدنيين عزّل، إذ تسلّل عناصر منهم

(2) علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج 1 ص 183

(3) المصدر نفسه ص 190، 191

وهم مدجّجون بالسلاح إلى داخل مراعي لواء المنتفك، وضربوا طوقاً حول مجاميع الرعاة العزل ثم جمعوهم مع نسائهم وأطفالهم وقتلوهم جميعاً ونهبوا ما قدروا عليه من حيوانات وحلي وذهب، فيما كان رجال المنتفك مشغولين بموسم الحصاد في هذا الشهر.

وفي رد فعل على المجزرة، عُقد مؤتمرٌ في كربلاء دعت إليه المرجعية الدينية الشيعية في النجف، بدعم من قبائل وعشائر العراق وبحضور قيادات دينية وسياسية سنيّة. وفي 5 إبريل 1922 عقد اجتماع في تكية الخالدية في العاصمة بغداد لمناقشة أمر الاخوان الوهابيين وافتتح الشيخ عبد الوهاب النائب وتوصّل الحضور إلى إطلاق صفة «الخوارج» على الإخوان، وانتخب وفدٌ للمشاركة في مؤتمر كربلاء واختير الشيخ داود وإبراهيم الراوي وعبد الجليل الجميل، وخلصوا إلى كتابة فتوى توجب مقاتلة «من يدّعي الإسلام ويحكم بشرك من خالف معتقدهم من جماعات المسلمين مستحلّين قتالهم ودماءهم وأموالهم وسبي ذرائعهم بغير سبب وقد هجموا على بلاد المسلمين عداءً وبداءً».

كان لمؤتمر كربلاء والفتوى الصادرة عن علماء العراق السنة والشيعة دورهما في الضغط على المندوب البريطاني بيرسي كوكس واضطراره إلى الاسراع بتوقيع معاهدة العقير سنة 1922 والتي تتضمن بنداً بعدم الاعتداء، وإرغام عبد العزيز وجيشه «الاخوان» على الالتزام بالحدود المرسومة من قبل السيد البريطاني!

بيد أن الدعوة السلفية وجدت طريقها إلى الطائفة السنيّة في العراق نتيجة عوامل عديدة منها التقاء مشايخ السنّة العراقيين بدعاة الوهابيّة خلال مواسم الحج، ورعاية الحكومة السعودية لبعض العوائل السنيّة العراقية، ومن خلال البعثات الدينية، ودراسة طلاب من السنّة العراقيين في الجامعات الدينية السعودية..

ويعدُّ محمود شكري الألوسي (ت 1924) من بين الاعلام السلفية الوهابية في العراق، إذ تأثر بالوهابية وتبنَّى عقائدها وله كتب في الدفاع عنها والترويج لها منها (مسائل الجاهلية) وفيه شرح لمسائل الجاهلية لمحمد بن عبد الوهاب، وتاريخ نجد، وغاية الأمان في الرد على النبهاني..

ويرد ذكر مجموعة أخرى من الدعاة السلفيين العراقيين مثل عبد السلام الشواف، ونعمان الاعظمي، ومحمد تقى الدين الهلالي، ومحمد بهجة الأثري، والشيخ صبحي السامرائي والشيخ عبد الحميد النادر ولكن لم يؤسس هؤلاء لما يمكن أن يطلق عليها مدرسة سلفية عراقية، بل كانت مستهلكة للوهابية النجدية/السعودية غالباً.

ومع ذلك، فإن الجيل السلفي الأول كان يختلف عن الوهابيين في الموقف من: الشيعة والصوفية. فكان أفراد الجيل الأول يتحفظون إزاء تكفير الشيعة والصوفية، وكان الألوسي نفسه درس على الشيخ الصوفي خالد النقشبندي. ويحتفظ كتاب «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» طرفاً من الجدل الساخن بين الشيخ السلفي العراقي عبد الرحمن السويدي (ت 1805) والشيخ محمد عبد الوهاب حول مسألة التكفير بما يكشف عن تباين في الموقف السلفي النجدي ونظيره العراقي. ونقل عن السويدي اعتراضه على ابن عبد الوهاب بما نصّه «إن الناس يزعمون أنك تكفر المسلم الذي لم يهاجر إليك ويدخل تحت طاعتك»⁽⁴⁾. وقد جرت مناظرة مماثلة بين العالم السني العراقي ابن برجيس البغدادي والعالم الوهابي النجدي الشيخ عبد اللطيف بن حسن بن حسن آل الشيخ في زمان عبد العزيز بن سعود في مطلع القرن العشرين استنكر فيها البغدادي على النجدي تكفير المسلمين⁽⁵⁾.

(4) لم أجد أصل رسالة السويدي إلى محمد بن عبد الوهاب ولكن ردّ الأخير يشير إلى اعتراض السويدي على نزعة التكفيرية. انظر: رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، (د.ت)، القسم الخامس ص 35

(5) محمود شكري الألوسي، تاريخ نجد، عنى بتحقيقه والتعليق عليه محمد بهجة الأثري، الطبعة الثالثة، 1415هـ (د.ط)، ص 53-54

على الضد، بدا الجيل الوهابي الجديد المتمثل في تنظيمات السلفية الجهادية وعلى وجه الخصوص «الجيش الاسلامي» و«كتائب ثورة العشرين»، تكفيرياً، فيما بدت النزعة التكفيرية لدى «داعش» شديدة، وتتجاوز الشيعة والصوفية بل تطاول الأغلبية الساحقة من المسلمين، تماماً كما هو الموقف العقدي الأصلي للوهابية النجدية.

في إطار التشكّل السياسي، يتحدّث السلفيون العراقيون عن محاولات سابقة لناحية تأسيس جماعة سياسية بجناح عسكري مثل (جماعة التوحيد السلفية) في ستينيات القرن الماضي الا أنها فشلت في أن ترتقي إلى مستوى الاحزاب الدينية الأخرى مثل الحزب الإسلامي، أحد أفرع جماعة «الإخوان المسلمين».

يقدم الكاتب العراقي طارق الدليمي رواية عن مجهود سلفي استثنائي في اختراق المجال السياسي العراقي في ستينيات القرن الماضي عبر محاولة الشيخ السلفي عبد الحميد نادر إدخال بعض الشباب إلى الكلية العسكرية بغرض تشكيل كتلة ضباط سلفيين تدعم النظام السياسي العام. ويذكر الدليمي أن بعضهم تبوأ مراكز مهمة في الحرس الجمهوري وساهم في انقلاب 17 تموز (يوليو) 1968 بالتعاون المباشر مع بعض الضباط «المتدينين» في الجيش، والمتعاطفين مع الحركات القومية ومنها حزب «البعث» - مجموعة أحمد حسن البكر وتابعه صدام حسين. ولكن خطة التعاون بين الاسلاميين والقوميين فشلت بسبب اعتقاد القادة البعثيين أن الاسلاميين السنّة على ارتباط بالمحور السعودي - الإيراني، بحسب رواية الدليمي.

وبعد سيطرة صدام حسين على السلطة عام 1979 باستبعاد أحمد حسن البكر، الرئيس العراقي الأسبق، نظّم الضباط السلفيون أنفسهم في إطار عسكري ومنهم الضابط سعدون القاضي «الذي أصبح بعد الاحتلال الأميركي 2003، ولحد الآن، القائد الفعلي لحركة «أنصار السنة»، وكذلك

الضابط الطبيب محمود المشهداني الذي أصبح في انتخابات العام 2005 رئيساً لمجلس النواب». وبحسب رواية الدليمي، فإن مخابرات صدام حسين أجهضت الحركة الوليدة وقتلت بعض أفرادها وسجنت الآخرين⁽⁶⁾.

وخلال الحرب العراقية الإيرانية وصعود الخطاب المذهبي والعلاقة الودية بين النظامين السعودي والعراقي، كانت الظروف مواتية لناحية السماح لنشاطات سلفية دعوية وتنظيمية بالعمل لمواجهة الأحزاب الدينية الشيعية في العراق، حيث سمح للكتاب الوهابي بالدخول إلى العراق، وإلى المحافظات السنية على وجه الخصوص.

بصورة إجمالية، لم تنل العقيدة الوهابية حظوة من أي نوع وسط العراقيين السنة. وفي إطار الاسلام السياسي كان التفاعل السني يتم عبر حركات مثل «الاخوان المسلمين» و«حزب التحرير» وليس عبر أي من التنظيمات السلفية، التي لم يكن لها وجود تنظيمي حتى الحملة اليمانية في منتصف تسعينيات القرن الماضي وبقرار من النظام العلماني البعثي لمواجهة «الانتفاضة الشعبانية» عام 1991 كما يطلق عليها شيعة العراق، أي بعد سقوط 14 محافظة من أصل 18 مجموع محافظات العراق.

في مواجهة الانهيار الكبير عقب تحرير الكويت وهزيمة القوات العراقية وانكسار هيبة النظام وتالياً اندلاع انتفاضة شعبية في محافظات الجنوب والشمال بدأ صدام حسين في العام 1994 حملته «اليمانية» بقيادة الشيخ المصري «عبد اللطيف الهميم» إذ أدخل جميع كوادر حزب البعث، المدنية والعسكرية، الوسطى والعليا في صفوف هذه الحملة⁽⁷⁾. حينذاك، تبلّورت فكرة تشجيع السلفية الوهابية على التمدّد داخل العراق لخلق عصيّة سنية في مواجهة التمرّد الشيعي..

(6) طارق الدليمي، حين ولد «داعش» من رحم الاحتلال، السفير، 7 أكتوبر 2014

(7) طارق الدليمي، داعش» العراق: من هنا بدأت، السفير بتاريخ 5 سبتمبر 2014

في تلك الظروف، بدأت السلفية تؤسّس لنفسها واقعاً شعبياً عبر بناء المساجد، وكانت مظاهر لبس الثوب القصير واللحى الطويلة والغترة البيضاء وهو الزي الوهابي الشائع في المملكة السعودية تغزو المدن السنّة في الأنبار وصلاح الدين، وبدأ أن ثمة إصراراً على تأكيد الهوية السلفية عبر الأزياء الخاصة التي انتشرت وسط الشباب من صغار السن. وكانت تمثّل هذه مرحلة انتقالية بين السلفية التقليدية والسلفية الجهادية، إذ بدأت إرهابيات «ردكلة» تظهر على تصرفات الشباب السلفي العراقي من خلال التصديّ لبعض الممارسات الاجتماعية كال دعوة للإلتزام بالحجاب الشرعي، من وجهة نظر وهابية محضة، ومهاجمة محلات بيع الأشرطة الموسيقية والأفلام السينمائية، ودور السينما خصوصاً في الأماكن ذات الأغلبية السنّة مثل الفلوجة، وكل ذلك كان يجري تحت غطاء الحملة الإيمانية. وفي النتائج: «استطاع السلفيون الانتشار بشكل لافت في التسعينات، وصل الأمر ذروته في العام 1995 عندما تمكّنوا من الهيمنة على بعض الجوامع...»⁽⁸⁾.

لا بد من الإشارة إلى أن انقطاع التيار السلفي العراقي خلال أزمة الخليج الثانية نتيجة تدهور العلاقات السعودية العراقية، لم ينعكس على سلفيي العراق، فلم يتعرّضوا لضربات قاصمة، ولم يتم إعدام أي من رموزهم كما كان يُفعل في المعارضين الشيعة أو الأكراد أو السنّة غير السلفيين. تتحدث بعض المصادر عن انقسامات سلفية خلال تلك الفترة، حين ظهرت جماعة عرفت باسم «جماعة فائز الزيدي»، وكانت تتبنى «خليطاً من الأفكار السلفية وفكر حزب التحرير وأفكاراً خاصة به»⁽⁹⁾. وكانت المجموعة تعتمد تكتيكات في الانتشار تشبه إلى حد كبير جماعة التبليغ والدعوة، تهاجم الشيخ ابن باز (مفتي السعودية السابق)، والاخوان المسلمين وسيد

(8) يحيى الكبسي، السلفية في العراق: تقلبات الداخل وتجاذبات الخارج، الجزيرة نت، 06 مايو 2013

(9) محمد أبو رمان، السلفية في المشرق العربي من كتاب «الحركات الإسلامية في الوطن العربي» 3 أكتوبر 2013 - مدونة محمد أبو رمان

قطب، كما نفّذت هجمات مسلّحة ضد الشيعة، وقيل عن ارتباطات للمجموعة بجهات أجنبية، وتحوّلت إلى مصدر إرباك للنظام العراقي الذي قرر التخلص من زعيمها هو وأربعة من رفاقه في أكتوبر 1990.

بقي التيار السلفي في ظل النظام العراقي السابق محافظاً على وظيفته الدعوية ولم ينجح إلى العمل المسلّح، ولم تكن تربطه بتنظيم «القاعدة» أدنى رابطة ولا حتى بالتجربة الافغانية، بالرغم من مشاركة نفر قليل للغاية قد لا يتجاوز أصابع الكف الواحدة في الجهاد الافغاني. في واقع الأمر، كان التيار السلفي العراقي أقرب إلى السلفية المحافظة في المملكة السعودية والممثلة في المؤسسة الدينية الرسمية، وطبقة العلماء المقربين من السلطة أمثال الشيخ بن باز، والشيخ ابن عثيمين.

بدأ التحوّل في السلفية العراقية بعد العام 2001، وتأكّد خلال الحرب الأميركية - البريطانية لاسقاط نظام صدام حسين في مارس - إبريل 2003، حين بدأت تتبرعم اتجاهات راديكالية داخل التيار السلفي العراقي، مستغلة مخزون السخط السني بعد سقوط النظام في إبريل 2003، والممارسات السياسية الخاطئة للنظام الجديد، وسياسات الاحتلال الأميركي والسجون التي أوجدها بعد سقوط صدام حسين مثل بوكا وسجن مطار بغداد وابو غريب، إذ شكّلت هذه العوامل مجتمعة محرّضات على خلق بيئة مواتية لاحتضان التنظيمات التكفيرية وتالياً المسلّحة.

وترد هنا تجربة «أنصار الإسلام» كجماعة سلفية مسلّحة نشأت في 10 كانون الأول (ديسمبر) 2001 بوصفها أول تجربة في السلفية الجهادية العراقية، بقيادة الملا فاتح كريكار (وأسمه الحقيقي نجم الدين فرج ويعيش في النرويج) في السليمانية في كردستان العراق، وهذه الجماعة تمثّل ائتلاًفاً لثلاث جماعات مسلّحة وهي «جند الاسلام» و«حركة التوحيد» و«حماس الكردية»، وكانت تتخذ من منطقة الطويلة والبيارة قرب الحدود العراقية - الإيرانية مركزاً لها..

بيد أن هذه الجماعة بقيت تعمل بصورة مستقلة وبعيداً عن نشاط التيار السلفي العراقي العربي، ولم نعثر على أدلة تفيد بتواصل قيادات جماعة «أنصار الاسلام» مع قيادات سلفية عراقية في الجانب العربي قبل وصول أبو مصعب الزرقاوي إلى كردستان العراق بعد سقوط حكومة طالبان، إذ نزل في ضيافة «أنصار الاسلام» والتحق به سعدون القاضي ومحمود المشهداني، وتحولت جماعة «أنصار الإسلام» إلى «أنصار السنة» ومنها ولدت «الهيئة الشرعية» بقيادة القاضي، وكان من بين تشكيلاته «جيش أنصار السنة» فيما شكّل الزرقاوي «جماعة التوحيد والجهاد».

وتشكلت مجموعات سلفية جهادية أخرى مثل جيش المجاهدين على يد محمد حردان العيساوي في نهاية 2004. وفي عام 2007 حدث انشقاق داخل جيش أنصار السنة، وتشكّل ما عرف بحركة «جيش أنصار السنة- الهيئة الشرعية» برئاسة الضابط البعثي السابق سعدون القاضي. ومن أبرز قادة هذا التنظيم محمد حسين الجبوري. ويبقى التنظيم السلفي التكفيري بقيادة الزرقاوي الأقوى بين هذه التنظيمات وهو ما سوف يفتح الباب على نقاش واسع ومستفيض حول تنظيم «الدولة» منذ بداياته في العام 2006 وحتى اليوم.

ثمة مطابقة سلفية سعودية بدأت تفرض نفسها على السلفية العراقية عبّرت عن نفسها بظهور إتجاهات سلفية: أولاً: تقليدية المؤلفة من العلماء المحافظين الذين يكتفون بنشر الدعوة، وثانياً: جاميّة (نسبة إلى الشيخ محمد بن أمان الجامي، من أصول أفريقية) المقربة من السلطة، وزعيمها الشيخ محمد خضير أبو منار وتتبنى مجاهدة من تصفه بالمحتل الكافر لبلاد الاسلام، وتشارك في العملية السياسية، وثالثاً: السرورية/ الصحوية ممثلة في الشيخ سفر الحوالي والشيخ سلمان العودة، وتحصر عملها في مقاومة المحتل وتربط الجهاد بالشعب العراقي كما جاء في بيان (جمع من العلماء السعوديين يوجهون خطاباً مفتوحاً للشعب العراقي)

في 5 نوفمبر 2004 وقَّعه 26 شخصية تنتمي إلى التيار الصحوي في السعودية، أكدوا فيه على مشروعية المقاومة «وأن على الشعب العراقي الدفاع عن نفسه وعرضه وأرضه»، وافتوا بحرمة التعامل مع المحتلين ضد أعمال المقاومة، ورابعاً السلفية الجهادية بأشكال راديكالية متفاوتة تتراوح بين الجيش الاسلامي بقيادة أمين الجنابي، وبالرغم من كونه تنظيمًا سلفيًا تكفيريًا إلا أنه يحصر عملياته المسلحة ضد الاحتلال الأمريكي، وجيش أنصار السنة، وتشكل في 20 يوليو (سبتمبر) 2003 كرد فعل على الاحتلال الأمريكي للعراق، ويضم بين صفوفه أعضاء سابقين من جماعة «أنصار الإسلام» الكردية، ومقاتلين عراقيين وعرب من السلفيين يقودهم أبو عبد الله الحسن بن محمود، ولا يقتصر عملها على مقاومة الاحتلال الأجنبي وطرده من العراق، بل يشمل أيضاً «إقامة دين الله وفرض شريعة الإسلام لتحكم هذه الأرض الإسلامية»، بحسب ما جاء في بيان التأسيس. وترفض الجماعة العملية السياسية برمتها، وقد هدّدت باستهداف مراكز الانتخابات البرلمانية، كما رفضت مشروع المصالحة الوطنية الذي تقدّم به رئيس الوزراء العراقي السابق نوري المالكي، وارتكبت التنظيم عمليات قتل وتفجيرات ضد مؤسسات حكومية عسكرية ومدنية وكذلك مراكز ونقاط عسكرية لقوات أجنبية وأيضاً لمراكز الاتحاد الوطني الكردستاني وأيضاً السفارة التركية التي نقّذها انتحاري سعودي يدعى أبو عبد الله الدوسري في 24 أكتوبر 2003. ومن هنا سوف نشهد دخول العنصر السعودي في بنية التنظيمات السلفية الجهادية في العراق، إذ سيلعب دوراً محورياً في عملها القتالي، وفي بنيتها القيادية، وترسيخ فكرها الجهادي المستمد من العقيدة الوهابية الأصلية..

فقد بدا واضحاً منذ الأيام الأولى لسقوط النظام العراقي في إبريل 2003 أن ثمة استنفاراً وهابياً سعودياً لנاحية الانخراط في الساحة العراقية بأشكال متعدّدة بما فيها الانخراط العسكري، إذ تدفّق المئات من السعوديين إلى

العراق بهدف الانضمام إلى «الجهاد» عن طريق سوريا. وثبتت الوثائق والأدلة التي جمعتها أجهزة الأمن العراقية والقوات الأميركية أن المقاتلين الأجانب يشكلون الأغلبية العظمى من منفذي التفجيرات الانتحارية داخل العراق. وكانت الصحافية الأميركية سوزان جلاسر كتبت في 15 مايو 2005 أن 70 في المائة من الانتحاريين هم سعوديون، وأن كثيراً من الانتحاريين هم متزوجون، ومتعلمون، وأعمارهم في أواخر العشرينيات.⁽¹⁰⁾

داعش: مخاضات التشكل!

في التعريف الأولي لتنظيم «داعش»، أو «الدولة الإسلامية في العراق والشام»، هو تنظيم سلفي يهدف إلى تطبيق الشريعة وإحياء الخلافة الإسلامية عن طريق العنف تحت عنوان (الجهاد). وتعود جذور التنظيم إلى تشرين الأول (أكتوبر) سنة 2006 إثر اجتماع عقده مجموعة من الفصائل المسلحة ضمن ما عرف بـ «معاهدة حلف المطيبين»⁽¹¹⁾. ويضم الحلف: «مجلس شوري المجاهدين في العراق» و«جيش الفاتحين» و«جند الصحابة» و«كتائب أنصار التوحيد والسنة». وتشكل الحلف كرد فعل على عدم رضا (تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين) عن اختيار أبي أيوب المصري والمعروف باسم (أبو حمزة المهاجر)، وإسمه الحقيقي عبد المنعم عز الدين علي البدوي (1968م - 2010م) وهو مصري الأصل، خليفة لزعيم تنظيم «القاعدة» في العراق الأردني أبو مصعب الزرقاوي (قتل في يونيو 2006).

وتم اختيار حامد داود محمد خليل الزاوي، المعروف بإسم (أبو عمر البغدادي) أميراً لتنظيم «دولة العراق الإسلامية». وكان البغدادي يعمل في جهاز الأمن العراقي في عهد صدام حسين حتى عام 1985 قبل اعتناقه

(10) Susan Glasser, 'Martyrs' In Iraq Mostly Saudis, Washington Post, 15 May 2014

(11) تاريخياً حلف المطيبين هو حلف بين عدد من أفخاذ قبيلة قريش قبل الإسلام لإعانة بني عبد مناف بن قصي في أخذ ما أورثه قصي بن كلاب لبني عبد الدار بن قصي

العقيدة السلفية وتشكيله تنظيمياً عرف باسم (الطائفة المنصورة)، وبايع «تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين» بقيادة أبو مصعب الزرقاوي عام 2004. وبعد مقتل الأخير في يوليو 2006، رفضت الكوادر العراقية في التنظيم أن يكون شخص مصري على رأس التنظيم، فتمّ استبعاد أبو حمزة المهاجر بعد أن دخلت سبع فصائل عراقية مسلحة في ما عرف بـ «مجلس شوري المجاهدين» وشكلت «حلف المطيبين» وتمّ اختيار البغدادي أميراً له في العراق، تحت اسم أبو عبد الله الراشد البغدادي، ثم أميراً لدولة العراق الإسلامية.⁽¹²⁾

من جهة أخرى، تكشف القراءة في سير أفراد الطبقة القيادية في تنظيم «دولة العراق الإسلامية» وتالياً «الدولة الإسلامية في العراق والشام» وأخيراً «الدولة الإسلامية» أنهم تشربوا العقيدة الوهابية، ومارسوها سلوكاً عملياً، وجسّدوها على الأرض في مشاريع، وحروب، وإمارات دينية..

في سيرة قادة «داعش» ثمة تشديد على ذكر عبارة «يسير على منهج السلف»، أي، بمعنى آخر، يعتنق المذهب الحنبلي الوهابي. هذا ما نقرأه في سيرة: أبو عمر البغدادي وخلفه أبو بكر البغدادي، ووزير الحرب السابق أبو حمزة المهاجر المصري، ووزير الاعلام والمتحدث الرسمي باسم الدولة أبو محمد العدناني الشامي وبقية الطبقة القيادية الشرعية والعسكرية..

أبو عمر البغدادي، أول أمير للمؤمنين في «دولة العراق الإسلامية» صاغ، على سبيل المثال، ثوابت دولته المأمولة فكانت سلفية وهابية، وهو من أعدّ الوثيقة التعريفية بعقيدة «الدولة».

(12) أعلن عن تشكيل مجلس الشورى المجاهدين في 15 يناير 2006، وضمّ سبع فصائل هي: تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين، سرايا أنصار التوحيد، سرايا الجهاد الإسلامي، سرايا الغرياء، كتائب الأهوال، جيش الطائفة المنصورة، وانضم اليهم فيما بعد جيش أهل السنة والجماعة. وفي 15 أكتوبر 2006 صدر بيان من قبل أبو حمزة المهاجر يعلن فيه عن حل المجلس وقيام «دولة العراق الإسلامية» بقيادة أبو عمر البغدادي، وصار المهاجر نائباً له. انظر: بيان تأسيس مجلس شوري المجاهدين، موقع منبر التوحيد والجهاد، الرابط: <http://www.tawhed.ws/r?i=5cqqkf0o>

وحين اقترح ابو عمر البغدادي تشكيل لجنة من العلماء أو طلبة العلم المتقدمين كيما تكون نواة لجمع المجاهدين وإصلاح حال المقاومين إشترب للمتقدم في هذه اللجنة: «أن يكون ملتزماً بالسنة على منهج السلف».

وجاء في سيرة البغدادي نفسه أنه كان يعقد حلقات درس في العقيدة السلفية، ترافقت مع الحملة اليمانية التي نظمتها حكومة صدام حسين، ما جعل نشاطاً من هذا النوع مرضياً عنه. وبعد سقوط النظام عام 2003 إنضم وآخرون إلى «جماعة التوحيد والجهاد» بقيادة الزرقاوي، وترقى البغدادي في التنظيم حتى صار مسؤولاً عاماً.

يتحدث القيادي في «داعش» أبو أسامة العراقي، وإسمه الحقيقي خالد عثمان، وهو ضابط سابق في الجيش العراقي، سلاح المشاة، عن تفاصيل دقيقة في حياة أبو عمر البغدادي، مع أنه نفى أن يكون رافق البغدادي، درءاً على ما يبدو لشبهة العلاقة بين ضباط الجيش العراقي السابق وتنظيم «الدولة» بقيادة البغدادي، فزعم أنه ينقل عن رفاق دربه⁽¹³⁾.

وبحسب العراقي، فإن أبو عمر البغدادي، أو حامد الزاوي، من مواليد قرية الزاوية التابعة لمدينة حديثة في ولاية الانبار عام 1964، تخرج في كلية الشرطة في بغداد وكانت بداية عمله ضابطاً في الشرطة العراقية في حديثة وأنه «معروف أنه صاحب فكر ومنهج سلفي». وبخلاف كلام أسامة العراقي أن طرد البغدادي من الشرطة كان على خلفية تهمة كونه من حملة «فكر سلفي تكفيري (وهاي)»، فإن مصادر عراقية أخرى حتى داخل تنظيمات السلفية الجهادية ومن بينها ابو عبد الله المنصور، أمير الجيش الاسلامي، تنفي أن تكون ثمة مشكلة بين النظام العراقي السابق وأي من التنظيمات الدينية السنية السلفية أو الإخوانية، خصوصاً إبان الحملة اليمانية..

(13) أبو أسامة العراقي، محطات من جهاد الأمير أبو عمر البغدادي، وضعت في منتديات (منبر الاعلام الجهادي) في 6 سبتمبر 2012

برز أبو أسامة عمل البغدادي في جهاز الأمن العراقي السابق بأنه «من باب نصره الإسلام والمسلمين وكف الأذى عن المسلمين...». ومن الواضح، أن مثل هذا التبرير يأتي في سياق إسقاط متأخر لإعادة بناء صورة البغدادي، أمير المؤمنين للدولة الإسلامية، وليس البغدادي الضابط في جهاز الاستخبارات العراقية سيء الصيت.

كان أبو عمر البغدادي يداوم على حضور المسجد، ثم أصبح إماماً في (جامع العساف)، وبدأ يلقي دروساً في أصول الدين «وكانت له حلقات لتدريس الشباب العقيدة السلفية»، فجمع من حوله كثيراً من الشباب الذين تحوّلوا، لاحقاً، إلى مقاتلين في تنظيمه وتولى بعضهم مناصب علياً فيه.

لم يشأ أبو أسامة العراقي التطرّق لعلاقة ضباط النظام السابق، وكان هو من بينهم، مع أبو عمر البغدادي، فاختار عبارة غامضة «ثم استعان بإخوانه في التدريب العسكري ممن لهم باع في التدريب على فنون القتال والسلاح...».

على أية حال، أعتقل البغدادي من قبل القوات الأميركية ووضعه في قاعدة الأسد ثم أفرج عنه بعد عشرين يوماً.

التقى البغدادي مع قادة «جماعة التوحيد والجهاد» بزعامة أبو مصعب الزرقاوي، مثل أبو محمد اللبناني وأبو أنس الشامي في مدينة حديثة، ولاحقاً بالزرقاوي وأصبح مقرباً منه، إلى أن صار عضواً في مجلس شورى التنظيم والهيئة الشرعية، ثم تولى مسؤولية الأمن في ولاية بغداد، وتسلم ولاية ديالى، وتالياً مسؤولاً عاماً عن التنظيم أي «مسؤول عن اختيار الأمراء والولاة في جميع الأراضي المسيطر عليها من قبل المجاهدين وكذلك متابعة عملهم والإشراف عليه حيث لا يتم تنصيب أو تعيين والي أو أمير إلا بتزكية الشيخ...». وما يلفت في سيرته أنه «كان لا يقبل

انضمام اي جندي للتنظيم الا بعد معرفة عقيدته». وأنه «منع الكثير من الدخول في التنظيم والمبايعة بسبب سيرتهم ومواقفهم التي تفتقر إلى العقيدة السليمة»، أي ممن لم يكونوا «متلبسين بناقض او مؤثر يدل على كفرهم»، في إشارة إلى نواقض الإيمان، وفق الرؤية العقدية للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

لم يكن البغدادي أميراً لأي من الجماعات التي شكّلت «مجلس شوري المجاهدين» وأقامت «حلف المطيبين» الذي أعلن تنظيم «الدولة الاسلامية في العراق»، ولكن بعد مقتل الزرقاوي تمّ تعيينه أميراً لتنظيم الدولة من قبل المجلس سالف الذكر، بعد أن برز خلاف حول شخصية ابو حمزة المهاجر الذي لم ينل إجماعاً داخلياً في ظل نزوع نحو تعيين شخصية عراقية على رأس التنظيم.

نشير إلى أن أبو أسامة العراقي نفسه كان قد وجّه رسالة نشرت على النت في 12 أكتوبر 2006 إلى زعيم القاعدة أسامة بن لادن طالب فيها بحل فرع القاعدة في العراق، وعدّد سقطات أبو حمزة المهاجر، ومن بينها «زرع العبوات في المنازل والمدارس والمستشفيات ومطاردة المسلمين من اهل السنة في لقمة عيشهم ورزقهم، وتصفية العلماء والأئمة والخطباء، في إشارة إلى مواجهة التنظيم مع عدد من القبائل وزعماء العشائر في العراق» وقد بثت مؤسسة «كلمة حق» الرسالة الصوتية، وبعد أشهر قليلة من بث الرسالة الصوتية، قام أبو حمزة المهاجر زعيم تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين بمبايعة أبي عمر البغدادي ليندمج بذلك تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين مع الدولة الإسلامية تحت اسم «الدولة الإسلامية في العراق».

وجاء في رسالة ابو أسامة العراقي «شيخنا الكريم اسامة بن لادن، إنك أخطأت في اختيار الأمير، ونأمل في أن يصلك كلامنا وألا يخفيه عنكم بعض ممن حولك لكي تتخذ القرار المناسب وتحل بيعة التنظيم في العراق ونحن

ابناؤك لم نقصر في قيادة الحرب والجهاد». وتناول انحرافات الفرع العراقي لتنظيم القاعدة وقال «إذا سكت فلن نسكت.. فقفل الفتنة مفاتيحه بيدك فإما أن تقفلها أو تفتحها».

نفى القاعدة اتهامات العراقي، وتبين أنه أراد ترسيخ موقع «الدولة» كمرجعية نهائية. وكان غياب الزرقاوي قد أحدث شقاً واسعاً بين قيادة «القاعدة» والفروع، ما دفع بن لادن لأن يقبل باقتراح أبو أسامة العراقي، فدعا بن لادن إلى مبايعة البغدادي أميراً على «دولة العراق الإسلامية»، رغم تحفظ التشكيلات السلفية الجهادية العراقية..

وقد بدت النزعة الرسولية تبرز على شخصية البغدادي بعد تعيينه أميراً للمؤمنين، تماماً كما كانت لدى الشيخ محمد بن عبد الوهاب، كما تكشف مراسلاته للأقاليم والشخصيات للقبول بدعوته فكان يوفد الرسل، ويلتقي بكثير من قادة المجاهدين ومن شيوخ العشائر وكان يحثهم «على نصرة الدين والمسلمين». ويعلق أبو أسامة العراقي: «وفتح الله على يده كثيراً من الفتوحات.. وكانت الغزوات والافتحامات والهجمات تدك حصون الكفار وراية لا اله إلا الله ترفرف في مناطق المسلمين رغم أنوف الكافرين..». مشهد نقرأ أمثاله في كتب ابن غنام وابن بشر في توصيف معارك الوهابيين في تاريخ نجد وخارجها..

بدأ تنظيم «الدولة» تنفيذ سلسلة عمليات إرهابية، في الغالب عشوائية وضد المدنيين في الشوارع والأحياء السكنية والمؤسسات المدنية، وبعد مقتل أبو عمر البغدادي في يوم الاثنين 2010/4/19 في عملية أمنية نوعية قضت على الرؤوس الكبيرة في تنظيم الدولة، بمن فيهم أبو حمزة المهاجر، اختار حجي بكر، وإسمه الحقيقي سمير عبد حمد العبيدي الدليمي، الرجل الثاني في التنظيم (قتل في ريف حلب الشمالي في كانون الثاني/يناير 2014) وعدد من الضباط البعثيين في الجيش العراقي السابق أبو بكر البغدادي كي يكون زعيماً للتنظيم، فصارت القيادة العسكرية بيد ضباط سابقين في

الجيش العراقي، فيما تركت مناصب الأمراء الشرعيين والولاة في الخارج لجنسيات أخرى سعودية وخليجية وغيرها..

أما أبو بكر البغدادي، ابراهيم بن عواد البدري، خليفة «الدولة الاسلامية» الحالي منذ العام 2010، فهو ينتمي إلى عائلة تعتنق السلفية الوهابية، وأبوه أحد الدعاة على المنهج السلفي. درس البغدادي العقيدة الحنبلية في (جامعة صدام للعلوم الإسلامية)، التي تأسست عام 1989، أي في بدايات انطلاق الحملة الايمانية التي أعقبت الحرب العراقية الايرانية، وقدم فيها البدري بحثين: تحقيق (روح المريد) و(اللاي الفريدة) وكلاهما في القراءات وأحكام التجويد. وقد انعكست دراسته على اهتمامه بتشكيلات الحروف ومخارجها، وقوانين الادغام التي يبالغ في تطيرها في خطبه..

وقد أمضى البغدادي وقتاً طويلاً في جامع الامام أحمد بن حنبل، إماماً وخطيباً وداعياً في سامراء وأيضاً في بغداد.

ويروي أبو عبد الله محمد المنصور وشهرته (العيساوي)، أمير (جيش المجاهدين) وهو تنظيم سلفي جهادي عراقي تفاصيل من سيرة البغدادي في بحثه (الدولة الاسلامية بين الحقيقة والوهم)، وقال «إنه وحسب معرفتنا به رجل من عوام المسلمين.. أنه ليس بمجتهد ولا عالم ولا طالب علم متمكن، ولم يؤسس في العلوم الشرعية تأسيساً، وليس بعالم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس بفقيه ولا مفسر ولم يتقن أي علم من علوم الشريعة، بل لا يحسب على طلبة العلم أبداً - إن ذلك لمن أعظم الأدلة على قول الزور وشهادة الزور والقبول بالزور..».

ويذكر المنصور بأن البغدادي درس عنده «شيئاً قليلاً من كتاب زاد المستقنع في سنة 2005م، ثم انقطع الدرس» بسبب اعتقاله. وبحسب تقييم المنصور فإن البغدادي «كان محدود الذكاء، بطيء الاستيعاب، باهت البديهة..». وأضاف قائلاً: «لقد خبرناه لا علم ولا خلق». بل نفى

المنصور أن يكون البغدادي ذا تجربة جهادية بارزة وأنه كان «جندياً عادياً معنا حتى نهاية 2005م...» حسب المنصور. ويشرح ذلك بما نصّه: «كان إلى نهاية 2005 معنا من ضمن جنود جيشنا، ولم يكن من المبرزين في الميدان بل ولا من أهل الصولة والجولة، ولا المهمات الكبار، ولا نذكر له واقعة مشهودة لا في الإمداد ولا في المواجهة حتى ابتليت بدخول المعتقل، عندها تغير الرجل على الإخوة وتنمّر وبدأ يثير المشاكل في الجماعة وانقلب رأساً على عقب...»⁽¹⁴⁾.

مهما يكن، فقد تقمّص البغدادي دور الخليفة، وبدأ يرسم معالم مشروع دولة توسّعية يكون عنوانها (خلافة على منهاج النبوة). وفي إبريل 2013 أعلن البغدادي أمير المؤمنين في «دولة العراق الإسلامية» مدّ نشاط تنظيمه إلى الشام وإعلانه ضم «جبهة النصرة» ليصبح الاسم الجديد للتنظيم «الدولة الإسلامية في العراق والشام» واختصاره «داعش»، وهو الأمر الذي رفضه أبو محمد الجولاني، قائد جبهة النصرة، وأعلن تبعيته المباشرة لتنظيم القاعدة الرئيسي بقيادة أيمن الظواهري.

وتعود العلاقة بين الجولاني والبغدادي إلى ما قبل اندلاع الأحداث في سوريا، إذ سبق للجولاني مبايعة تنظيم البغدادي والقتال تحت إمرته في العراق قبل أن ينتقل إلى سوريا في مهمة لتشكيل فرع للتنظيم باسم «جبهة النصرة» بدعم مالي وعسكري من البغدادي «كما أقر الجولاني نفسه»، ولم يكن يرى البغدادي في «النصرة» سوى فرع من فروع تنظيم «الدولة».

وقد انتشر مقطع فيديو يظهر فيه قائد تنظيم جند الأقصى «أبو عبد العزيز القطري» وإسمه الحقيقي محمد يوسف عثمان، عراقي الجنسية

(14) أبو عبد الله محمد المنصور، الدولة الإسلامية بين الحقيقة والوهم، نشر خاص، ص 94 وما بعدها، انظر الرابط:

<https://archive.org/stream/dawlaIllusion-THAER#page/n93/mode/2up>

وكان مقرباً من أسامة بن لادن والزرقاوي ويعد الأب المؤسس لجهة النصر قبل أن ينشق عنها ويؤسس تنظيم «جند الأقصى»، قتل على أيدي عناصر قائد جبهة ثوار سوريا «جمال معروف» في إدلب في أكتوبر 2012 يتحدث عما حصل بين أبو محمد الجولاني وأبو بكر البغدادي، ويؤكد القطري أنه كان شاهداً في هذه الحادثة وكلاهما قال بأنه ينتظر ما يحكم به الظواهري ان البغدادي ملتزم بعودته للعراق وتقتصر دولته هناك لو ان زعيم تنظيم القاعدة أيمن الظواهري أمر بذلك⁽¹⁵⁾.

وفي رسالة صوتية مسجلة في 9 حزيران (يونيو) 2013 طالب أيمن الظواهري البغدادي بحل تنظيم الدولة الإسلامية في سوريا، واعتماد الفصل النطاقي؛ بحيث يقتصر عمل تنظيم «الدولة الإسلامية على العراق» بزعامة البغدادي، بينما يُعتمد نشاط «جبهة النصر» في سوريا بقيادة الجولاني⁽¹⁶⁾. ولكن البغدادي رفض القرار واتهم الظواهري بارتكاب مخالفات شرعية ومنهجية، وقال «الدولة الإسلامية في العراق والشام باقية ما دام فينا عرق ينبض أو عين تطرف لن نساوم عليها أو نتنازل عنها حتى يظهرها الله أو نهلك دونه»⁽¹⁷⁾.

تطوّر خلاف الجولاني والبغدادي إلى خلاف بين البغدادي والظواهري في أعقاب هجوم أبي إبراهيم الموصل - القيادي البارز في «داعش» - على الظواهري قائلاً: «وما الأحداث التي تشهدها ساحة الجهاد في العراق والشام، وما الزواجر العاصفة التي تهز كيان الدولة (الدولة الإسلامية في العراق والشام) إلا من مكر المتسلقين على إنجازات قادة الجهاد المتمكنين

(15) مقطع على اليوتيوب بعنوان «شهادة الشيخ أبو عبد العزيز القطري في قضية تحكيم الدكتور أيمن الظواهري بين البغدادي و الجولاني»، بتاريخ 23 نوفمبر 2014 انظر الرابط: <https://www.youtube.com/watch?v=b04fQqCitEY>

(16) الظواهري يحل «دولة العراق والشام الإسلامية»، الجزيرة نت، بتاريخ 9 حزيران (يونيو) 2013

(17) كلمة صوتية للشيخ أبي بكر البغدادي «باقية في العراق والشام»، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، منتديات المنبر الاعلامي الجهادي، بتاريخ 15 يونيو 2013

المسيطرين، النافخين بكير الفرقة المقيّنة من أمثال أبي خالد السوري (القيادي البارز في تنظيم القاعدة الذي قُتِلَ في حلب شمال سوريا) وأعيان الجهاد الورعين من صنيع عصبة المتشيخ أيمن الظواهري وغلو جريته المتنطعين»⁽¹⁸⁾.

وهنا يبدو كما لو أن التاريخ يعيد نفسه، فقد سرق أبو مصعب الزرقاوي الأضواء من زعيم التنظيم أسامة بن لادن بعد أن فصل العراق عن مركز القيادة في أفغانستان، وبات هو القائد الفعلي للتنظيم، ونجح تالياً في إقامة إمبراطورية خاصة به تحت إسم «تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين»، فإن «داعش» مثلاً في زعيمه أبو بكر البغدادي نجح في تهميش أيمن الظواهري تدريجاً وتأكد ذلك بعد تتويجه لقب أمير المؤمنين على «الخلافة» الناشئة، فأصبح تنظيم «القاعدة» برمته مجرد إطار شكلي لا قيمة عملانية له، فيما بدأت التشكيلات المرتبطة بالقاعدة تتكبد إلى «داعش»...

الجذور الوهابية لخطاب «داعش»

ثمة ما يسترعي الانتباه في قراءة أدبيات «داعش»، وأول ما يظهر في نزوعه السلفي المفرط حقيقة كونه حركة خارج المكان والزمان، وأنه بمثابة نقل حدث خارج سياقه التاريخي وبيئته الخاصة، وفي أحسن الأحوال هو محاولة إعادة انتاج الماضي بأدوات حديثة.

كل ما في المكتبة الداعشية قديم، وفي الغالب ليس إنتاجاً أصيلاً، فهو يعتمد على الاستعارة الدائمة من المكتبة الوهابية الأصلية. وعليه، لا يمتلك دراسة عملية رصينة عن أي موضوع معاصر، فليس في أدبيات التنظيم إجابات عن أسئلة الدولة، ولا معالجات لإشكاليات كان الفكر الإسلامي قد أثارها وتناولها منذ ما يربو على القرن من الزمن (الدستور، الحقوق، الحريات،

(18) تسجيل صوتي لأبي إبراهيم الموصلني نشر في «منتدى المنبر الإعلامي الجهادي» في 8 أبريل 2014 بعنوان «رسالة الدولة الإسلامية في العراق والشام إلى تنظيم قاعدة الجهاد، قولنا المانع الحارق إلى المتنشج المارق إلى أيمن الظواهري».

نظام الحكم، المشكلات الاقتصادية، نظرية أصل الكون، العقل حدوده، العلم والإيمان، المرأة، ومجمل المسائل الحديثة عموماً). على العكس، يصوغ «داعش» رؤيته من خلال تصوّرات وإشكاليات وإجابات طرحت قبل قرون، وعلى وجه التحديد في زمان الشيخ ابن تيمية (توفي سنة 728 هـ / 1328م)، الذي يمثّل الرمز الأعلى والأشد سطوة لدى التنظيمات السلفية بكل أطيافها.

ارتهان «داعش» للاجتهادات التي قدّمها ابن تيمية وتلامذته تجاوزت الانتماء المدرسي وطاولت منهج التفكير إلى حد الاستقالة التامة، الأمر الذي ينعكس على كامل الحمولة المعرفية التي بحوزة التنظيم والتي تخلو من موضوعات حديثة، ما يجعل عنصر المواكبة مفقوداً في مجمل النشاطات الثقافية والذهنية التي يقوم بها قادته.

وعليه، يحتفظ «داعش» في نسخته الوهابية الأصلية، بنظام ثقافي خاص ومغلق (مفاهيم، مفردات، تصوّرات، مصطلحات، مرجعيات، أحكام) مستمدة في الغالب من علماء سابقين يتصدّره ابن تيمية وابن عبد الوهاب، بما يجعل منه جماعة لذاتها إزاء كل ما هو آخر. فلدى «داعش» زمانه، ومكانه، وجماعته، وأدوات تفكيره، بذلك يحقق في نفسه معنى الاغتراب بكل أشكاله، في مسعى لإعادة بناء الأمة المتخيلة. وللمرء التكهّن بماهية الدعوة والدولة ووظيفة كل منهما في ظل قادة يجهلون مجرد تكوين الدولة ووظائفها وآليات عملها.

كلمات وخطب ورسائل قادة «داعش» لا تعالج قضايا فكرية جوهرية، فهم ينقلون ما حسم الإجابات فيه علماء السلفية القدامى والمعاصرون. وفي الغالب، فإن ما تنشره المواقع والصفحات الخاصة بالتنظيم على الشبكة هي أقرب إلى البيانات العسكرية أو السياسة ولكن بلغة دينية، وتتمحور بصورة أساسية حول «الردود» على مقولات التنظيمات الأخرى الصديقة أو المعادية. بكلمات أخرى، ما تقدّمه المكتبة الداعشية يندرج في

(فقه الحرب) أي البعد التعبوي وليس التوعوي، لأن ما يعنيه ليس تنمية عقول عناصره بل تربيتهم على القتال، وهذا لا يتطلب أكثر من تدجيج الخطاب الجماهيري بمفردات دينية مشفوعة بنصوص قرآنية لتحقيق غاية التجنيد والتحريض على القتل والقتال. على سبيل المثال نقرأ في كتاب (القسطاس العدل.. في جوار قتل نساء وأطفال الكفار معاقبة بالمثل) للشيخ أبو الحسن الأزدي، وهو من كبار شرعيي «داعش» يرصد الأدلة من التاريخ وأقوال العلماء، خصوصاً من أعلام المدرسة الجنبلية، على جواز معاقبة الكفار بالمثل بقتل نسايم وأطفالهم والتشريد بمن بقي منهم، وخصّص قسماً من كتابه للرد على من يقول بالعفو عوض العقاب وقال ما نصّه: «ومتى كان في إراقة دماء نساء وأطفال الكفار حفظٌ لدماء نساء وأطفال المسلمين، وكان في الكف عن دمايمهم إراقة لدمائنا، فلا مبالاة بدمايمهم، فلترق باسم الله ولا كرامة، ولا يُقدّم العفو على العقاب والحالة هذه إلا جاهل بدين الله، أو عاجز عن الانتصار له»⁽¹⁹⁾.

مطالعة في قسم «دراسات شرعية» في موقع «الدولة الإسلامية» تشي بنزوع نحو دفع الاتهامات الموجهة ضدها من قبل خصومها في مجالات «السلفية الجهادية» و«السلفية» و«الإسلامية» من بينها، على سبيل المثال، الرد على من يتهمها بكونها مشابهة لحركة (الخوارج) في نزعها التكفيرية والعنفية⁽²⁰⁾. وكذلك دراسة عن «السرورية» ودورها في ضرب التيار الجهادي، وربطها بالمشاريع الاستعمارية والأنظمة العميلة، حسب الدراسة⁽²¹⁾.

(19) الشيخ أبو الحسن الأزدي، القسطاس العدل.. في جوار قتل نساء وأطفال الكفار معاقبة بالمثل، شبكة أنصار المجاهدين، (د.ت)، ص 52 نص الكتاب على الرابط: <https://archive.org/details/qstas>

(20) انظر على سبيل المثال دراسة بعنوان «تبصير المحاجج بالفرق بين رجال الدولة الإسلامية والخوارج — دراسة شرعية وواقعية مختصرة — تأليف: الشيخ أبي همام بكر بن عبد العزيز الأثري، الرابط: http://the-islamic-state.blogspot.com/2014/01/blo-post_20.html

(21) انظر: خفايا السرورية وحقيقة ضربهم للجهاد (أسرار مهمة..)، قسم الدراسات، موقع الدولة الإسلامية، الرابط: http://the-islamic-state.blogspot.com/2014/01/blog-post_1759.html

من منظور عقدي، لا تتمايز «داعش» عن أي تنظيم سلفي جهادي أو تقليدي من حيث اعتناق الوهابية مذهباً، ويشمل العقيدة والفقه ومنهج التفكير والرؤية الكونية. نظرة سريعة في المكتبة العقدية المثبتة على المواقع الالكترونية الرسمية للتنظيم كافية لأن يتعرف المتابع بسهولة على الهوية المذهبية للتنظيم. من نافلة القول، إن مؤلفات محمد بن عبد الوهاب مثل (كتاب التوحيد)، و(كشف الشبهات)، و(نواقض الاسلام)، وغيرها يجري توزيعها في المناطق الخاضعة تحت سيطرة «داعش» في العراق وسوريا ويعلوها ختم «الدولة الاسلامية» وشعارها باللونين الأبيض والأسود، ويتم تدريس الكتب وشرحها في الحلقات الدينية الخاصة التي يعقدها الجهاز التربوي في التنظيم.

النشاط الدعوي لتنظيم «الدولة» يبدو مكثفاً من خلال مؤسساته (الاعتصام) و(الفرقان) و(النخبة)، (الحياة) وغيرها، إذ تقوم الاكشاك بتوزيع أقراص الفيديو الرقمية التي تضم محاضرات كبار قادة التنظيم، وكذلك المعارك التي خاضها، والعمليات الانتحارية التي ينفذها عناصر التنظيم. إلى جانب ذلك، تتجول في المناطق الخاضعة لسيطرة «داعش»، شاحنات تحتوي على منشورات ومطبوعات دعوية، وكتيبات ورسائل ونشريات عقدية وهابية كجزء من مشروع وهبنة المجتمع. كما أنشأ التنظيم عدداً من المدارس الدينية للأطفال، من بينها مدارس للفتيات يتعلمن فيها حفظ القرآن الكريم، إلى جانب دورات تدريبية للأئمة والدعاة الجدد، ويتم توزيع جداول مواعيد الصلاة والمحاضرات ودروس القرآن في المساجد كجزء من واجبات ومهمات «الدولة» إزاء المجتمع. وبعد الاعلان عن دولة الخلافة بدأ العمل بمنظومة مؤسسات خدمية وصحية وتدريب وتعليم وتأهيل منها معسكرات تدريب ومخيمات للأشبال الذي يجري إعدادهم لتولي مهام عسكرية وتنظيمية.

تصفح النشريات والأبحاث المدرجة في المكتبة الالكترونية في المواقع التابعة

لتنظيم «الدولة» أو المقربة منه يوصل إلى حقيقة الدمغة الوهابية الواضحة في أسماء المؤلفين، وعناوين الكتيبات والأبحاث، واللغة المستخدمة فيها..

النزعة التنزيهية المفرطة لدى «داعش» والمستمدة من العقيدة الوهابية تحولت إلى محرض عالي الكفاءة على الاستعمال المفرط للعنف، وتبني عقيدة استثنائية بوصفها مهمة متعالية أكلت إليه من السماء.. وهذه النزعة تكتسي رداءً ثقافياً وعقدياً ويجري تعميمها في هيئة تعاليم دينية، وتصورات عن الجماعة المؤمنة وفق الخصائص الواردة في كتب السلفية التقليدية..

على سبيل المثال، يصوغ الشيخ عبد المجيد بن محمد المنيع (قتل في مواجهات الرياض في 13 أكتوبر 2004)، أحد أهم منظري السلفية الجهادية في المملكة السعودية كتابه (عقيدة الطائفة المنصورة) هوية الطائفة التي يرى أنها تنطبق عليها وحدها دون سواها. هذا الكتاب الذي أصبح من متبنيات «القاعدة» و«داعش»، يشتمل على ثبت حربي للعقيدة الوهابية كما دونها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، بدءاً من تعريف التوحيد بحسب التقسيم الثلاثي: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، مروراً بتعريف أهل الشرك ونوعيه: شرك أكبر مخرج من الملة وفيه أنواع أربعة، وشرك أصغر غير مخرج من الملة مثل الرياء، ولبس الحلقة والخيطة.. وانتهاءً بشرح أركان الاسلام والايمان والاحسان تماماً كما صاغها الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وعلى خطى ابن عبد الوهاب في مقاربة مسألة التكفير، ونفي ما ينسب إليه بالتساهل في التكفير، كذلك المنيع، خريج جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض، ينفي عن (أهل السنة والجماعة) التي يراد بها من يعتنق عقيدة التوحيد كما بشر بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب. وبالرغم من أنه يضع الطائفة المنصورة وسط طائفتين: طائفة تكفر بالذنوب وطائفة المرجئة التي تعتقد أن الاعمال غير داخلية في

مسمى الإيمان وأن العبد لا يكفر وأمره مرجىء لأمر الله، ولكن ما يلبث أن يقرّر ما انفردت به الوهابية دون بقية المسلمين ونسبت ذلك إلى أهل السنة والجماعة أن العبد (إنما يكفر إذا وقع في أحد نواقض الإيمان والإسلام..)، والتي حدّدها محمد بن عبد الوهاب في عشرة نواقض من بينها: الذبح لغير الله، من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوسل إليهم، ومن لم يكفر المشركين أو يشك في فكرهم أو صحّح مذهبهم، ومظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج على شريعة محمد، والاعراض عن دين الله تعالى لا يتعمله ولا يعمل به.

نواقض تبدو في ظاهرها عادية ولا تستأهل نقاشاً واسعاً ومعقّفاً، ولكن بالعودة إلى أدبيات الوهابية ومرجعياتها سوف نجد أن كل ناقض يخضع لجدل واسع ومفتوح، وليس موضع اتفاق بين المسلمين بكل طوائفهم. بكلمات أخرى، تشكّل تلك المكونات مجتمعة أيديولوجية الجماعة المغلقة، والتي من شأنها خلق عصبية خاصة تعزلها عن بقية الجماعات وتصوغ هويتها المستقلة.

فالشروحات التي يقدّمها مؤدّجو الجماعة للمفاهيم الدينية تصدر عن نزعة التمايز عن الآخر داخل الإطار الديني المشترك، وتالياً اعتبار تلك الشروحات وحدها المعتمدة في سياق التجاذب المفتوح على المشروع الدينية. من ذلك اعتبار زمن «الدعوة» التي جاء بها محمد بن عبد الوهاب هو الحد الفاصل بين الإيمان والكفر، حتى أن أحفاد مؤسس المذهب ومن جاء بعده أمثال الشيخ سليمان بن سحمان وصولاً إلى الشيخ ابن باز يعتقدون أن كل من وصلته دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ولم يؤمن يصبح كافراً. وينقل الشيخ صالح بن عبد الله العبود، مدير الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وإمام في المسجد النبوي تعليق الشيخ ابن باز، المفتي السابق، على رد الشيخ محمد بن عبد الوهاب على

عالم الدين العراقي الشيخ عبد الرحمن السويدي حين قال له: «إن الناس يزعمون أنك تكفر المسلم الذي لم يهاجر إليك و يدخل تحت طاعتك» فنفى ابن عبد الوهاب تكفيره لمن لم يهاجر إليه ويدخل تحت طاعته. يقول العبود: فوقف الشيخ عبد العزيز عن الأكل برهة ثم رفع رأسه وقال لي: «لعل هذا في أول الدعوة أما الآن فالقرآن قد بلغهم فلا حجة لهم.. ولا يعذر بكونه يحتج أنه جاهل، لأن جهله لا يكون إلا عن إعراض أو تفريط، فلهذا لا يعذر بالجهل على الإطلاق كما يزعم هذا الزاعم..»⁽²²⁾.

يؤسس النص السابق لنزعة اصطفاوية مفرطة لدى المشايخ إلى حد اعتبار إن الدعوة الوهابية ناسخة لما قبلها وما بعدها، وهي ترسم الخط الفاصل بين الإيمان والكفر. فالشيخ ابن باز يرى بأن ابن عبد الوهاب قد بلغ الإسلام ولا حجة لمن يشرك بعد ذلك. ولا غرابة أن تصادر الوهابية كل ما سواها من مذاهب إسلامية وترى في نفسها التمثيل الحصري للإسلام.

ما يلفت في خطاب «داعش» تأكيده على أنه الامتداد التاريخي والشرعي للرعيل الأول من المسلمين، وأن أتباعه من سوف يكتب على أيديهم التغيير في نهاية التاريخ، تماماً كما هي عقيدة الوهابيين الأوائل ومن جاء بعدهم من جماعات تصحيحية داخل المجال الوهابي مثل جماعة جهيمان.

يخاطب أبو عمر البغدادي، أمير «الدولة» السابق، أهل دعوته في كلمته (سَيَهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ):

«أما أنتم يا فرسان التوحيد.. ورهبان الليل.. وأسود الشرى.. فجزاكم الله عنا وعن المسلمين كل خير. فلقد عاينت الحروب ورجالها.. وأشهد بالله.. أشهد بالله، أن أمتي لم تبخل علينا في بلاد الرافدين، بخيرة أبنائها،

(22) رأي ابن باز في رد الشيخ محمد بن عبد الوهاب على السويدي، بحضرة الشيخ صالح بن عبدالله العبود، انظر الرابط:

<https://www.youtube.com/watch?v=urJlv7ntHE8>

وأصدق نُبائها، فلم ترَ عيني مثلهم، ولا سمعتُ كخبرهم، إلّا خبرَ الرعيلِ الأولِ (!)..

فلمستُ أشكُ يعلمُ الله، طرفَةً عين.. أنا نحنُ الجيشُ الذي يُسلمُ الرايةَ لعبداللهِ المهدي.. إن قُتِلَ أولنا.. فسيُسلمها آخرنا.. وبسطُ هذا في غير موضعنا»⁽²³⁾.

ويخاطب متحدّث «الدولة» أبو محمد العدناني الخصوم بما نصّه: «أتظنون أنا سترحل؟ أتخالون أنا سننتهي؟ أتحسبون أنا سنكل أو نمل؟ كلا إننا باقون بإذن الله إلى قيام الساعة وليقاتلنّ آخرنا الدجال»⁽²⁴⁾.

ويخاطب العدناني عناصر «الدولة» بالقول: «واعلموا أن من أعظم نعم الله عليكم أن اختاركم وساقكم وأحياكم إلى هذا الوقت الذي يجدد الله فيه الدين ويحيى شعار الاسلام والمسلمين، إن من أعظم منن الله عليكم أن أبقاكم إلى هذه الساعة التي عزّ فيها الناصر وقلّ الداعم وخان صاحب وكثر الشاك واللائم..». ولذلك، وجّه دعوة مفتوحة إلى من وصفهم بالمجاهدين الصادقين إلى الالتحاق بالدولة، لتحقيق معنى إيماني «إن مجيئكم أتقى لربكم وأقوى لجهادكم وأغيظ لعدوكم... هلمّوا فإننا لا نشك أبداً أنه من كان منكم فيه خير: فسيأتي الله به ولو بعد حين»⁽²⁵⁾.

وتؤكد الوثيقة التعريفية لعقيدة «الدولة» كما صاغها أبو عمر البغدادي على:

(23) أبو عمر البغدادي، حَصَادُ الْخَيْرِ (سَيِّهَرَمُ الْجَمْعِ وَيُولَوْنَ الدُّبُرَ)، مؤسسة النخبة على الشبكة بتاريخ 17/3/2009 ملاحظة: وردت أخطاء نحوية في الخطبة وتمّ تصحيحها.

(24) الشيخ أبي محمد العدناني، إن دولة الاسلام باقية، الصادرة عن مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي 7 أغسطس 2011

(25) لن يَضُرُّكُمْ إلّا أَدَى، كلمة صوتية للشيخ أبي محمد العدناني الشامي، المتحدث الرسمي عن الدولة الإسلامية في العراق والشام، مؤسسة الفرقان للإنتاج الاعلامي، 30 يوليو 2013

أولاً: إقامة الدين ونشر التوحيد «الذي هو الغاية من خلق الناس وإيجادهم والدعوة إلى الإسلام..» وهو التعريف الذي يمكن العثور عليه بسهولة في رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب وشروحات كتاب التوحيد من مشايخ الوهابية..

ثانياً: إقامة الخلافة الإسلامية وتحكيم شرع الله في الأرض الذي عطله وتركه حكام العرب ونبذوه وراء ظهورهم. ولا يكون تحكيم الشريعة «إلا بالجهاد فقيام الدين لا يكون إلا بكتاب يهدي وسيف ينصر». بحسب قول لشيخ الإسلام ابن تيمية.

ثالثاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكرات والذنوب والمعاصي..

رابعاً: نصره المستضعفين من المسلمين والدفاع عنهم وتحرير بلاد المسلمين من المحتلين المعتدين وتطهيرها من رجس الغاصبين الظالمين..

خامساً: السعي لفكك أسارى المسلمين وتخليصهم من أيدي الظالمين..

سادساً: معاملة الكفار بموجب ما شرعه الله ورسوله وأوجباه علينا، إما الدخول في الإسلام أو بذل الجزية أو القتال..

سابعاً: نشر الأمن وإقامة الحق بين الناس وتوزيع الثروات وتقسيمها بينهم بالعدل وتقديم الأحوج منهم وعدم التفرقة بين المسلمين..

ثامناً: تحقيق الأخوة الإسلامية والسعي لوحدة الكلمة بين المسلمين ونبذ العصبيات القبلية والنعرات الجاهلية فبلاد المسلمين واحدة والمسلمون أمة واحدة وهم يدٌ واحدة على عدوهم⁽²⁶⁾ ..

وقد أصبحت الوثيقة التعريفية بعقيدة وهوية «الدولة الإسلامية»، وهي

(26) هوية وعقيدة الدولة الإسلامية، انظر الرابط:

http://the-islamic-state.blogspot.com/p/blog-page_22.html

مستمدة من رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب، من الوثائق الرسمية الثابتة. في الوثيقة ثمة تصوّر عام وراسخ لدى القادة أنهم ينتمون لتنظيم رسالي، لديه مهمة محدّدة، وغاية نبيلة، وتفويض خاص لناحية تحقيق وعد السماء وحلم أتباع الديانات السماوية.

بصورة إجمالية، في ثانيا كلمات «داعش» أكثر من مجرد دعوة، ورسالة، بل الأهم من ذلك هو الموقف. فالتنظيم في جوهره مجتمع مضاد، يرى بأن الأمة برمتها غارقة في الجاهلية والضلال، وإن إعادة تشكيل الأمة يتم عن طريق إقامة نواة جديدة تتمدّد تدريجاً لتستوعب بقية أفراد الأمة، بعد أن يكونوا قد تخلّوا عن ذواتهم، ماضيهم، خصوصياتهم العقيدية والعقلية، وأصبحوا جزءاً من أمة بشروط جديدة، وبخصائص مختلفة، وبهوية عليا، قد لا تحمل سماتهم الوراثية ولكنها هويّة الأمة الدينية الجديدة..

التكفير.. العصبية والهوية

عمل «داعش» على صوغ سرديّة خاصة به، تهدف إلى تشكيل وعي عناصره، وتؤسّس لمشركات جديدة تتفوق على الفوارق الراسخة في حياة كل واحد منهم عن الآخر، فكان لا بد من عقيدة تكون جاذبة، متعالية، طاغية.

في المبدأ، ووفق العقيدة الوهابية الأصلية فإن تكفير الآخر، مسلماً كان أم كتابياً، بات سمة راسخة في عقيدة تنظيمات السلفية الجهادية، ببساطة لأن المواصفات الصارمة المطلوبة في الانسان المسلم، بحسب رؤية هذه التنظيمات، لا تنطبق سوى على المؤمنين بالتعاليم الوهابية.

على النقيض من رأي ابن سند البصري بأن الوهابية كانت ستملك بلاد المسلمين لولا أنها ابتليت بالتكفير، يرى عالم الاجتماع العراقي علي الوردی أن التكفير عامل مهم في نجاح حركة محمد بن عبد الوهاب «فهو قد

أعطى لأتباعه حجة لغزو المخالفين لهم باعتبارهم مشركين تحلّ دماؤهم وأموالهم ونساؤهم»⁽²⁷⁾.

في حقيقة الأمر، أن التكفير لم يزود الجماعة بحجة فحسب، بل رسم أيضاً حدود وهوية الجماعة. بكلمات أخرى، أن التكفير كان مسؤولاً عن صنع «الآخر» إذ تكتسب «الذات» هويتها، وتصورها، وكائنيتها بمعنى أصل الوجود وكيانيتها بمعنى شكل هذا الوجود. بمعنى آخر، إن التكفير كميكون جوهرى لهوية الجماعة الوهابية جعلها غير متماثلة مع «الآخر»، بحسب أمين معلوف⁽²⁸⁾. ولذلك، تتبنى «الدولة» موقفاً راديكالياً إزاء الآخر. فبدون التكفير لن تتشكل الجماعة، ولن ينتظم صفوف الأفراد من أجل القتال ضد الآخر - الكافر. فالتكفير كان مسؤولاً عن تصنيع العصبية بالمفهوم الخلدوني حيث تنشأ الجماعة، ويتشكّل الآخر في وعيها، الأمر الذي يجعلها متميزة عنه، وخصماً له في مرحلة لاحقة.

وليتخيل المرء في حالة «داعش» كيف يتم اقتلاع الأفراد من جذورهم (البلد، العائلة، القرية، المجتمع، التقاليد، العادات، الثقافة الخاصة، الطقوس، التضاريس، وحتى عادات الأكل واللبس)، ليتم نقلهم إلى مكان آخر مختلف تماماً، بهدف إدماجهم وصهرهم في مجتمع آخر في طور التشكّل، وفق تقاليد، وعادات، وأزياء، وشعارات، وتشريعات، وعلم، وثقافة، ونظام حياة، وربما عادات في الأكل واللبس جديدة.. السؤال: كيف يمكن لأفراد من جنسيات مختلفة من أرجاء العالم الاندماج والانسجام في مثل هذا العالم؟ كان لا بد من هوية جديدة جامعة، ولا يمكن تصنيع مثل هذه الهوية سوى بتوفير عناصر تنطوي على قدرة فائقة على تحقيق هدف مزدوج: الشعور بالتمييز على مستوى الذات والتمايز الشديد عن الآخر،

(27) علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث 1413 - 1992، انتشارات الشريف

الرضي قم، الجزء الأول ص 180

(28) أمين معلوف، الهويات القاتلة، ص 14

وهو ما يصنعه التكفير بوصفه عامل نبذ واقصاء لكل ماهو غيري، والذي يسبغ عليه أمين معلوف إسم «الهويات القاتلة».

في المقارنة بين جيش «الإخوان» الذي أسسه عبد العزيز و جيش «داعش»، على الرغم من وجود مشتركات كثيرة تجمع بينهما، إلا أن الأول لم يواجه إشكالية الهوية، فقد كان منسجماً ومتجانساً من حيث انتماءه القبلي والمكاني. وبحكم بنيته القبلية المتماسكة لم يتطلب نقله إلى مشروع الدولة الدينية أكثر من مجرد تغييرات طفيفة في الإعدادات الذهنية لأفراد هذا الجيش، بخلاف ما هو عليه حال «داعش» إذ يضمّ في صفوفه مقاتلين من أكثر من ثمانين جنسية، يتحدثون لغات مختلفة، ولهم عادات، وذاكرة، وتاريخ، ورأسمال ثقافي وفني مختلف، الأمر الذي فرض على قادة التنظيم تخليق إيديولوجيا عليا عابرة للانتماءات بكل أشكالها، ولها، في الوقت نفسه، قدرة على اكتساح الوعي الخاص لكل أفراد «الدولة»، وهذا ما يفسّر سطوة الرمزية المتمددة والتي تشمل كل شيء بما في ذلك الأزياء، والشعارات والعلم، والعادات... كما يفسّر أيضاً، وهذا الأهم، ضراوة النزعة التكفيرية لدى قادة «داعش».

والتكفير لدى التنظيم على نوعين: كفر ابتدائي بمعنى أن يكون فرد أو جماعة في حكم «الكافر/الكافرة» لعدم معرفة حقيقة الدين ولا جوهر الإيمان، وهذا ينطبق على أتباع الأديان الأخرى وطوائف من المسلمين، مثل الشيعة بكل أطيافهم، والصوفية والأباضية، وهناك كفر ارتداد، وينطبق على من كان مؤمناً ثم قام بفعل يخرجهم من الاسلام ويدخله في خانة الردّة، فتنطبق عليه أحكام الردة. وعلى الرغم من أن هذه الأحكام أشدّ من حكم الكافر الابتدائي، إلا أن الاختلاف بينها يكمن في النتائج العملية. في حالة «داعش»، تنطبق أحكام كفر الارتداد على كل من يرفض مبايعة أمراء التنظيم، ويطال المقرّبين..وقد جاء في وثيقة بتاريخ 11 تموز (يوليو) 2014 بعنوان (تعهد وإقرار بالتبرؤ والتوبة) صادرة عن الدولة الاسلامية

- ولاية الخير (دير الزور) أن يكتب التائب النص التالي: «أقر أنا المدعو فلان بالتبرؤ من الفصيل الفلاني التابع لفلان وأقر أن ما وقعت فيه من وقوف مع (الجيش الحر، والجهة الاسلامية، وجهة النصره وغيرهم) ضد الدولة الاسلامية هو محاربة لله ولرسوله وللمؤمنين، فأستغفر الله من هذا العمل وأتبرؤ من قتال الدولة الاسلامية وعدم محاربتها والوقوف ضدها..»⁽²⁹⁾.

الطريف في الأمر، أن قيادة التنظيم تلوذ بلهجة المحاجة نفسها لدى الشيخ محمد بن عبد الوهاب حين وجهت له تهمة التساهل في تكفير المخالفين. يقول ابو عمر البغدادي في بيان عقيدة (الدولة):

«وقد رمانا الناس بأكاذيب كثيرة لا أصل لها في عقيدتنا، فادّعوا أننا نكفر عوام المسلمين ونستحل دماءهم وأموالهم»⁽³⁰⁾.

وحين رد التهمة لجأ البغدادي الأول لنفس منهجية الشيخ محمد بن عبد الوهاب في تكفير الآخر ولكن بطريقة مواربة، إذ يقول: «ومن نطق بالشهادتين وأظهر لنا الإسلام ولم يتلبس بناقض من نواقض الإسلام: عاملناه معاملة المسلمين، ونكّل سريره إلى الله تعالى، وأنّ الكفر كفران: أكبر وأصغر، وأنّ حكمه يقع على مقتفه اعتقاداً أو قولاً أو فعلاً، لكنّ تكفير الواحد المُعين منهم والحكم بتخليده في النار موقوف على ثبوت شروط التكفير وانتفاء موانعه». وحين نعود إلى المصنّفات الوهابية في التكفير لا نجد البغدادي الا مقلداً ومردداً لمقولات الوهابية في التكفير. وحتى عبارة «نواقض الاسلام» التي لم ترد في كتب الاولين، هي في الأصل عنوان كتيب للشيخ ابن عبد الوهاب. ومن أمثلة التساهل في التكفير عند محمد بن

(29) نص إقرار التوبة عن قتال «الدولة الاسلامية»، القدس العربي، لندن، 12 تموز 2014 عن علاء وليد مراسل الأناضول

(30) الشيخ ابو عمر البغدادي، كلم صوتية بعنوان: (قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي) في 13 مارس 2007، مؤسسة الفرقان للانتاج الاعلامي

عبد الوهاب كلامه حول أهل البوادي، أي الذين يعيشون في البادية بقوله «..فإن كان للوضوء ثمانية نواقض ففهم - أي في أهل البوادي - من نواقض الاسلام أكثر من المائة ناقض..»⁽³¹⁾.

وحين سرد البغدادي نواقض الإسلام بدا واضحاً أن من يطاولهم حكم التكفير كثراً في أمة المسلمين. للإشارة، فإن واحدة من النواقض التي توجب التكفير: من لم يكفر كافراً أو شك في كفره فهو كافر. وعليه، فمن كفرته الوهابية يصبح كافراً ولا بد من تكفيره ومن شك في تكفيره يصبح هو الآخر كافراً. وهكذا يفتح باب التكفير على مصراعيه ليستوعب غالبية سكان العالم، والمسلمون من بينهم.

لا تكف قيادات «داعش» عن نفي نزعة «التكفير» لدى التنظيم رغم رسوخها في ثقافته وسلوكه العام الدموي. على سبيل المثال، يرد أبو محمد العدناني الشامي، متحدث «داعش»، واسمه الحقيقي طه صبحي فلاحه من قرية بنش في ريف إدلب السورية، يرد على من يرمي تنظيمه بتكفير عموم المسلمين: «أن عموم أهل السنة في العراق والشام مسلمون، لا نكفر أحداً منهم إلا من ثبتت لدينا رذته بأدلة شرعية قطعية الدلالة قطعية الثبوت». ومع ذلك يعترف العدناني أن من عناصر التنظيم من كان يكفر وقد طردوه بحسب زعمه من التنظيم ويستدرك قائلاً: «وقد فعلنا هذا مراراً كثيرة مع مهاجرين وأنصار».

العدناني لم ينس نصيبه من تكفير الآخرين، فكان يرى أن الإخوان المسلمين هم «حزب علماني بعباءة إسلامية، بل هم أشر وأخبث العلمانيين..»، بل حكم بكفرهم في سياق تفسيره لآية «إنما النسيء زيادة في الكفر» إذ أسقط ذلك على الإخوان وقال «وهذا النسيء الإخواني هو زيادة في الكفر..» مع

(31) الرسائل الشخصية، التصحيح والمقابلة على النسخ الخطية والمطبوعة صالح بن فوزان الفوزان محمد بن صالح العليقي، المجلد السابع من مؤلفات الامام محمد بن عبد الوهاب ص 25 26

أن أصل الكفر هو «نسبتهم الحكم والتشريع لغير رب العالمين...»⁽³²⁾. وكرّر ذلك لاحقاً «وإن هذا الكفر الذي وقع فيه حزب الإخوان وأوقع الناس فيه: هو من جراء طاعة الكفرة من الذين أوتوا الكتاب من أمريكا والغرب»، كما وصف حزب النور السلفي بحزب الظلام لقبوله المشاركة في الانتخابات والدخول في مجلسي الشعب والشورى. وحكم العدناني بكفر الجيوش العربية قاطبة بوصفها جيوشاً حامية لأنظمة الطواغيت وحكم بوجود قتالها لأنه يصدق عليها مسمى «طائفة ممتنعة»⁽³³⁾، ورجع في ذلك لابن تيمية وأقواله في «الطوائف الممتنعة»⁽³⁴⁾.

وجّه العدناني نصيحة للجيش المصري بقراءة الكتب الوهابية، وقال ما نصّه «وننصحهم بدراسة التوحيد، ونواقض الإسلام وتعلّم دين الولاء والبراء...». فيما نصح الإخوان المسلمين وحزب النور «بالتوبة إلى الله والرجوع عن دين الديمقراطية...»⁽³⁵⁾.

حصر العدناني خلاف «داعش» مع الأنظمة الحاكمة في تحكيم القوانين، وبناء عليه «لا فرق بين مبارك ومعمر وابن علي، وبين مرسي وعبد الجليل والغنوشي، فكلهم طواغيت يحكمون بنفس القوانين» وأن الآخرين «أشد فتنة على المسلمين...». وأخرج الإخوان وحزب النور من قائمة الأحزاب الإسلامية لخلوهما من «كل ثوابت الإيمان وكثير من فروع الإسلام»...

(32) أبو محمد العدناني الشامي، كلمة صوتية بعنوان (لك الله أيها الدولة المظلومة) في 30 سبتمبر 2013، مؤسسة الفرقان للإنتاج الاعلامي

(33) انظر أبو محمد العدناني، الناطق باسم الدولة الإسلامية، «السلمية دين من؟»، مؤسسة الفرقان للإنتاج الاعلامي، موقع الملاحم والفتن، 31 أغسطس 2013

(34) يقول ابن تيمية: (أجمع علماء الأمة على أن كل طائفة ممتنعة عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة فإنه يجب قتالها حتى يكون الدين كله لله..) مجموع فتاوى ابن تيمية، تقي الدين ابن تيمية، مجمع الملك فهد، 1995م ج28 ص 468

(35) أبو محمد العدناني، السلمية دين من؟ مصدر سابق

من وجهة نظر عبد المجيد المنيع في كتابه (عقيدة الطائفة المنصورة)، فإن الحكومات القائمة في ديار المسلمين والتي تدّعي الاسلام «قد دخلت في الكفر من أوسع أبوابه لارتكابها عدداً من نواقض الإسلام منها: تشريعهم مع الله ما لم يأذن به الله، وطاعتهم للمشرّعين المحليين والدوليين واتباعهم لتشريعاتهم الكفرية، ودخولهم في أحلافهم الشريكة، كاتباعهم لتشريعات هيئة الأمم المتحدة.. حكمهم بغير ما أنزل الله.. مظاهرتهم وتوليهم للكفار من اليهود والنصارى والمشرّكين وحمایتهم ونصرتهم ومنع من يُنكر عليهم كفرهم، وعقدوا معهم اتفاقيات ومعاهدات النصره بالنفس والمال واللسان.. استحلّالهم الحرام بالترخيص له وحمایتهم وحراسته والتواطؤ والاصطلاح عليه، كمؤسسات الربا.. استهزاؤهم بدين الله والترخيص للمستهزئين وحمایتهم وسنّ القوانين التشريعية التي ترخّص لهم وتسهل لهم هذا الاستهزاء عبر وسائل الإعلام..»⁽³⁶⁾.

وأتبع المنيع حديثه في التكفير قائمة بالمذاهب الكفرية وهي: العلمانية، الوطنية والقومية.

ينزع أبو عمر البغدادي، أمير «الدولة» السابق، إلى توصيم طائفة كبيرة من الناس والتيارات الفكرية بالكفر وبالإسم تحت عناوين مختلفة، كالعلمانية والقومية والوطنية والشيوعية والبعثية وهي «كفر بواح، مناقض للإسلام مخرج من الملة»، كما يرى «كفر وردة كل من اشترك في العملية السياسية»، ويسمّي شخصيات سياسية سنيّة في العراق مثل صالح المطلق وعدنان الدليمي وطارق الهاشمي وغيرهم، والسبب أن العملية السياسية في العراق فيها «تبديل لشرع الله تعالى». ويرى أيضاً «أن منهج الحزب الإسلامي - أحد تشكيلات الاخوان المسلمين - منهج كفر وردة، لا يختلف في منهجه وسلوكه عن سائر المناهج الكافرة والمرتدة؛ كحزب الجعفري وعلاوي،

(36) عبد المجيد المنيع، عقيدة الطائفة المنصورة، صوت الجهاد، شبكة القلمون الاسلامية، (د.ت).

وعليه فقياداتهم مرتدون لا فرق عندنا بين مسؤول في الحكومة أو مدير فرع..». ولا غرابة أن تكون مقرّات الحزب الاسلامي وأعضاؤه البرلمانيون هدفاً لتفجيرات «داعش»⁽³⁷⁾.

يرى البغدادي وتنظيم «الدولة» أيضاً كفر وردّة من أمدّ المحتل - الأميركي - وأعوانه بأي نوع من أنواع المعونة من لباس أو طعام أو علاج ونحوه، مما يعينه ويقويه، وأنه بهذا الفعل صار مستباح الدم بالنسبة للتنظيم. وعليه، أصدر أبو عمر البغدادي حكمه في الصحوات، وحكم على أفرادها بالردّة وطالب بقتلهم لأنهم «صاروا للصليب أعواناً، وعلى المجاهدين فرساناً..»⁽³⁸⁾.

نشير إلى أن ثوابت عقيدة «الدولة»، كما حدّدها أبو عمر البغدادي، تكاد تكون منقولة حرفياً من المرجعيات الوهابية، بما في ذلك الموقف من الشيعة ووجوب التحاكم إلى المحاكم الشرعية في الدولة الإسلامية، والبحث عنها في حالة عدم العلم بها، لكون التحاكم إلى محكمات الدولة العراقية بمثابة التحاكم إلى الطاغوت. ومن يتحاكم إلى غير محاكم «الدولة» يكون قد ارتكب ناقضاً من نواقض الإسلام وبذلك يصبح كافراً. وعليه، فإن الأغلبية الساحقة من المسلمين هم كفّار كونهم يتحاكمون في غير محاكم «الدولة»!

وفي ظل التعاليم الوهابية الأصلية، يرى أبو عمر البغدادي أن كل دولة لا تحكم بالشرعية تعتبر ديار كفر وردّة ويجب قتالها. ويقول ما نصّه: «نرى كفر وردة جميع حكام تلك الدول وجيوشها، وقتالهم أوجب من قتال المحتل الصليبي..»⁽³⁹⁾. ولنتأمل في عبارة «أوجب من قتال المحتل

(37) فجّر «داعش» منزل مطشر السامرائي النائب في البرلمان العراقي عن الحزب الاسلامي في 15 سبتمبر 2014، وفي 26 أكتوبر من العام نفسه فجر التنظيم مكتب الحزب في الفلوجة.

(38) الشيخ/ أبو عمر البغدادي، كلمة (أَذْلَى عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ)، بتاريخ 13 ذو الحجة 1428 - 2007/12/22، مؤسسة النخبة.

(39) البغدادي، أبو عمر، كلمة «قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي» مصدر سابق

الصليبي» وربط ذلك بموقف «داعش» من العدوان الاسرائيلي على غزّة في يوليو - أغسطس 2014، وعزوفه عن «الجهاد» ولو بالكلمة، وكذلك كلام أبو بكر البغدادي في 13 نوفمبر 2014 حين قدّم قتال الشيعة والحكام السعوديين على قتال من وصفهم (الصليبيين)، ما يثني برؤية عقديّة لدى التنظيم تقوم على تقديم قتال الكفّار والمرتدين داخل المجال الاسلامي على قتال أتباع الديانات الأخرى، وهي نفس الرؤية التي كانت لدى الحركة الوهابية في أطوارها الثلاثة.

بعد انتقال «داعش» للقتال في سوريا، توسّعت مروحة الكفّار، فصار يكفّر «الجيش الحر»، و«جبهة النصرة»، و«الجمهورية الإسلامية» التي يصفها بالصحات، وقد أوقع فيها قتلى كثراً، وقام بإرسال سيارات مفخّخة وانتحاريين إلى مواقع وتجمعات «الحر» و«النصرة» و«الجمهورية»، مع أن هذه الجماعات تعمل في المشروع ذاته، أي إسقاط النظام السوري، بل وتتبنى العقيدة الوهابية، بحسب بيان توضيحي صادر عن «الإمارة العامة لجبهة النصرة في القلمون» في 2 أغسطس 2014 وجاء في النقطة الأولى: «إن جبهة النصرة والدولة الإسلامية في العراق والشام على منهج واحد وإن اختلفت السياسات»⁽⁴⁰⁾.

جنوح «الدولة» إلى التكفير ينتقل إلى الموضوعات التي يتعارض الحكم فيها مع الآخرين. في موضوع الانتخابات، على سبيل المثال، فإن «داعش» يرفض مبدأ الانتخابات لأن دين الله، حسب اعتقاده، لا يقبل ذلك، وإن تحكيم الشريعة لا تقوم على الانتخابات.. فكل من يدخل في الانتخابات البرلمانية ويشارك في المجالس المنتخبة كافر ومرتد. وكان أمير «الدولة» السابق أبو عمر البغدادي يقول: «يا قوم: إن هذه الانتخابات حرامٌ في شرع ربنا»، ويوضّح «إن فكرة الانتخابات الديمقراطية التي تميّزها ولا تنفك

(40) انظر نص البيان على الرابط التالي:

<https://www.alplatformmedia.com/vb/showthread.php?t=34791>

عنها هي سيادة الشعب، بينما أصل عقيدتنا وديننا هو سيادة الشرع» وعليه: «فالنواب والمُشرِّعون أوثانٌ منصوبة تحت قبة تخضع لقانونٍ أو دستورٍ ظالمٍ جائر يناقض الشريعة الإسلامية ويحاربها في كثيرٍ من أصول ديننا الحنيف.. وأما المُشرِّعون فهم كفار بلا عُبار..»⁽⁴¹⁾.

لا جديد في كلام البغدادي، فهو مجرد ترديد صدى لفتاوى وهابية قديمة ومستفيضة. نشير إلى فتوى للشيخ الوهابي المتشدّد عبد الرحمن البراك جاء فيها «الانتخابات حرام شرعاً وهي أمر دخيل على المسلمين وتشبّه بالكفار..»⁽⁴²⁾. وبصورة عامة، فإن الأصل في فتاوى علماء الوهابية هو حرمة إقامة الانتخابات مع القدرة، وإن الإجماع قائم على تحريم الديمقراطية وطريقتها في الانتخاب، وأن جواز المشاركة فيها أحياناً هو للحد من شرورها..

كخلاصة، فلإن «داعش»، وفق المعطيات المتوافرة، يمثّل أشد الجماعات التكفيرية إسرافاً في إطلاق أحكام التكفير حتى لا تكاد تجد مسلماً خارج مظلة «داعش»، وفي ذلك التزام أمين بالتصوّر الوهابي الأول للعالم.

استراتيجية التغيير: نكاية، ونوحش، ونمكين

لا يضمّر «داعش» مشروعه الأساس، إذ يسهب قاداته في شرح أدق تفاصيله، ويرسمون خارطة الطريق لتحقيقه. قد لا يتوسّل التنظيم نصوصاً دينية موضع إجماع المسلمين أو على الأقل قسم وازن منهم، ويكتفي باجتهادات فقهاء سابقين ومعاصرين كيما يؤسس لرؤية دينية عامة لصوغ نموذج «الطائفة المنصورة» المختيلة.

في استراتيجية «داعش» المشتركة مع «القاعدة» ثمة تمرّحل من نوع خاص. في المراحل تتقلّص المسافة بين الحياة والموت في الوسائل، إذ يصبح القتل

(41) أبو عمر البغدادي، جريمة الانتخابات الشرعية والسياسية.. وواجبنا نحوها، في 12 فبراير 2010
نخبة الاعلام الجهادي، قسم التفريغ والنشر

(42) موقع (سبر) 16 كانون أول 2013

في كل المراحل جزءاً من عملية التدرّج وصولاً إلى إتمام المهمة الكاملة. وسوف نتوقف هنا عند المراحل الثلاث التي يتبعها التنظيم في سياق تنفيذ مشروعه التغييري.

أولاً: مرحلة النكاية:

يفرد القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (520-595هـ) في كتابه (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) مسألة في الفصل الثالث بعنوان (في معرفة ما يجوز من النكاية بالعدو)، وتتناول الرؤية الكلاسيكية لموضوعة النكاية بالكفار قبل أن يطوّرها منظّرو «القاعدة» لتناسب هذا الزمن.

فقهياً، يقسم القرطبي النكاية التي يجوز أن تبلغ الكفار على قسمين: نكاية النفوس ونكاية الأموال (يقصد الممتلكات). ويعني بنكاية النفوس الاستعباد والتملّك، ويقول أنها جائزة في جميع أنواع المشركين، أي الذكور والإناث والشيوخ والصبيان والصغار والكبار باستثناء الرهبان، حسب رأي بعض الفقهاء، إذ قالوا «أن يتركوا ولا يؤسروا، بل يتركوا دون أن يعرض إليهم لا بقتل ولا باستعباد».

في مرحلة النكاية، يكون الإمام مخيراً في الأسرى: أن يمنّ عليهم، استعبادهم، قتلهم، اخذ الفدية، ضرب الجزية. ويرى القرطبي أن النكاية في النفوس تكون بالقتل «ولا خلاف بين المسلمين أنه يجوز في الحرب قتل المشركين الذكور البالغين المقاتلين»، واختلف بعض الفقهاء في القتل بعد الأسر. ولكن لا يجوز قتل صبيان المشركين ولا نسائهم ما لم يقاتلوا، حسب قوله.

وهناك فقهاء يرون القتل بالعموم بدون استثناء ذكراً أم أنثى صغيراً أم كبيراً على أساس فهم الآية الكريمة (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) ولم يستثن قتلًا من قتل. ويضيف القرطبي ومن باب النكاية اتفاق عوام الفقهاء، حسب وصفه، على جواز «رمي الحصون بالمنجنيق، سواء كان فيها نساء وذرية أو لم يكن لما جاء: «أن النبي - عليه الصلاة والسلام - نصب

المنجنيق على أهل الطائف». وإذا كان في الحصن أسارى من المسلمين وأطفال من المسلمين، فقالت طائفة: يكف عن رميهم بالمنجنيق، وبه قال الأوزاعي. وقال الليث: ذلك جائز.

وأما نكاية الأموال فتشمل البناء والحيوان والنبات، ونقل القرطبي عن مالك أنه أجاز قطع الشجر والثمار وتخريب العامر، ولم يجز قتل المواشي ولا تحريق النخل. وأما الأوزاعي فكره قطع الشجر المثمر وتخريب العامر كنيسة كان أو غير ذلك، وقال الشافعي: تحرق البيوت والشجر حيث كانت لهم معاقل، وكره تخريب البيوت وقطع الشجر إذا لم يكن لهم معاقل⁽⁴³⁾.

لا ريب، أن مثل هذه الآراء الراديكالية حين تنزع من سياقها التاريخي والفقهني توفّر مسوّغاً دينياً لارتكاب أشكال متعددة من الجريمة. ويكفي أن رجوع تنظيمات السلفية الجهادية لهذا النوع من الاجتهادات ينطوي على إشارات خطيرة للغاية، وعلى صورة الإسلام بدرجة أساسية.

وقد طوّر منظّرو القاعدة مفهوم النكاية ليكون مكوّناً جوهرياً في استراتيجية التغيير التي تصوغها للتمهيد لإقامة دولة الخلافة، بل يعدّها التنظيم المرحلة الأولى في مشروع الخلافة.

يتحدّث أبو محمد المقدسي عن استراتيجية التغيير التي يتبناها التنظيم للوصول إلى مرحلة التمكين، ويبدأ بما يصفه بـ «جهاد النكاية» انطلاقاً من القسمة التقليدية لعقيدة الجهاد: جهاد دفع وجهاد طلب. والأول يكون للدفاع عن دار الإسلام وحرّات المسلمين في حال تعرّضهم لهجوم خارجي، والثاني يكون بمبادرة القتال ضد الكفار في ديارهم حيث كانوا..

(43) أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار

ابن حزم، 1999م، ص 314، 315، 317

يتجاوز المقدسي تلك القسمة ليقدم أبعاداً أخرى لعقيدة الجهاد، ويجترح عنواناً فرعياً تحت إسم «ثمرات الجهاد وآثاره ونتائجه»، ويقيم على ذلك قسمة أخرى: قتال النكاية وقتال التمكين.

ويعرّف المقدسي قتال النكاية من خلال الهدف منه أنه «التنكيل بأعداء الله»، ويقتصر على مجرد «النكاية في الأعداء وإغاثتهم والنيل منهم وإرهابهم أو كف أذاهم عن بعض المسلمين أو استنقاذ بعض المستضعفين أو فك الأسارى». وحين يوضع التصور العقدي الوهابي للآخر (=أعداء الله) يصبح كثير من المسلمين هدفاً أساسياً في مرحلة التنكيل.

واعتبر المقدسي أن «النكاية في الأعداء» من وظائف ومقاصد حياة العبد المسلم، وهذا النوع من القتال هو الغالب على قتال المسلمين في هذا الزمن، حسب اعتقاده. ويستدرك المقدسي أن قتال النكاية ليس مطلوباً بحد ذاته، بل هو مقدمة لقتال التمكين الذي هو الأصل في الأمر كله، إذ ليس المطلوب أن يبقى المجاهدون طلاب قتال وشهادة وليسوا طلاب حكم، أو أن يتركوا الأمر لمن وصفها المقدسي «الأكثرية المنحرفة».

في مرحلة النكاية تبدو الشروط المطلوبة في المقاتلين والقيادة غير صارمة، و«قد يتساهل في أشياء لا يجوز أن يتساهل بها في قتال التمكين»، ومنها اختيار القيادة التي يكتفي فيها بالكفاءة القتالية لدى القائد العسكري «مع قصوره في العلم الشرعي وقد يتساهل ببعض معاصيه أو انحرافاته التي لا تصل إلى الكفر..»، ولذلك أجاز المقدسي «القتال مع الأمير الفاجر لدفع الكافر» من باب «دفع أعظم الشرين أو المفسدين باحتمال أدناهما..». أما في مرحلة قتال التمكين فالشروط تكون صارمة، فلا بد من قيادة «ربانية، موّحدة، عارفة بالشرع، واعية بالواقع، وصالحة للحكم بما أنزل الله»⁽⁴⁴⁾.

(44) أبو محمد المقدسي، الوقفة الثانية عشر: بين قتال النكاية وقتال التمكين، منبر التوحيد والجهاد، <http://www.tawhed.ws/pr?i=2382>

ومن أهداف مرحلة شوكة النكاية والإنهك بحسب أدبيات السلفية الجهادية:

1. إنهك قوات العدو والأنظمة العميلة لها وتشتيت جهودها وإيصالها إلى درجة الإنهك، وذلك في مناطق الدول الرئيسة المرشحة وغير المرشحة كذلك بعمليات وإن كانت صغيرة الحجم أو الأثر (ولو ضربة عصا على رأس صليبي)، حسب قولهم، إلا أن انتشارها وتصادعيتها سيكون لهما تأثير على المدى البعيد..

2. جذب شباب جدد للعمل الجهادي عبر عمليات نوعية تلفت أنظار الناس، أو ما يعرف بالعمليات التذكيرية، ويقصد بها (العمليات النوعية المتوسطة على غرار عملية بالي وعملية المحيا بالرياض وعملية جربة بتونس وعمليات تركيا والعمليات الكبرى بالعراق)، وليست عمليات نوعية على غرار هجمات الحادي عشر من سبتمبر التي تفضي إلى ردود فعل تعطل «القيام بالعمليات النوعية الأقل منها حجماً». والعمليات النوعية الصغيرة «لا تنتظر مشاوراة القيادة العليا لكونها أذنت بها مسبقاً»..

3. إخراج المناطق المختارة - التي اتخذ القرار بالتحرك المرکز فيها سواء كانت كل المناطق المرشحة أو بعضها - من سيطرة الأنظمة ومن ثم العمل على إدارة التوحش الذي سيحدث فيها بما لا يصل إلى مرحلة تعمّ فيها الفوضى..

4. تأهيل مجموعات النكاية عسكرياً استعداداً للانتقال إلى مرحلة إدارة التوحش⁽⁴⁵⁾.

ثانياً: مرحلة «التوحش»:

يعرّف الشيخ أبو بكر ناجي، وإسمه الحقيقي سيف العدل وهو من عرب 48 في فلسطين المحتلة، وبرز كأحد منظري القاعدة بعد العام 2006 مرحلة التوحش أنها «إدارة الفوضى المتوحشة».

(45) أ. ناجي، طريق التمكين، مصدر سابق، ص 10

ويفرق ناجي بين التوحش والفوضى أن الأخيرة تنطبق فقط على شركة تجارية أو مجموعة من الجيران في حي أو منطقة سكنية أو حتى مجتمع مسالم وليس على دول تخضع لقانون الغاب بصورته البدائية يتعطش أهلها الأخيار منهم بل وعقلاء الأشرار لمن يدير هذا التوحش. بطبيعة الحال، لن نخوض في جدل حول استعمال مصطلحات خاصة قد تحمل معان مختلفة غير تلك التي يريد لها مؤدجوا القاعدة، وبالتالي سوف نتمسك بالمهمة التوضيحية لواقع الحال دون تغييره بأي حال..

نشير هنا إلى أن ظروف مرحلة التوحش قد تسمح بإقامة ما يشبه إمارة دينية يمكن فيها تطبيق الشريعة، تماماً كما فعلت «القاعدة» وتالياً «داعش» في بعض البلدان مثل باكستان وأفغانستان والجزائر والعراق، وسوريا، وكما حاولت فعله في لبنان واليمن وكما فعل الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الدرعية حين طبق الحدود وأقام ما تيسر من أحكام الشريعة، ولكن دون الوصول إلى مستوى إقامة دولة الخلافة، لأنها من امتيازات مرحلة التمكين.

يفرق أبو بكر ناجي بين خمسة تيارات في الحركة الإسلامية: تيار السلفية الجهادية (القاعدة، داعش)، تيار سلفية الصحوة الذي يرمز له سلمان العودة وسفر الحوالي، تيار الإخوان (الحركة الام..التنظيم الدولي)، تيار إخوان الترابي، تيار الجهاد الشعبي (حماس، جبهة تحرير مورو). في النتائج العملائية يضع ناجي الصحوة والإخوان في خانة واحدة من حيث كونهما يلتقيان في هدف مشترك (إنشاء المؤسسات)⁽⁴⁶⁾.

أما تيار السلفية الجهادية فله مقارنة يعتقد أصحابها أنها شاملة وتقوم على مراحل ثلاث: الانهالك والتوحش والتمكين.. ولكل مرحلة أحكامها وخطتها وتكتيكاتها.. وسوف نجد أن الوهابية تمثل المرشد العام لأحكام الجماعة.

(46) أبو بكر ناجي، إدارة التوحش... أخطر مرحلة ستمر بها الأمة، مركز البحوث والدراسات والبحوث الإسلامية، د.ت، ص 3

يستعير منظّرو (السلفية الجهادية) من تراث التنظيمات المسلّحة الاسلامية وغير الاسلامية تكتيكات في العمل التغييري. على سبيل المثال، يرى ناجي أن أول وسيلة من وسائل الاستقطاب في مرحلة (إدارة التوحش) هي إحسان إدارة المناطق الخاضعة تحت سيطرة التنظيم. وهناك وسائل أخرى في هذه المرحلة مثل: رفع الحالة الإيمانية لنانحية تسهيل استقطاب الناس إلى صفوف العاملين في التنظيم الجهادي، المخاطبة المباشرة عبر موفد من التنظيم لدعوة الناس للولاء له، وقد فعلت «القاعدة» وتنظيماتها وكذلك «داعش» التي كانت تأمر الناس بالدخول في طاعتها وولائها أو يطالها القتل أو التهجير..⁽⁴⁷⁾

وفي نهاية المطاف، فإن استراتيجية السلفية الجهادية تقوم على رؤية عقدية، الأمر الذي ينعكس على تصوّرها للمعركة «أن معركتنا هي معركة توحيد ضد كفر وإيمان ضد شرك، وليست معركة اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية..⁽⁴⁸⁾»

وعليه، يرسم أ. ناجي صورة مثالية لمهام إدارة التوحش، تقوم على:

1. إقامة القضاء الشرعي بين الناس الذين يعيشون في مناطق التوحش.
2. نشر الأمن الداخلي والحفاظ عليه في كل منطقة مدارة.
3. رفع المستوى الإيماني أثناء تدريب ورفع الكفاءة القتالية لشباب منطقة التوحش وإنشاء المجتمع المقاتل بكل فئاته وأفراده عن طريق التوعية بأهمية ذلك.
4. العمل على بث العلم الشرعي الفقهي (الأهم فالأهم) والديني (الأهم فالأهم).
5. توفير الطعام والعلاج.

(47) أ.ناجي، إدارة التوحش، مصدر سابق ص 47

(48) أ.ناجي، إدارة التوحش، مصدر سابق ص112

6. تأمين منطقة التوحش من غارات الأعداء عن طريق إقامة التحصينات الدفاعية وتطوير القدرات القتالية.
7. بث العيون واستكمال بناء جهاز الاستخبارات المصغر.
8. تأليف قلوب أهل الدنيا بشيء من المال والدنيا بضابط شرعي وقواعد معلنة بين أفراد الإدارة على الأقل.
9. ردع المنافقين بالحجة وغيرها وإجبارهم على كبت وكتم نفاقهم وعدم إعلان آرائهم المثبطة و من ثم مراعاة المطاعين منهم حتى يكف شرهم.
10. العمل على الوصول للتمكّن من التوسّع ومن الإغارة على الأعداء لردعهم وغنم أموالهم وإبقائهم في توجس دائم وحاجة للموادعة.
11. إقامة التحالفات مع من يجوز التحالف معه ممن لم يعط الولاء الكامل للإدارة⁽⁴⁹⁾.
12. وأضيف إلى ماسبق هدف مستقبلي وهو: الترقى بالموضوعات الإدارية للوصول لشوكة التمكين والتهيؤ لقطف الثمرة وإقامة الدولة⁽⁵⁰⁾.

في محاولة ربط هذه المهمات بالتجربة الاسلامية المبكّرة، بهدف، كما هو واضح، إضفاء مشروعية دينية على عمل التنظيم، واعتبارها امتثالاً لسيرة السلف، يؤكّد ناجي أن ادارة التوحش جرت مرات عدة وأولها كان في بداية أمر الدولة الاسلامية في المدينة. وينظر ناجي إلى أبي قتادة الفلسطيني، عمر محمود أبو عمر، (المطلوب في عدّة دول بتهمة الارهاب وأعيد إلى الأردن من منفاه في بريطانيا في يوليو 2013 وتمّت تبرئته من قبل القضاء الأردني في ظروف غامضة)، أنه من أكثر الاشخاص الذين عالجوا هذا الموضوع في حديثه عن تجربتي نور الدين زكي وصلاح الدين الأيوبي في طريقة مواجهة المسلمين للصليبيين عن طريق تجمّعات صغيرة، وتنظيمات

(49) انظر: الشيخ أبي بكر ناجي، طريق التمكين، سلسلة مقالات في فقه التغيير، الحلقة الثانية، من سلسلة تحفة الموحدين في طريق التمكين، مركز الدراسات والبحوث الاسلامية، د.ت ص 2 - 3

(50) أبي بكر ناجي، طريق التمكين، مصدر سابق ص 11

متوزعة متفرقة، فهذه قلعة حكمتها عائلة من العائلات جمعت تحت إمرتها طائفة من الناس، وهذه قرية ارتضى أهلها حكم قائد عالم منهم وجاهدوا معه، وهذا عالم انتظم معه جماعة من تلاميذه وارتضوا إمامته وهكذا..» تماماً كما يفعل «داعش» اليوم إذ يقيم شرعه كلما فرض سيطرته على منطقة أو قرية..

يرجع أ. ناجي إلى «كتاب الاعتبار» لأسامة بن منقذ (مؤيد الدولة أبو مظفر أسامة بن مرشد الكناني الشيرازي) والذي ولد في شيزر على العاصي سنة 1095 م و«قضى الكثير من سنيه جواباً، ونشأ على ضفاف العاصي بجوار حماه، وصرف معظم شبابه في البلاط النوري بدمشق، وفي قصر الخليفة الفاطمي بالقاهرة وغالب سني كهولته في الدار الآتابكية بالموصل وفي حصن كيفا على دجلة». وتنقل ابن منقذ في معظم العواصم الإسلامية من مدنيّة ودينيّة». والاهم أنه شهد الحروب الصليبية وتنقل بين بلاد الشام ومصر وتركيا والعراق.. وقد «آخى الأفرنج ولا سيما الفرسان منهم - في حين السلم - وقاتلهم في حال الحرب، كما قاتل غيرهم من الاسماعيلية وسائر العرب..»⁽⁵¹⁾.

المؤرخ اللبناني المعروف فيليب حتي يرسم لوحة لافتة عن شخصية أسامة بن منقذ، ويقول عنه «ولو أن أسامة عاش اليوم لكان بلا ريب عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي، ولكان بيته «صالوناً» للأدب بدمشق ولراسل «الهلال» و«المقطم» ولأكثر من العيش في الهواء الطلق يدرس طبائع الحيوان ويرقب نمو النباتات، ولنالت جياده الحربية جوائز السبق في بيروت ولكن بلا تردد في أثناء الحرب العظمى ديون فرقة من المتطوعة تولى قيادتها بنفسه»⁽⁵²⁾. على الضد، فإن منظري «السلفية

(51) أسامة بن منقذ، كتاب الاعتبار، حرّره فيليب حتي د. ف.، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (د.ت) المقدمة أ. ب

(52) أسامة بن منقذ، كتاب الاعتبار، المصدر السابق، المقدمة ت

الجهادية» لم يجدوا في ابن منقذ سوى رمز المقاتل الذي يجوب البلدان لمواجهة الخصوم. ومن يتأمل في تجربة ابن منقذ العسكرية والاجتماعية يجد أن ثمة فصلاً من التاريخ يعاد كتابتها على يد تنظيمات «القاعدة» و«داعش» في سوريا والعراق..

تفشي القراءة الانتقائية لتجربة ابن منقذ، جزئياً على الأقل، الوعي الذاتي حول وظيفة الجماعة الدينية وتلمح بوجه ما إلى العقيدة القتالية لدى تنظيمات «السلفية الجهادية» عموماً و«داعش» على وجه الخصوص، وصولاً إلى شكل الدولة وطريقة الوصول إليها. أبو محمد العدناني، المتحدث باسم «داعش» يعطي توصيفاً خاصاً للدولة. ويقول في كلمته (العراق العراق يا أهل السنة): «فشرع الله لا يحكم إلا بالسيف ولا يقوم إلا على الشوكة والقوة»⁽⁵³⁾.

باختصار، إنها دولة حرب، بخلاف وظائف الدولة المتعارف عليها. بكلمات أخرى، إنها دولة تعيش على النزاع الدائم مع الكيانات الأخرى (جماعات أو دول أو أشخاص)، إذ تريد أن تحكم بالسيف لتطبيق الشرع! هكذا يخبر قادة «الدولة» الذين أكدوا مراراً أن لا خيار أمامهم في العلاقة مع الآخر سوى المقاتلة، وأنهم لن يلتقوا مع الأطراف الأخرى الا تحت ظلال السيوف.

ففي سياق استكمال أبو عمر البغدادي مهمة الدولة الإسلامية كما يفهمها قادة «داعش»، يعيب على ما جاء في البرامج السياسية لبعض الجماعات المسلحة العراقية أن من أهدافها «إعادة المهجرين إلى مناطق سكنهم وتعويضهم عما لحق بهم من أضرار مادية ومعنوية وتأمين الحماية اللازمة لهم»، فيعلق قائلاً:

«وهذا إطلاق يلزم منه إعادة المهجرين الأيزيدية عبدة الشيطان إلى مدينة الموصل ومن قتل منهم في زمن الحرب ثأراً لأعراضنا يتم دفع ديته

(53) أبو محمد العدناني، العراق العراق يا أهل السنة، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، 2012.

وأضعاف أضعاف ذلك تعويضاً معنوياً، ليس ذلك فحسب بل من يتعرض لهم يقاتل ويباح دمه ولو كان مجاهداً قائماً بأمر الله...!».

للتذكير فحسب، أن كلام البغدادي الأول يرجع إلى العام 2007، وبالتالي فإن ما قام به مقاتلو «داعش» في الموصل وقرقوش وغيرهما في عام 2014 هو التزام أمين برؤية واستراتيجية محدّدة يتبعها تنظيم «الدولة».

يسهب أبو عمر البغدادي في نقد تلك الجماعات وتخوينها لأنها ذكرت من بين أهدافها إقامة علاقات حسنة مع دول العالم مبنية على المصالح المشتركة، وبهذا تكون قد أسقطت جهاد الطلب بحسب قوله من برنامجها السياسي⁽⁵⁴⁾. أما العدناني فذكر الجميع بقوله «أو ما علم القاضي والداني أننا لم نتصالح مع أي من الحكومات...»⁽⁵⁵⁾.

وكان أبو حمزة المهاجر، أمير «القاعدة في بلاد الرافدين» قبل أن يبايع أبو عمر البغدادي والانضمام إلى «الدولة الإسلامية في العراق» نفى في (الدولة النبوية) ما قد يتوارد إلى الأذهان من انطباع حول مفهوم الدولة الإسلامية أنها مشابهة للكيانات الجيوسياسية التي نشأت بعد معاهدة سايكس بيكو، فيما اعتبر العدناني تلك الحدود المرسومة على أساس اتفاقية سايكس بيكو أنها غير ملزمة وأن «الإسلام أتى للدعوة والانتشار...». ويعود العدناني مجدداً إلى التاريخ الإسلامي لاستعارة المشروع والمعنّى الديني للموقف: «ولقد كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يحركون الجيش والقادة بين العراق والشام ولا فرق بين الجيشين، وهذا ما نفعله الآن من تحريك قطاعاتنا وقاداتنا وعدم التفريق بيننا». وعليه، يصبح هدم الكيانات القائمة، وإشاعة الفوضى كما أرادها المحافظون الجدد في الولايات المتحدة مطلباً دينياً لدى تنظيم «داعش». وبحسب العدناني: «لن نرضى

(54) أبو عمر البغدادي، (فأما الزيد فيذهب جفاءً)، موقع النخبة، بتاريخ 4 ديسمبر 2007

(55) أبو محمد العدناني، كلمة «فذرهم وما يفترون»، المنبر الاعلامي الجهادي، مؤسسة الفرقان للإنتاج الاعلامي، بتاريخ 9 إبريل 2013

بنظامٍ أو دولةٍ لا تحكّم شرع الله.. ولنسعرّن القتال ولنقاتلن جيوش الأرض حتى يكون الدين مئةً بالمئة كله لله»⁽⁵⁶⁾.

ولكن ما يلبث أن يقلّص العدناني الأرض لتصبح مقتصرة على العراق وسوريا. ويقول ما نصّه: «وتعلموا أن بينكم وبين دولة لا تحكّم بشرع الله في الشام: بحار من الدماء وجبال من الجماجم والأشلاء، ولن تحلموا بأمن ولا أمان، وإنّا لكم إن شاء الله بالمرصاد حتى يحكم الله بيننا؛ فإما أن ينعم المسلمون في العراق والشام بعدل الشريعة ورحمة الإسلام، وإما أن تُباد عن بكرتنا، وهيئات هيئات»⁽⁵⁷⁾.

وفي هذه الكلمة بيان صريح عن العقل الذي يدير هذا التنظيم ومشاريعه، إذ يرهّن نفسه إلى خيارات نهائية: تحكيم الشريعة أو الانتحار الجماعي. فهو يخاطب الناس بلغة إكراهية «إما أن تقبلوا حكمنا لكم باسم الدين أو انتظروا سيوفنا».

وفي تواصل مع سرد تجارب إدارة التوحش، ما نقله ناجي عن عبد الله عزام، رمز الجهاد الأفغاني، قيام مئة رجل مسلم بإدارة منطقة جبلية بين ما يعرف بإيطاليا وفرنسا الآن وفرض ما يشبه الجزية على ما يجاورها من المناطق واستمر ذلك فترة من الزمن⁽⁵⁸⁾. ولابد من إلفات النظر إلى القراءة الإيديولوجية المفردة للتاريخ وحوادثه أو أدلجة التاريخ حيث يعاد تفسير الوقائع وفق منهج عقدي يؤول إلى تشويه الوقائع نفسها، فليس ما يفترضه منظّرو «السلفية الجهادية» نموذجاً لإدارة التوحش هو كذلك، وإن هذا المثل الذي أورده عزام يبدو مستغرباً كونه لا يستقيم مع الواقع الجيوسياسي لتلك المنطقة، ولا التركيبة المجتمعية والدينية بما لا

(56) أبو محمد العدناني، العراق العراق يا أهل السنة، مصدر سابق

(57) أبو محمد العدناني، كلمة صوتية بعنوان (لن يضرّوكم إلا أذى)، فرسان البلاغ للإعلام، قسم التفريغ والنشر، بتاريخ 31 يوليو 2013

(58) أ. ناجي، طريق التمكين، مصدر سابق ص5

يسمح بوجود جماعة دينية صغيرة تبسط سيطرتها وتفرض «الجزية» في بلدان مسيحية.

ويذكر من بين الحركات التي أقامت إدارات للتوحش وما يشبه دولة لفترة من الزمن حركة الإمام السيد التي جددت دعوة التوحيد والجهاد بالمربع السني في منطقة الهند وكشمير وباكستان وأفغانستان. وعلى الرغم من عمر هذه الحركة ككيان استمر فقط من بداية القرن التاسع عشر إلى بعد منتصفه بقليل إلا أن تأثيرها ممتد حتى الآن، بل إن ما قامت به من أعمال ضد الإنجليز وغيرهم يعدّ مصدر إلهام لحركات الجهاد في كشمير والهند وأفغانستان. ويرجح ناجي أن يكون امتداد بقايا تلك الحركة كان له أثر قوي في انفصال باكستان عن الهند في منتصف القرن العشرين، بل إن رجال الجهاد الأفغاني مازالوا يستلهمون العبر من سيرة ذلك الشخص، حسب قوله.

ويعتقد أ. ناجي أن إدارة التوحش بدت صعبة بعد مرحلة سايكس بيكو، واستقرار النظام الدولي بعد الحرب العالمية الثانية، وبروز الدولة القطرية حيث «أصبح من الصعب إقامة مثل هذه الإدارات...»، ومع ذلك «قامت العديد من إدارات التوحش» في الأماكن التي تبتعد عن المركز وتتيح ظروفها الجغرافية والسكانية تسهيل ذلك». مثل الفصائل المقاتلة في أفغانستان في مراحل الجهاد الأولى، وحركة أبي سياف، وجبهة تحرير مورو بالفلبين، وحركات الجهاد بالجزائر، وسوف يضيف إليها في زماننا الحالي جماعة بوكو حرام في نيجيريا، وحركة الشباب المجاهدين في الصومال وهما من فصائل تنظيم «القاعدة». بكلمات أخرى، أن إدارة التوحش ليست شيئاً آخر سوى المشاريع الانفصالية التي تقوم بها حركات ذات طبيعة إثنية أو قومية في بلدان العالم.

ما يلفت أن أ. ناجي يعدّ حركتي (حماس) و(الجهاد الاسلامي) في فلسطين و(الجماعة الاسلامية) في مصر في فترة التسعينيات و(الجماعة المقاتلة) في ليبيا ومن يشابههم لم يصلوا بعد إلى مرحلة التوحش، بل هم في مرحلة

(شوكة النكاية والانهاك) بشرط أن تكون هذه الحركات تسعى للوصول إلى مرحلة التوحش..

الدول المرشحة للاندراج في قائمة (إدارة التوحش) تتطلب شروطاً خاصة ومنها: استعداد أهلها للتحرك وقد أجريت بعض التعديلات على مجموعة المناطق الرئيسية على أن يتم استبعاد دول من بينها السعودية ونيجيريا ولكن أصبحت هاتان الدولتان ضمن المجموعة الرئيسية وهي: الأردن وبلاد المغرب ونيجيريا وباكستان والسعودية واليمن. لم تكن سوريا من بين الدولة المرشحة ولا لبنان أو حتى العراق ما قد يثير أسئلة حول أسباب التغيير في الخارطة، وهل هي نتيجة إعادة تقييم أم لدخول «داعش» على الخط أم لأسباب أخرى. توضح ذلك الروابط المشتركة بين دول المجموعة الرئيسية والتي يمكن أن تحدث فيها مناطق توحش وهي:

1. وجود عمق جغرافي وتضاريس تسمح في كل دولة على حدة بإقامة مناطق تدار بنظام إدارة التوحش.
2. ضعف النظام الحاكم وضعف مركزية قواته على أطراف المناطق في نطاق دولته بل وعلى مناطق داخلية أحيانا خاصة المكتظة.
3. وجود مد إسلامي جهادي مبشر في هذه المناطق.
4. طبيعة الناس في هذه المناطق، أي وجود بيئة حاضنة لمشروع الجهاد في مرحلتي التوحش والتمكين.
5. كذلك انتشار السلاح بأيدي الناس فيها⁽⁵⁹⁾.

ثالثاً: مرحلة التمكين

لا يشترط قادة «داعش» أو «الدولة» بحسب اصطلاحهم، وجود كيان جيوسياسي مستقر وثابت الحدود والشعب والنظام من أجل «تطبيق

(59) أ. ناجي، طريق التمكين، مصدر سابق 8-9.

الشريعة»، بل يشترطون مجرد الوجود وبسط اليد في مكان ما، بصرف النظر عن مساحته وطبيعته، مع إمكانية تحكيم الشريعة فيه..وهنا خلاف جزئي بين «القاعدة» و«داعش». فبينما يرى منظرو «القاعدة» أن ثمة شروطاً مطلوبة لإقامة «إمارة إسلامية»، فإن «داعش» يرى أن شرط «الإمارة» هو الوجود في مكان ما والسيطرة عليه ولو لمدة ساعة.

وعليه، من الخطأ، وفق حسابات «داعش»، وضع تورخة قريبة لإعلان دولة الخلافة، أي في أول شهر رمضان لسنة 1435 هجرية الموافق 29 يونيو 2014، فالإعلان يعود إلى الرابع والعشرين من شهر شوال لسنة 1427 هجرية الموافق 16 نوفمبر 2006، وأن أول أمير المؤمنين ليس أبو بكر البغدادي بل سلفه أبو عمر البغدادي.

وكان وزير الاعلام في دولة العراق الاسلامية الشيخ أبو عبد الله محارب الجبوري (قتل في مايو 2007) قد أعلن في كلمة مصوّرة (الإِغْلَانُ عَنْ قِيَامِ دَوْلَةِ الْعِرَاقِ الْإِسْلَامِيَّةِ)، وقال ما نصّه: «يزف إليكم إخوانكم في حلف المطيبين بشرى إنشاء وإقامة دولة العراق الإسلامية في بغداد والأنبار وديالى وكركوك وصلاح الدين ونينوى وأجزاء من محافظة بابل وواسط».

بالرغم من ذلك، واجه التنظيم إشكالية كبرى كون «الدولة» لم تكن تملك أرضاً، وإن امتلكت جزءاً من الأرض فلأمد قصير تبعاً لمبدأ الكر والفر في الميدان، فكيف تعلن عن دولة افتراضية أو غير ثابتة وجوداً وعدماً. وبعد مرور سنتين على الاعلان عن قيام الدولة الاسلامية في العراق، أجاب أبو حمزة المهاجر (عبد المنعم عز الدين البدوي)، وزير الحرب في «الدولة»، عن سبب الإعلان بالرغم من أن التنظيم لا يملك الأرض، فأحال إلى تجربة المسلمين الأوائل، وقال أن «المدينة المنورة رغم ظروفها الصعبة إلا أن الرسول (ص) أقام فيها دولة». وسأل: كم هي مساحة الدولة النبوية

في المدينة؟ وما مقدار بسط النفوذ على الأرض في ظل حكم إسلامي؟ وما مقدار المنعة والسيادة بعدما فاوض النبي (ص) على دفع ثلث ثمار المدينة للمشركين...»⁽⁶⁰⁾.

ثم عرّج على السؤال المركزي: هل الدولة الإسلامية في العراق استوفت شروط الدولة من حيث المساحة والقوة وبسط النفوذ بالمقارنة بما كانت عليه الدولة النبوية آخذين في الاعتبار ما مرّت عليه الدولتان من محن، والفرق الهائل بينهما...؟». وعرض لبعض المناطق التي ينتشر فيها التنظيم، وأحصى عدد العناصر المقاتلة في التنظيم.

بدا واضحاً أن أبو حمزة المهاجر يتجاوز ظروف تلك المرحلة واختلافها التام عن ظروف عصرنا من حيث تطوّر الكيانات الاتحادية وصولاً إلى عصر الدول والمكوّنات الثابتة فيها. المهاجر تجاوز عنصر الأرض/الإقليم، وراح يتحدّث عن السكّان، وعن عرب جبور وما حولها على وجه الخصوص. وقدّم المهاجر إحصائية لعدد جنود الدولة وقال «فبلغ عدد جنودنا في هذه المنطقة وحدها ثلاثة آلاف مجاهد فأقاموا الحدود وردّوا المظالم ونشروا الأمن وأعالوا الفقراء...»⁽⁶¹⁾. ومع ذلك يعترف المهاجر أنه خسر كثيراً من الأرض التي كان يسيطر عليها «ونعترف وبمرارة أننا خسّرنا كثيراً من الأماكن بعد عمالة وردّة الجماعات المشكّلة للمجلس السياسي للمقاومة وتحالفه مع المحتل الصليبي، فقد كانوا نعم العيون والعون للمحتل وخاصة أنهم كانوا مختلطين بنا وكنا نراهم إخوة في الدين حتى طعنونا في ظهورنا»⁽⁶²⁾.

(60) الدولة النبوية، تأليف وزير الحرب في الدولة الإسلامية في العراق أبو حمزة المهاجر، تقديم وتعليق ابو الغيداء الأردني، كتيبة الكواشف الاعلامية الجهادية 2008، ص 35

(61) المصدر نفسه، ص 36-37

(62) الدولة النبوية، تأليف وزير الحرب في الدولة الإسلامية في العراق أبو حمزة المهاجر، تقديم وتعليق ابو الغيداء الأردني، كتيبة الكواشف الاعلامية الجهادية 2008، ص 37

وفي سؤال حول إمكانية إقامة الحكم الشرعي، يجيب أبو حمزة المهاجر: «إذا كنا قادرين على إقامة حكم الله في أرضه ساعة من نهار بلا مفسدة راجحة بل بمصالح راجحة ألا يكون ذلك واجباً علينا؟ فكيف إذا أمكن ذلك لأيام وأشهر وسنين كما هي الحال في الدولة الإسلامية في العراق»⁽⁶³⁾. يحيل أبو حمزة المهاجر كثيراً إلى رسائل ومصنفات ابن تيمية في ماليات الدولة وتنظيم شؤونها.

وينفي المهاجر ما قد يتوارد للأذهان من انطباع حول مفهوم الدولة الإسلامية أنها مشابهة للكيانات الجيوسياسية التي نشأت بعد إتفاقية سايكس بيكو. وهذا ما نفاه أيضاً المتحدث باسم «داعش» أبو محمد العدناني واعتبر الحدود المرسومة على أساس الاتفاقية تلك أنها غير ملزمة للدولة وأن «الإسلام أتى للدعوة والانتشار..»، وقال أن «تقسيم الولاية على أساس حدود سايكس بيكو يعد تكريساً لتلك الحدود.. فتقسيم الجماعة إلى جماعتين إحداها عراقية وأخرى سورية حسب الحدود، وأمر كل منهما بالالتزام الحدود الملعونة وعدم تخطيها مخالفة لمنهجنا وما نؤمن به». ويضرب مثلاً على ذلك من التاريخ الإسلامي: ولقد كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يحركون الجيش والقادة بين العراق والشام ولا فرق بين الجيشين، وهذا ما نفعله الآن من تحريك قطاعاتنا وقادتنا وعدم التفريق بيننا»⁽⁶⁴⁾.

ويعطي أبو محمد العدناني توصيفاً خاصاً للدولة بما نصّه: «الدولة الإسلامية ما وُجدت قديماً وحديثاً إلا لتحقيق هذه الغاية التي هي حمل الناس كافةً على التوحيد والاحتكام بشرع الله ليكونوا أمةً واحدة..». ويزيد في تصعيد نبرة خطاب الدولة «وإن الدولة الإسلامية منذ نشأتها الأولى ظلت في صراعٍ مع الباطل تقاتل أئمة الكفر وتقطف رؤوس الشر، ولا

(63) أبو حمزة المهاجر، وزير الحرب بدولة العراق الإسلامية، اللقاء الصوتي الأول، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، بتاريخ 24/10/2008

(64) كلمة أبي محمد العدناني الشامي المتحدث الرسمي للدولة الإسلامية في العراق والشام بعنوان «فذرهم وما يفترون»، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، 20 حزيران 2013، موقع منتديات المنبر الاعلامي الجهادي

زال المسلمون يواجهون أعداءً يترصدون بهم...». ويخلص للقول: «فليعلم القاضي والداني والشرق والغرب أننا أقسمنا وعزمنا أنه بغير دولة الإسلام لا أمان ولا سلام لا في العراق ولا في الشام ولا مصر ولا الجزيرة ولا خراسان ولا في الشرق ولا في الغرب، لن نساوم ولن نسال، لن نفاوض ولن نقايض، فشرع الله لا يُحَكِّم إلا بالسيف ولا يقوم إلا على الشوكة والقوة»⁽⁶⁵⁾.

إنها بكلمات أخرى دولة تستمد وجودها ومشروعيتها من أيديولوجية الفتح، أي النزاعات مع الدول الأخرى، بل وعلى القطيعة والخصومة معها، فهي تريد أن تحكم بالسيف لتطبيق الشرع! وكرر العدناني موافقه في كلمات أخرى مثل (السلمية دين من؟)، و(لن يضروكم إلا أذى).

تشير الفقرات السابقة من خطاب العدناني حول الدولة إلى تجربة اخوان عبد العزيز قبل عام 1930، حين كانوا يخوضون المعارك باسم الجهاد لنفس الغرض «تحكيم شرع الله».

لا شك أن من يقرأ هذه المعطيات يخلص إلى ضحالة تفكير قادة التنظيم، وتشوّه مفهوم الدولة وتقديم مبدأ تطبيق الحدود والأحكام على عوامل نشأة الدول ومصادر استقرارها وسبل استتباب الأمن فيها وشروط بقائها ووظائفها. وتفسير ذلك، وبحسب ما جاء في سيرة العدناني المنشورة من قبل جماعته «لانهصار ثقافته وقراءاته بالكتب الإسلامية القديمة أو الجهادية وقلما يذكر كتباً تنويرية أو إصلاحية قرأها»⁽⁶⁶⁾.

بكلمات أخرى، أن الدولة من منظور «داعش» هي غائية وذات رسالة، أي دولة الدعوة، المكان الذي يمكن تطبيق فيه عقيدة التوحيد وإقامة الحدود وتحكيم الشريعة. ومن الواضح، أن من يصوغ مثل هذه الآراء لا يدرك

(65) الشيخ أبو محمد العدناني، العراق العراق يا أهل السنة، نخبة الاعلام الجهادي، قسم التفرغ والنشر، مؤسسة الفرقان للانتاج الاعلامي، شباط (فبراير) 2012

(66) إعداد د. هيثم مناع، خلافة داعش من هجرات الوهم إلى بحيرات الدم، إصدارات المعهد الاسكندنافي لحقوق الإنسان آب أغسطس 2014، الجزء الأول، ص 17

معنى الدولة ولم يقرأ عنها ولا علاقة له بكل تفاصيلها، من حيث تنظيم المصالح العمومية، ودرء الأخطار المحدقة بقاطنيها، وحفظ الممتلكات والأرواح، والارتقاء بقيم المجتمع وإدارة شؤونه بما يحقق أهدافه وتطلعاته..

قيام «الدولة الاسلامية» وفق رؤية عقدية وهابية، يشكّل خطراً حقيقياً وجدياً على السعودية التي تسعى لتقويض أي مشروع أممي قد يصل إلى داخل حدودها.. ولذلك، نلحظ كيف تدرّج مشروع «الدولة» من كونه خاصاً بالعراق وبأهل السنة فيه على وجه الخصوص، عقب الإعلان عن «الدولة الاسلامية في العراق» (تشرين الأول/أكتوبر 2006)، ثم تحوّل إلى مشروع يضم العراق والشام «داعش»، أي «الدولة الاسلامية في العراق والشام» (9 نيسان 2013)، وثم أصبح مشروع خلافة إسلامية وأصبح إسمها «الدولة الاسلامية» (29 حزيران 2014)، وهذه مفتوحة على الأرض..

وهنا مكمّن الخطورة على الدولة السعودية التي تمثّل الوهابية في نسختها الأصلية، الأيديولوجية المشرّعة لها، إذ أن «داعش» يعتنق مشروعاً أممياً ناضلت الوهابية خلال مراحل ثلاث وحتى نهاية ثلاثينيات القرن الماضي من أجل تحقيقه ولكن تمّ القضاء عليه نتيجة إذعان ابن سعود لقوانين النظام الدولي حينذاك.

وبحسب عقيدة «الدولة» فإن التنظيم يواجه مشروعين:

- مشروع الدولة الديمقراطية المدنية
- مشروع الدولة الدينية القطرية على غرار السعودية.

والحل كما يتصوّره العدناني يتلخّص في الالتحاق بمشروع الدولة الاسلامية «هلموا فإننا لا نشك أبداً أنه مَن كان منكم فيه خير: فسيأتي الله به ولو بعد حين..»⁽⁶⁷⁾..

(67) ابو محمد العدناني، (لن يضروكم إلا أذى)، مؤسس الفرقان للإنتاج الاعلامي، 31 تموز 2013، منتديات المنبر الاعلامي الجهادي

تستحوذ نزعة نرجسية مفرطة تجعل من التنظيم «الطائفة المنصورة» و«الفرقة الناجية»، فيرى في نفسه المالك الوحيد والمطلق للحقيقة الدينية، ونفي الآخر تماماً، بل وتدنيسه حد جواز استئصاله، كما توحى عبارات الوعيد. فالعدناني يضع الناس أمام خيارين إما القبول بتحكيم الشريعة أو الموت، فيما يتحوّل قادة «الدولة» إلى جماعة انتحارية أو يقيمون دولة الشريعة.

حين يسرد الأمير السابق للدولة الإسلامية في العراق ابو عمر البغدادي مكاسب «مجاهدي» «الدولة» بعد أربع سنوات من ولادتها، يضع في الناحية العقدية «ففي فترة زمنية قياسية درب جيل كبير من الشباب على عقيدة الولاء والبراء المنسية..»، ولا تتحقق هذه العقيدة إلا بوجود جماعة، وتعليل ذلك: «أن الجماعة هي تجسيد عملي لحقيقة الولاء والبراء في الإسلام، فارتباط المؤمنين في جماعة واحدة بعد ارتباطهم بالتوحيد هو الذي يجسد هذا الإيمان في واقع الحياة». فهي إذًا دولة رسالية لا صلة لها بالدول المتعارف عليها، وليتخيّل المرء كيف يمكن لدولة كهنوتية تحكم باسم السماء أن تخضع للمحاسبة أو تدير شؤون الناس ومصالحهم، فهي معنيّة بالدرجة الأساسية بتربية الرعيّة على عقيدة الولاء للدولة بصفتها النطاق الذي يجري فيه الاحتكام للشريعة والبراءة من خصومها لكونهم يحكمون بغير ما أنزل الله، بحسب عقيدة «الدولة الإسلامية».

في خطابه للأمة، يقول أبو عمر البغدادي:

«إننا حينما أعلننا دولة الإسلام وأنها دولة هجرة وجهاد لم نكن نكذب على الله ثم على الناس ولم نكن نتحدّث عن أضغاث أحلام لكنّا بفضل الله تعالى الأقدر على فهم سنة الله في هذا الجهاد - هذا الفهم منشأه دماء المجاهدين من مهاجرين وأنصار بعد معاينة أخلاقهم ومنهجهم»⁽⁶⁸⁾.

(68) أمير المؤمنين أبو عمر البغدادي، حصاد السنين بدولة الموحدين، مؤسسة الفرقان للإنتاج الاعلامي، دولة العراق الإسلامية، وزارة الاعلام، 16 نيسان 2007، مركز الفجر للإعلام

أيضاً، الخليفة الحالي لـ «الدولة» أبو بكر البغدادي وعد رعيته في خطبته الشهيرة في المسجد الكبير في الموصل في 4 يوليو 2014 بمكافأة مؤجلة في الآخرة، شريطة أن يتحولوا إلى مقاتلين في خدمة مشروع الدولة «وإن أردتم موعود الله فجاهدوا في سبيل الله وحرّضوا المؤمنين وأصبروا على تلك المشقة..».

في ضوء الأدلجة المفرطة للدولة، نجد أنفسنا أمام الرؤية الوهابية النقيّة التي صاغها الشيخ محمد بن عبد الوهاب حين أقام إمارة دينية تكون منصّة لإطلاق مشروع الخلافة الاسلامية القائمة على: التوحيد، والولاء والبراء، والهجرة والجهاد، والطائفة المنصورة. لم يقدّر للمشروع النجاح بعد أن انخرفت الدولة السعودية الأولى عن تعاليم المؤسس في آخر أيامها، وتحولت إلى ملك سياسي دون صبغة دينية، وإن المحاولات اللاحقة واجهت تحديات ذاتية أي من الشريك الآخر، ابن سعود، الذي وجد نفسه أمام معادلات جيوسياسية إقليمية ودولية يصعب تجاوزها، لأن الدولة التي أرادها الشيخ محمد بن عبد الوهاب تؤسس لحروب مفتوحة ودائمة مع القريب والبعيد، لكونها تقوم على رؤية عقديّة للعالم: التكفير، الهجرة، الجهاد، تؤسس لدولة توسعية وهذا ما تبشّر به أدبيات «داعش».

دعوة أبي بكر البغدادي، خليفة «الدولة الاسلامية» المسلمين عموماً إلى الانضواء في الدولة والهجرة اليها، واعتبار أن الوقوف ضد الدولة هو ضد شرع الله وإرادته التي اختارت البغدادي خليفة وإماماً لدولتهم! ليست سوى الصدى لصوت انطلق في منتصف القرن الثامن عشر حين كانت النزعة الرسولية لدى الشيخ محمد بن عبد الوهاب تستحثه لمراسلة رؤوساء البلدان وعلمائها للدخول في الاسلام، الذي جاء به بعد أن عاد المسلمون إلى عبادة الأصنام في الجاهلية الثانية، حسب عقيدته.

يتقمّص أبو بكر البغدادي شخصية الخليفة الراشد، مستيقناً أن له سلطاناً على الامة فصار «ظل الله في الأرض»، وأطلق مشروع دولة - الامة، في خطبته بالمسجد الكبير بالموصل إلى «مجاهدي الدولة» قائلاً:

«إن أمة الإسلام؛ ترقب جهادكم ونزالكم بأعين الأمل، وإن لكم في شتى بقاع الأرض إخواناً يُسامون سوء العذاب؛ أعراساً تُنتَهَك، ودماء تُراق، وأسارى تُن وتُستصرخ، ويتامى وأرامل تشكو، وثكالى تنوح، ومساجد تُدنّس، وحرّمات تُستباح، وحقوقاً مسلوّبة مغتصبة؛ في الصين والهند وفلسطين والصومال، في جزيرة العرب والقوقاز والشام ومصر والعراق، في اندونيسيا وأفغانستان والفلبين، في الأحواز وإيران، في باكستان وتونس وليبيا والجزائر والمغرب، في الشرق والغرب؛ فالهمة الهمة يا جنود الدولة الإسلامية! فإن إخوانكم في كل بقاع الأرض ينتظرون نجدتكم، ويرقبون طلائعكم.. فَوَ الله لنثأرن! والله لنثأرن ولو بعد حين لنثأرن! ولنردنّ الصاع صاعات، والمكيال مكاييل».

لا ريب أن البغدادي يصدر في دعوته عن رؤية كونية متجذرة في الأدبيات الوهابية، رؤية تمنح معتنقها إحساساً متعاضماً بالتميّز كونه الأقدر على تفسير العالم والأجدر بتغييره.

خاطب البغدادي المسلمين في كل مكان وبشّره بـ «دولة وخلافة، تعيد كرامتكم وعزّتكم، وتسترجع حقوقكم وسيادتكم..» خلافة تضم من كل الجنسيات «القوقازي والهندي والصيني، والشامي والعراقي واليمني والمصري والمغربي، والأمريكي والفرنسي والألماني والأسترالي..»، وهم مقاتلو «داعش» الذين تحوّلوا إلى مواطنين في دولة الخلافة التي يتولاها..

وطالب المسلمين بالالتحاق بها «فهلّموا إلى دولتكم أيها المسلمون، نعم دولتكم؛ هلموا؛ فليست سوريا للسوريين، وليس العراق للعراقيين..». لا ريب أن ثمة دعوة من هذا القبيل تحقّق مشروع الفوضى الخلاقة، التي تؤوّل إلى انفراط الكيانات ليس تمهيداً لذوبانها في مشروع «الامة» بل تمزيق الممزّق وتفريق المفترق بحسب الخرائط المنشورة في الغرب.

وثمة سؤال مركزي حول أشكال الكيانات القائمة على أساس ديني وما

تُعليه من شرط «البيعة». وتفرّق أدبيات «الدولة الإسلامية» بين ثلاث بيعات:

- بيعة الجهاد، وهي البيعة التي تمّت لجماعة أنصار الإسلام، وهي الأقدم من وجهة نظر منظري «الدولة» ولكنها ليست بيعة على إمارة أو دولة وبالتالي فهي بيعة محدودة في موضوع محدود.
- بيعة خاصة، وهي البيعة التي حصل عليها الملا عمر في أفغانستان، وليست ملزمة لمن هم خارج حدود ولايته.
- بيعة عامة، وهي التي تمّت للدولة الإسلامية في العراق والشام، وهي حسب قول مؤدجي «الدولة» قد تمّت «بشروط إمام صحيحة ومبايعة أهل الحل والعقد».

ويجب مؤدجو «الدولة» على من يعترض على طريقة انعقاد البيعة لأحد بالامامة وشروط صحتها، أن الامامة «تتعقد بمبايعة من تيسر من حضوره من أهل الحل والعقد» ولا يشترط الاجتماع بل تنعقد بواحد مطاع تتحقق به الشوكة. وأحالوا إلى «حلف المطيبين» في العراق كونه يمثل «جمهور أهل الحل والعقد في هذا البلد» ودخل فيه «مجلس شوري المجاهدين». وزعم مؤدجو «الدولة» أنه تمّت مشاورة أكثر من ستين في المائة من شيوخ عشائر أهل السنة في أماكن وجود المجاهدين⁽⁶⁹⁾.

وبصرف النظر عن الآليات المعتمدة في اختيار «الامام - الخليفة»، وما هي مواصفات الأشخاص الذين شاركوا في الاختيار والبيعة، فإن السؤال الكبير كيف يمكن تكييف هذه الصيغة التاريخية مع الوقائع المعاصرة، وفي ظل نظام دولي ثابت ومستقر إلى حد كبير.

(69) جمع خالد، أبو يوسف بشير، الدولة الإسلامية في العراق والشام، موقع الدولة الإسلامية، انظر الرابط:

http://the-islamic-state.blogspot.com/p/blog-page_23.html

يبدو التناقض واضحاً في دعوة البغدادي بإقامة «الخلافة» فيما يدعو إلى هجرة المسلمين من دولهم إلى الدولة التي يسيطر عليها تنظيم. فقد وجّه نداء واضحاً ودعوة مفتوحة للمسلمين عامة «فيا أيها المسلمون في كل مكان؛ مَنْ استطاع الهجرة إلى الدولة الإسلامية فليهاجر؛ فإن الهجرة إلى دار الإسلام واجبة.. ففرّوا أيها المسلمون بدينكم إلى الله مهاجرين...».

إن عبارة «الهجرة إلى دار الإسلام واجبة..» كفيّلة بالكشف عن حقيقة عقيدة لدى البغدادي وأهل دعوته، فمجرد الدعوة إلى الهجرة يعني أن ثمة دار شرك يراد الهجرة منها إلى مكان آخر، كالهجرة من مكة إلى المدينة، وأن تكون الهجرة واجبة تعني أن المشروعية الدينية باتت محصورة في النطاق الجغرافي للدولة الإسلامية التي يتولّى أمرها أبو بكر البغدادي. هنا نستحضر تجربة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وانتقاله من العيينة إلى الدرعية وسط نجد، حين دعا أنصاره بالهجرة إلى الدرعية بوصفها دار إسلام وأن الهجرة إليها واجبة، وما عداها يصبح، حكماً، دار كفر. يقول محمد بن عبد الوهاب في الأصل الثالث من أصول الإيمان عن الهجرة بأنها: «الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، الهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، وهي باقية إلى أن تقوم الساعة...»⁽⁷⁰⁾.

وعليه، فإن النزعة الدغمائية لدى مؤدّجي «داعش» تجعل من الصعوبة مكان إخضاع أفكارهم للفحص الحر، خصوصاً حين يصبح النقاش في إطار ثنائية الإيمان والكفر.

على أي حال، أحدثت تجربة «الدولة» ردود فعل واسعة، ولكن ثمة ميزة خاصة لردود رفاق الدرب لقادة ومقاتلي «الدولة» في العراق على

(70) شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي، الأصول الثلاثة وأدلتها.. من مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، على نفقة مؤسسة الحرمين الخيرية، وبإشراف وكالة شؤون المطبوعات الفنية بالوزارة، الرياض، الطبعة العاشرة 1420ع ص21

وجه الخصوص، لامتلاك هؤلاء الكثير من المعطيات الخاصة والأسرار حول شخصيات «الدولة» والتجارب القتالية التي خاضوها سوياً والانشقاقات التي وقعت لاحقاً وأسبابها.

وكان من أهم الردود التي صدرت على اعلان «الدولة الاسلامية»، من الشيخ ابو عبد الله محمد المنصور وكنيته (العيساوي)، الشرعي وأمير «جيش المجاهدين» السلفي بالعراق، وهو أستاذ ابي بكر البغدادي قبل أن يدخل السجن في العام 2005، وقد ألف كتاباً بعنوان (الدولة الاسلامية بين الحقيقة والوهم)، صدر في يناير 2014، وقدم له الشيخ محمد سرور زين العابدين (زعيم التيار السروري في المملكة)، ردّ فيه على كتاب (إعلام الأنام بميلاد دولة الاسلام) لـ (عثمان بن عبدالرحمن التميمي) الذي أصدره تنظيم دولة العراق الاسلامية، وتعرض المنصور في نهاية الكتاب للرد على كتاب آخر لتنظيم «داعش» بعنوان (مد الأيدي لبيعة البغدادي).

عقدياً، لم يختلف «جيش المجاهدين» مع «داعش» ولا «القاعدة» من ناحية الانتماء السلفي الوهابي، لا سيما في التأكيد على «وجوب تحكيم شرع الله»، ولكنه يرى أن الخلاف مع «داعش» يتركز في أصول خمسة: التكفير بغير حق، والقتل بغير حق، والكذب، والجهل، وعدم مراعاة السياسة الشرعية في العمل الجهادي.

المنصور يلفت إلى حقيقة جديدة تنطبق عليه وعلى كل تنظيمات الجهادية السلفية، أن الكلام اليوم ليس عن تكفيري وغير تكفيري، بل عن تكفيري وآخر أقل أو أكثر غلوّاً. ولنتوقف عند هذه الفقرة المثيرة:

«وينبغي أن يُعلم أن من ينتسب إلى هذا التنظيم ليسوا على درجة واحدة في الغلو، فكثير من قيادة «جماعة التوحيد والجهاد» التي كان يتزعّمها أبو مصعب الزرقاوي رحمه الله أقل غلوّاً بكثير جداً ممن أتى بعده، وغالبُ خلافتنا معهم آنذاك في السياسة الشرعية».

وليتخيل المرء كيف يكون الغلو في التكفير بعد الزرقاوي الذي يترحم عليه المنصور، مع أن الزرقاوي هو من استباح قتل المدنيين بحجة الترس بالعدو، وأسقط كل المحرمات والموانع بين المقاتل والمدني..وقد كشفت مراسلات الزرقاوي وأستاذه وملهمه أبو محمد المقدسي (عصام البرقاوي)، وأسامة بن لادن عن خلاف عميق حول هذه النقطة، إذ انصرف الزرقاوي في السنوات الأخيرة من حياته إلى قتل المدنيين.

يصف المنصور أبا حمزة المصري، خليفة الزرقاوي بكونه «ذا عقلية غريبة، وفي عهده توسّع الغلو إلى حد كبير...». وأن قادة «الدولة»، بحسب المنصور، «وقعوا في كثير مما وقع به الخوارج من الغلو في التكفير والقتل بغير حق...».

ولكن المنصور لم يخف هو الآخر نزعته التكفيرية، إذ عدّ الحكومة العراقية «حكومة مرتدة». في المقابل، يعارض المنصور تكفير «داعش» للمشاركين في الانتخابات ويقول «فهل يقول مسلم إن فلاناً من الناس الذي يشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، وملتزم بأركان الإسلام، وقد دخل الانتخابات باجتهاد خاطئ، وغايته الذب عن أهل السنة، وتxidيل أهل الباطل وتعطيل مشاريعهم في ظنه، هل يقول عالم معتبر إنه كافر بعينه؟!«

ويعقد المنصور مقارنة بين تكفيرية الزرقاوي وتكفيرية البغدادية، وينقل كلاماً قاله له الزرقاوي وهو «أخفهم غلوًا وأحسنهم حالاً، ولا توجد بينه وبين أمير الزور البغدادية مقارنة من كل النواحي» حسب المنصور. ينقل الأخير عن الزرقاوي قوله «إنّ مناط تكفير الشرطي هو الثوب الأزرق - هكذا قال بالحرف -، فقلت له: لنفرض جدلاً - وفي الفقه يجوز افتراض مسائل وإن لم تقع - أنّ هناك شرطياً يحرس مدرسة للبنات في منطقة سنيّة لكثرة الخطف في ذلك الوقت، وليس له عمل إلا هذا، وقد أخذ هذا العامي فتوى ممن يشاع عند العوام أنه أهل للفتوى، فما تقول في

هذا؟ فقال لي رحمه الله: هو مرتد؛ لأنَّ مناط التكفير الثوب الأزرق، ولأنه لو كُلف هذا الشرطي بقتال المجاهدين إعانة للصليبيين لفعل، فقلت له: لا يجوز التكفير بالظنون، ولو أنَّ هذا الشخص كُلف بعمل كفري وفعل لوقع في الكفر، ولا كرامة... لكنه قد يُكَلَّف فيرفض. وكان كلامي عن تكفير الأعيان وليس عن الطائفة أو القتال».

ينقل المنصور صوراً من تكفير «داعش» مثل تكفيرهم لجماعات جهادية بأكملها، «وهم يعلمون سلفية هذه الجماعات ودعوتها لتحكيم شرع الله، وبعدها الشديد عن الإرجاء»، وقتل طلبة العلم والدعاة والجهاديين وكثيراً من عامة المسلمين بالشبهات والظنون، وقتل مسلمين لأنهم انتقدوا الغلو في العراق. وينقل المنصور عن أحد قادة «داعش» حين كانا معاً في السجون الأميركية أنهم يستبيحون «دم من ينشر كتاب «وقفات مع ثمرات الجهاد» لأبي محمد المقدسي لأنه انتقد التهاون في ضوابط «قتل ترس أسارى المسلمين إذا ترس بهم الكفار»، استناداً على فتوى ابن تيمية. عناصر «القاعدة» و«داعش» تمادوا في تطبيق الفتوى حتى «أصبح كثير من الشباب مُغرَم بعمليات التفجير لضرورة أو غير ضرورة وكأنَّ الجهاد لا يصلح إلا بالمتفجرات»، حسب المقدسي⁽⁷¹⁾. كما انتقد «بعض من عاش في معسكرات المجاهدين أو في جبهات القتال، وتعلَّم تصنيع المتفجرات منها أو من غيرها، يمارس في شوارع المسلمين نوعاً من الجهاد عجيباً غريباً؛ يتمثل بتفجيرات عمياء يبثها هنا وهناك، لا تعصم مسلماً ولا يتحاشى فيها من امرأة أو طفل أو نحوهم، ولا يراعي مصلحة ولا يتقي مفسدة...»⁽⁷²⁾. على أية حال، فإن المقدسي نجده في كتابات أخرى يحرض على القتال ضد طوائف إسلامية دون تمييز، وكانت نزعته التكفيرية واضحة.

(71) أبو محمد المقدسي، وقفات مع ثمرات الجهاد... بين الجهل بالشرع والجهل بالواقع، منبر

التوحيد والجهاد، ص 4

(72) المصدر نفسه، ص 110

بالعودة الى قراءة المنصور في أيديولوجية «داعش»، وبلغت الى تكفير عناصر التنظيم لكبار مشايخ السلفية المعاصرين مثل الالباني وابن باز وابن عثيمين. ويأخذ أمير جيش المجاهدين أبو عبد الله المنصور على «داعش» مجازفاته الفقهية ومنها عدم صحة الزكاة والحج والصلاة الا بوجود جماعة وإمام وكذلك الصوم، وهي من الآراء التي خالف فيها التميمي مرجعه الأول الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

في المقابل، صدرت ردود فعل من «داعش» على كتاب المنصور، من بينها كتيب صغير بعنوان (توبيخ الغالطين على إمام الحرمين) لشخص يدعى أبي الحسن الأزدي، وقد فرغ من كتابته في 24 ربيع الأول سنة 1435 هـ الموافق 26 يناير 2014 وفيه رد على ما «نسبوه اليه من دعوى تقويض الإمامة بنقصان التمكين» في إشارة إلى أبي المعالي الجويني حول انحلال عقد الإمامة في حال نقص التمكين.. ونسب إلى المنصور وغيره عدم فهم عبارة الجويني، وأسهب الأزدي في شرح عبارة الأخير بالعودة إلى نصوص أخرى من كتاب الجويني (غياث الأمم) بما ينفي فهم المنصور وغيره لسقوط الطاعة مع انتقاص المكنة.

وكتب آخر يطلق على نفسه (أحمد الله تعالى) ردأ في 22 جمادى الأولى 1435 هـ الموافق 24 مارس 2014 بعنوان (كشف المستور عن اخبار ابي عبد الله المنصور - امير جيش المجاهدين في العراق) ردّ فيه على ما وصفه تجاوزاً كبيراً على مشايخ «الدولة» مثل الزرقاوي وأبو عمر البغدادي وأبو حمزة المهاجر وأبو بكر البغدادي. ووصف الكاتب بـ «المغرور ببعض العلم الشرعي الذي يحفظه».

تحدّث الكاتب عن حقيقة الخلاف بين الزرقاوي وأبي عبد الله المنصور، وأنها تتعلق برفض الأخير لإمارة الزرقاوي على قاعدة «أن لا يكون أمير الجماعة رجلاً غير عراقي»، وعلّل ذلك بأنّه «يعرف طبيعة الشعب العراقي» وأنهم لن يقبلوا أميراً عليهم غير عراقي.

نقاط الخلاف بين «جيش المجاهدين» و«الدولة» كما يرصدها كاتب الرد تلخّص في:

- عدم تكفير الشرطة العراقية، بينما منهج الزرقاوي أن الشرط مرتدون.
- عدم تكفير عوام الشيعة، وأن علماء الشيعة هم الكفار فقط، بينما منهج الزرقاوي واضح في تكفير الشيعة عموماً. وينقل الكاتب عن أبي عبد الله المنصور قوله لمن استفتاه في تفجير جامع براءا (الشييعي في بغداد) فكان جوابه «اضربوها ولا تستفتوني» ويعلق الكاتب «فسبحان الله مرة لا يجوز بخلافه مع أبي مصعب ومرة يجوز، وشاهدوا التذبذب في الفتوى».

عارض الكاتب كل ما قاله المنصور عن البغدادي، وشدّد على أنه كان من الذين يثنون بشدة عليه وأقرّ أنه حضر بعض الدروس الشرعية للمنصور ويرجح أن تكون في مقر هيئة علماء المسلمين جامع أم القرى في بداية 2004 وكان حارث الضاري رئيساً للهيئة حينذاك، وهو من سمح له أن يعطي دروساً داخل الهيئة، وأن علاقته بالضاري وثيقة جداً، بل وأضاف «أكاد أجزم أن المنهج واحد».

يلفت الكاتب إلى أن البغدادي ترك الدرس وتنظيم جيش المجاهدين بعد عدة أشهر، وأرجع الكاتب السبب إلى «الأمر العظام والانحرافات الكبيرة في جيش المجاهدين» التي رآها البغدادي، حسب قوله.

في الخلاصات، أعلن «داعش» دولته دون الرجوع لبقية الفصائل السلفية الجهادية، فضلاً عن عدم مقاسمتها «الكعكة»، الأمر الذي فجر الخلافات المكبوتة لدى قادة الفصائل، لا سيما وأن الاعلان كان يبطن نفي مشروعية الآخر، إذ ألزم الخليفة الجميع بالانضواء تحت ولايته والخضوع لدولته.

الفصل الخامس

داعش.. جذور النشأة والمواجهة مع إخوة السلاح

السعودية: بين «القاعدة» و«داعش»

بعد سقوط بغداد في التاسع من نيسان (إبريل) 2003 على يد القوات الأمريكية، انهارت وبصورة مفاجئة ودفعية جميع مؤسسات الدولة، ومن بينها المؤسسة الأمنية بكافة تشكيلاتها (الجيش والشرطة والمخابرات.. الخ)، وغرق العراق في فوضى عارمة، وفتحت الأبواب على كل الأخطار والتحديات والاختراقات من قبل الجماعات والحكومات من كل أرجاء العالم. ودخل المسلحون العرب والأجانب، من المهاجرين المتواجدين في أفغانستان أو من المقاتلين المتأهبين في الإقليم، سواء في السعودية أو بلدان خليجية أخرى لدخول العراق عقب الحرب الأمريكية عليه، بدعوى مقاومة الغزو الصليبي وأعوانه.

في غضون ذلك، انطلقت حملات التعبئة للنفير للجهاد في العراق بالعنوان الإسلامي ظاهراً والسني والطائفي باطنياً ومحرضاً. في السعودية، كان رد الفعل الوهابي منقسماً إلى محرض على مجاهدة الغزاة، ولكن موكلاً المهمة إلى العراقيين دون سواهم، وآخر داع إلى «النفير العام إلى الجهاد في بلاد الرافدين» لمقاتلة الصليبيين والمتردّين وأعوانهم من الشيعة والأكراد، والمسيحيين وغيرهم..

في الموقف المعلن، وبحسب تصريحات لصحيفة (الوطن) السعودية في 6 نيسان (إبريل) 2003، أي قبل ثلاثة أيام من سقوط بغداد كان عدد من مشايخ الوهابية من الطبقة الثانية ينصحون الشباب السعودي (الوهابي بدرجة أساسية) بعدم الذهاب للقتال في العراق إلا بإذن ولي الأمر، وتنوّعت أسباب رفضهم بين كون الجهاد فرض كفاية، ونقص آلة الحرب، وضعف تنظيم عملية الجهاد، وغموض معتقد راية الحرب الدينية..

وفي 6 تشرين الثاني (نوفمبر) 2004، وجّه 26 من دعاة وأساتذة جامعات دينية وقضاة خطاباً مفتوحاً للشعب العراقي أكدوا فيه على مشروعية

المقاومة وتحريم التعاون مع المحتل ضد أعمال المقاومة، ودعوا في الوقت ذاته إلى حقن دماء المسلمين العراقيين، وعدم استهداف رعايا الدول التي ليست طرفاً في النزاع والمتواجدين في العراق. كما طالبوا بـ «المحافظة على وحدة العراق...»، وقالوا أن «هناك أصابع خفية تحاول إيقاد نار الفتنة، وتمزيق العراق إلى طوائف، وإثارة المعارك الداخلية بين الشيعة والسنة، أو بين الأكراد والعرب». لغة متطورة لم يعتد عليها أنصار الموقعين، خصوصاً تلك النبرة المتسامحة والوحدوية التي يندر وجودها في الأدبيات الصحوية، وهذا يعكس التحول الذي شهده الخطاب الصحوي بعد مرحلة السجن، وهنا يظهر الأثر الإخواني في الخطاب الصحوي، منفصلاً عن السلفية الجهادية التي كان عليها حتى منتصف التسعينيات.

ولا بد من إلفات الانتباه إلى أن البيان لا يغطي المشهد بالكامل، لأن ثمة مواقف لدى مشايخ الصحوة تنتمي إلى السلفية الجهادية، كما تظهر بوضوح في مقالة الشيخ الصحوي سلمان بن فهد العودة في صحيفة (الجزيرة) الصادرة في الرياض بتاريخ 6 نيسان (إبريل) 2004 بعنوان (أيها العراقيون). يخاطب العودة العراقيين بما نصّه:

«إنكم تقاتلون عدواً تخطى غيركم إليكم، وربما تخطاكم إلى غيركم، فمطامعه لا تقف عند حد، فأعظموا فيه النكايّة، واستميتوا، فدى لكم من لا يقدر صنيعكم، ولا تضنوا بنفس ولا مال، فالיום يوم الملحمة، وليس بمستنكر عليكم وأنتم أهل الإسلام والفداء أن تصنعوا للعلاج الكافر عقدة اسمها (عقدة العراق) تنسيه عقدة فيتنام، وتكف يده عن الامتداد إلى جيوب الناس!!».

ورغب العودة في القتال وقال «فلا يموتنّ أحد منكم إلا وقد خطف معه من أرواح هؤلاء المغتصبين، ولكن هو إلى الجنة إن شاء الله وهم إلى النار وبئس القرار».

وفيفيض العودة في توجيهاته للمقاتلين في العراق «فليعلم الله في قلوبكم جميعاً وخصوصاً عليتكم وأولي الأمر منكم وأهل الرتبة والجاء توجهاً صادقاً إلى تحكيم شريعته واقتفاء سنة نبيه عليه الصلاة والسلام وإعلان ذلك بين الناس بلا تردد ولا جمجمة، ولا انتظار. وليكن من أول ذلك إنفاذه في خاصة نفوسكم وبيوتكم وأشخاصكم واعتماد اللغة الشرعية في إعلامكم وسركم وإعلانكم»

وأطلق العودة بشارة لأهل العراق بقدوم المقاتلين من الخارج وقال:

يا أهل العراق:

لقد وفد إليكم من أبناء الإسلام النجباء من لم تسعهم الأرض وهم يشهدون القصف المجرم عليكم، فانطلقوا وقد باعوا لله نفوساً كريمة، يطلبون الشهادة في سبيل الله، ويرومون قتل المعتدين المتجربين وهم يعلمون أن العديد البشري لديكم من المدربين المسلحين كثير، ولكنهم يأبون إلا المشاركة والتعبير عن التضامن في إحدى صوره النبيلة».

في المقابل، أطلق عدد من صقور المجتمع الديني الوهابي فتاوى لاهبة وتحريضية على القتال في العراق ضد الأميركيين وأعوانهم، في إشارة إلى الشيعة والأكراد وبعض المكونات السنية التي قبلت الدخول في العملية السياسية بعد سقوط النظام.

في مقدمة الفتاوى المحرّضة على القتال في العراق، فتوى الشيخ عبد الله بن جبرين، عضو إفتاء سابق في رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، قبل شهر من سقوط النظام العراقي، وعلى وجه التحديد في العاشر من محرم سنة 1424 هـ الموافق 14 آذار (مارس) 2003 بعنوان (واجبنا تجاه الاعتداء على العراق) إذ أجاب عن سؤال حول الموقف مما يجري في العراق بالقول إن الواجب على المسلمين أولاً: «تصحيح الإسلام، وتحقيق ما يدينون به من التوحيد والإخلاص لربهم - سبحانه وتعالى-، والابتعاد عن

الكفر، والشرك، والبدع، والمعاصي، والمحرمات...» وفي النقطة الرابعة وضع ما يجري في العراق في سياق المواجهة بين الكفر والإيمان واعتبره حرباً على المسلمين «فيجب على المسلمين في كل البلاد الإسلامية، أن يقوموا لله مثنى، وفردى، وأن يصدوا بقدر استطاعتهم هؤلاء الكفار، ومن ساندهم من المنافقين حتى تنقطع أطماعهم ويرجعوا على أدبارهم...».

أما الشيخ عبد الرحمن البراك، الذي يقود الخط الوهابي الأشد تطرفاً في المملكة السعودية، فقد أجاب عن (حكم قتال أهل العراق للأمريكان) أن: «الكفرة الأمريكان وأعدائهم في غزوهم للعراق ظالمون معتدون، فهم كفرة محاربون، يجب على المسلمين جهادهم وطردهم من ديار المسلمين». وأضاف: «فالمقاتلون في العراق للأمريكيين وأعدائهم، من أراد منهم إعلاء كلمة الله وإذلال الكافرين فهو مجاهد في سبيل الله، ومن أراد مقاومة الاحتلال الأجنبي عن وطنه فلا لوم عليه، بل هذا ما تقتضيه الشهامة والأصالة والأنفة، من عدم الخضوع للمستعمر المعتدي...» وقال بوجوب نصر المجاهدين في العراق بكل الوسائل⁽¹⁾.

أول ما تلفت إليه الفتاوى والبيانات والمقالات الصادرة عن مشايخ السلفية الوهابية، أن العراق الذي كان شبه غائب في الأدبيات الوهابية، بات في صميم اهتمام المشايخ، وأرض جهاد جديدة منذ سقوط النظام العراقي السابق في إبريل 2003.

وقد وفّرت الفتاوى جرعة تحريضية محمولة على لغة دينية وسهّلت مهمة جهتين: فلول النظام السابق الذين وجدوا أنفسهم أمام مفترق طرق، وجماعات السلفية الجهادية التي بدأت تزج بعناصرها في المعارك الجديدة.

(1) الشيخ عبد الرحمن البراك، رقم الفتوى 9528، تاريخ الفتوى 11/10/1425 هـ - 23-11-2004
انظر الرابط:

http://albararak.islamlight.net/index.php?option=com_ftawa&task=view&id=9528

وكان أمام الضباط السنة في مؤسسات الجيش والأمن والشرطة التابعة للنظام العراقي السابق خيارات: إما القبول بالواقع السياسي القائم والتماهي مع النظام الجديد أو الفرار من العراق أو مقاتلة النظام، أما الضباط الذين تلوّثت أيديهم بدماء العراقيين من الشيعة والكرد والى حد ما السنة وخشوا على أنفسهم من الملاحقة القانونية والاعتقال والمحكمة أو التصفيات الجسدية على يد الأهالي، فوجدوا فرصة الاندماج في التنظيمات الجهادية، فالتحق قسم منهم بـ «كتائب ثورة العشرين» التي يتزعمها الشيخ حارث الضاري، وذهب آخرون إلى فصائل أخرى مثل «الجيش الاسلامي» و «جيش المجاهدين».

في غضون ذلك، بدأ الأفغان العرب من تنظيم القاعدة يتسلّلون إلى داخل العراق، حيث تبدأ سيرة أبو مصعب الزرقاوي، الأب المؤسس لتنظيم «الدولة الإسلامية». وسوف تُنسج هناك قصة لقائه بالضباط السابقين منذ تشكيله «جماعة التوحيد والجهاد»، وكيف تطوّرت العلاقة إلى تحالف مصري أنجب تنظيم «دولة العراق الإسلامية»، ثم «داعش» وتالياً «الدولة الإسلامية».

أبو مصعب الزرقاوي.. الأب الروحي لـ «داعش»

أبو مصعب الزرقاوي، أو أحمد فاضل الخلايلة، من مدينة الزرقاء الأردنية، قرر الهجرة إلى أفغانستان بعد خروجه من السجن أواخر عام 1989 بتهمة حيازة مخدرات، للانضمام إلى الجهاد الأفغاني ولكنه وصل إلى هناك بعد انتهاء الحرب، أي إبان انسحاب القوات السوفييتية، وشهد مقتل عبد الله عزّام في سبتمبر من العام نفسه. التقى هناك بالشيخ أبي محمد المقدسي، عصام البرقاوي، المنظر الأبرز للسلفية الجهادية، وقد أطراه الشيخ السلفي السعودي المثير للجدل حمود بن عقلا الشيعي بالقول «لقد رفعت رأس السلفيين عالياً». ويعد الشيعي من أبرز المتعاطفين مع «القاعدة»، وقد بارك هجمات الحادي عشر من سبتمبر، وله رسائل في حرمة الاستعانة

بالكفار وفي شرعية حكومة طالبان، وفي تكفير بعض الكتاب السعوديين مثل تركي الحمد.

كان أبو محمد المقدسي منخرطاً في التنظير للسلفية الجهادية، وبعد اندلاع أزمة الخليج وبروز تيار الصحوة في المملكة السعودية كان المقدسي يعدّ كتابه (الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية).. تأثر الزرقاوي بمعلمه المقدسي ورافقه طيلة سنوات الهجرة والجهاد وفي المعتقل، وقد اختلف معه لاحقاً في مسائل من بينها قتل المدنيين.

التقى الزرقاوي زعيم القاعدة «إسماعيل بن لادن» وتوطدت علاقتهما، وقاد معسكرات تدريب للمسلحين، واتفق مع «بن لادن» على تأسيس تنظيم مناصر في الأردن، وليس مبايعاً أو تابعاً، يطلق عليه «التوحيد والجهاد»، وأن يتزعمه، وبالفعل عاد إلى الأردن مع المقدسي مطلع العام 1993، ولكنهما اعتقلا على خلفية قضية عُرفت باسم «تنظيم بيعة الامام»، وأمضيا ست سنوات في السجن، وخضع خلالها الزرقاوي تحت تأثير مباشر للتعاليم السلفية على يد المقدسي. وبعد الافراج عنه عام 1999 بعفو ملكي تمكّن الزرقاوي من الهرب خارج الأردن وعاد إلى أفغانستان سنة 2001 ومعه بعض الكوادر في التنظيم والتحق بمعسكر تدريب ولم يكن على وفاق مع طالبان أو ابن لادن..

وكان يميل الزرقاوي مع من مالوا إلى بطلان القتال تحت راية طالبان، كما كشف عن ذلك عبد الله الموحّد في كتابه (كشف شبهات المقاتلين تحت راية من أخل بأصل الدين) الذي صدر في منتصف سنة 2000؛ فهو وإن لم يصرّح بكفر طالبان إلا أن عنوان الكتاب نفسه يدل عليه، وأن محتوى الكتاب وما فيه من رصد وتتبّع لكل الأدلة التي تثبت وقوع طالبان في المحذور، أي الإخلال بأصل من أصول الدين قد جعل دولتهم أقرب إلى الكفر منها للإيمان، وتالياً بطلان القتال تحت رايتهن، بل «جعلهم من أولياء الشيطان» وأن سبيلهم سبيل الطاغوت. وخلص في كتابه إلى

نتيجة صادمة في ضوء القتال تحت راية طالبان أن «المسلمين قد خُدعوا وانساقوا وراء كثير من رايات قتال غير شرعية، تحمل في طياتها الكفر الصراح، وقتلوا مع من لا يجوز القتال معهم، فقاتلوا في سبيل المجرمين وهم يحسبون أنهم يقاتلون في سبيل الله، تارة محتجين بدفع الصائل وتارة بالقتال مع كل بر وفاجر وتارة أخرى بالمصالح والمفاسد، وتارة بالسياسة ومستدعياتها، وغير ذلك...». وعدّ من بين الرايات التي لا يجوز القتال تحتها «راية حركة طالبان القبورية التي توالي أعداء الله وتحكمهم في قضاياها وتزلف للانضمام إلى الأمم الملهدة (المتحدة)، أو راية النظام السعودي الأمريكي في قتاله ضد العراق...».

وبالرغم من محاولة أبو قتادة الفلسطيني التخفيف من وطأة الكتاب من خلال ردّه عليه بآخر بعنوان (جؤونة المطيبين) في بيان أخطاء الرسالة سالف الذكر، وصدر في أكتوبر 2000 وقُدّم له وصوّب أبو محمد المقدسي، إذ استنكر وضع طالبان مع من وصفها بالأنظمة المرتدة وتساءل:

«هل من الإنصاف والعدل الذي قامت به السماوات أن تحشر الطالبان وأمثالها، وتحشر رايتها مع راية صدام حسين أو راية علي عبد الله صالح أو راية النظام المصري أو راية النظام السعودي أو راية ياسر عرفات أو نحوها من الرايات الكافرة المرتدة»⁽²⁾. وردّ أبو قتادة على تكفير طالبان وقال عن الكاتب أنه «غالٍ جاهل في دين الله تعالى لا يدري ما يخرج من رأسه...». وردّ عليه بما نصّه أن «تكفير الديوبندية - وهي عقيدة طالبان - لأنهم ماتريديّة؛ بدعة خارجية وافترأ على مذهب أهل السنة والجماعة، لأنّي لا أعلم عالماً على ظهر الأرض كفر الأشاعرة وأخرجهم من أهل القبلة، أو كفر الماتريديّة وأخرجهم من أهل القبلة...». وهذا قول غريب من أبي قتادة لأن عقيدة الوهابية تقوم على تكفير الأشاعرة كما جاء في كتاب «التوحيد» لمؤلفه الشيخ صالح الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء، والمخصص للصف الأول

(2) أبو قتادة الفلسطيني، جؤونة المطيبين، مقدّمة أبو محمد المقدسي، طبع خاص، ص 7

ثانوي، والصادر عن وزارة التربية والتعليم لسنة 1424هـ الموافق 1999، وصف الأشاعرة والماتريدية بالشرك، وقال عن المشركين الأوائل: «فهؤلاء المشركون هم سلف الجهمية والمعتزلة والأشاعرة». وأدخل الشيخ محمد بن صالح العثيمين في محاضرة له في بدايات أيار (مايو) 1992 الأشاعرة والماتريدية في أهل البدع. وقد خصَّص الشيخ الصحوي سفر الحوالي بحثاً عن الإشاعرة لإثبات بدعيتهم وخروجهم عن مسمى «أهل السنة والجماعة»⁽³⁾.

مهما يكن، فإن تسامح أبو قتادة في عدم تكفير من يتبنى الديمقراطية وعبادة الأضرحة والقبور وانتقاده لعلماء نجد في الدولة السعودية الثانية وموقفهم من الدولة العثمانية وضعه في خانة الإرجاء والتجهّم⁽⁴⁾.

على النقيض، رصد عمر عبد الحكيم، المعروف باسم (أبو مصعب السوري)، في كتابه (مختصر شهادتي على الجهاد في الجزائر)، الحلقة السادسة من (سلسلة قضايا الظاهريين على الحق)، تجربة القتال في الجزائر في الفترة ما بين (1988 - 1996)، وتضمّن نقداً لآراء أبو قتادة، وأن تيار السلفية الجهادية المسلحة في الجزائر اتخذته مرشداً روحياً منذ عام 1995⁽⁵⁾. الأخطر في فتاوى أبو قتادة لهذا التيار قوله بـ «جواز قتل النساء والأطفال» من عوائل رجال الأمن والسلطة رداً على أفعال أجهزة الأمن بعوائل الجهاديين⁽⁶⁾.

على أي حال، فإن أبو قتادة الذي دافع عن طالبان وانتصر للجهاديين الجزائريين لم يستطع إقناع الزرقاوي بمشروعية حكم طالبان وفُضِّل العمل

(3) الشيخ الدكتور سفر بن عبد الرحمن الحوالي، الأشاعرة عرض ونقد، سلسلة كتاب البيان 113، سلسلة تصدر عن مركز البحوث والدراسات، مجلة البيان 1430هـ.

(4) انظر: غلو أبو قتادة الفلسطيني في الإرجاء والتجهّم، مدونة الخلافة، بتاريخ 2 مارس 2014

(5) أبو مصعب السوري، مختصر شهادتي على الجهاد في الجزائر، الحلقة السادسة من (سلسلة قضايا الظاهريين على الحق)، (د.ت) ص 21

(6) المصدر نفسه ص 31 32

منفرداً، وحين ترك أفغانستان بعد الحرب الأميركية عليها وسقوط حكم طالبان بقي هناك متنقلاً بين أفغانستان وباكستان وإيران وتركيا، ومن ثم قرر الذهاب إلى كردستان العراق.

وبحسب رواية أبو محمد المقدسي أن الزرقاوي ومجموعته امتنعوا عن القتال إلى جانب طالبان «لما عاينوا أشياء» وكان هو نفسه يتحفظ على بعضها، ولذلك لم يتحمس للسفر إلى أفغانستان، وقد أحجم المقدسي عن ذكر هذه «الأشياء»، ولكنها على ما يبدو لا ترقى إلى مستوى الموانع عن القتال إلى جانبهم، ولذلك استدرك قائلاً: «ولا أدري ما الذي ضخمها وجعلها موانع للقتال في صفهم فيما بعد، مع أن الأصول تقتضي غير ذلك..»⁽⁷⁾.

بعد سقوط أفغانستان توجه الزرقاوي إلى كردستان «التي لم تكن يوماً في برنامجه» حسب المقدسي، ولم يتوافق مع الشيخ رائد خريسات على الانتقال إلى كردستان. ويعد الخريسات من الرعيل الأول في الجهاد السلفي في أفغانستان ومن المقربين من المقدسي، وجاء إلى كردستان وأنشأ معسكرات للتدريب وجمع حوله مقاتلين من الأردنيين في الغالب ولكنه قتل ومجموعته في مواجهات مع تحالف الشمال الكردي، فالتحق من بقي من مجموعة الخريسات بالزرقاوي وقد حصل بعضهم على خبرة قتالية خصوصاً في مجال صنع المفخخات والعبوات فشكّلوا النواة الأولى لجماعة التوحيد والجهاد التي أعلن عنها الزرقاوي في وقت لاحق، إلى جانب آخرين قدموا من الأردن ومناطق أخرى، ومن بينهم أبو أنس الشامي (واسمه الحقيقي عمر يوسف جمعه صالح) أردني من أصل فلسطيني، وكان بمثابة الأمير الشرعي للجماعة.

(7) أبو محمد المقدسي، رسالة نصره ومناصرة لإخواننا أهل السنة في العراق، د.ت، منبر التوحيد والجهاد،

اعتبر المقدسي انضمام أبي أنس الشامي الى مجموعة الزرقاوي تحولاً لافتاً، إذ كان الأخير بجاجة «إلى طالب علم يقف إلى جنبه، وحاجته إلى التذكير والمناصحة مع المناصرة..». يوضح ذلك بأن الزرقاوي لم يكن، بحسب المقدسي، ذلك الطالب المتقدم في العلم.. فكان ينظر الى وجود أبي أنس الشامي في جماعة الزرقاوي مؤشراً على مرونة منه «بعد أن كان افتقاره إليها من قبل قد حرمه الاندماج في القاعدة والنزول تحت إمرة الشيخ أسامة ..»⁽⁸⁾.

يشكو المقدسي من تهوّر الزرقاوي ووصف اختياراته بأنها «لم تكن موفقة» وأرجع السبب الى اختيار أشخاص «يفتقرون إلى أدنى شروط العمل التنظيمي وخبراته». كما شكى من عدم اطلاعه على ما يفعله الزرقاوي ما يتسبب في الحاق الاذى به: «وغالبا ما كنت أجر معهم إلى السجن بسبب تلك المناصحة أو بسبب حيازة أولئك الشباب لكتابات أو معرفة بعضهم بي واعترافيهم بذلك دون أن يربطني بهم رابط تنظيمي ودون أن يطلعوني على شيء من ذلك..»⁽⁹⁾.

ولشدّة تأثير المقدسي على الزرقاوي، اختار الأخير اسم تنظيمه (جماعة التوحيد والجهاد) تيمناً بإسم الموقع الذي انشأه المقدسي على الانترنت قبل ذلك بسنوات.

بقي الزرقاوي في كردستان بعد الاعلان عن سقوط بغداد وقتاً قصيراً، وكان يشرف على معسكر تدريبي في شمال العراق مع «جماعة أنصار الإسلام» السلفية الكردية، التي تأسست في أواخر عام 2001، وكانت تسيطر على أجزاء من الأرض في شمال العراق، وتحديداً قرب سلسلة الجبال التي تفصل حدود العراق وإيران.

(8) أبو محمد المقدسي، مناصرة ومناصحة، مصدر سابق

(9) أبو محمد المقدسي، رسالة نصره ومناصحة لإخواننا أهل السنة في العراق، مصدر سابق،

وكانت جماعة «أنصار السنة» تتبنى العمل المسلح، وأقامت معسكرات ومراكز تدريب لها في شمال العراق. وفي كانون أول (ديسمبر) 2001 انضمت جماعة جند الاسلام بزعامة أبو عبد الله الشافعي مع حركة أخرى انفصلت من الحركة الاسلامية الكردستانية، وكان يتزعم المجموعة نجم الدين فرج احمد الملقب بملا كريكار، الذي يعيش في الزويج كلاجئ سياسي. واتهمت الجماعة بارتباطها بالمخابرات البريطانية وصنفت كمنظمة ارامية، وأصدرت السلطات الزويجية في مارس 2003 مذكرة اعتقال بحق ملا كريكار بتهمة ضلوعه وتخطيطه لعمليات ارامية، إذ صنفت الولايات المتحدة جماعة «أنصار الإسلام» كأحد التنظيمات التابعة للقاعدة. كما اتهمت الولايات المتحدة الجماعة بايواء أبو مصعب الزرقاوي. وقد أصدرت جماعة «أنصار الإسلام» بياناً في 15 أغسطس 2003 بياناً أعلنت فيه تبرؤها من ملا كريكار واتهمته بارتكاب «أفعال كفرية»⁽¹⁰⁾.

نشير إلى أن أجهزة مخابرات كردية كانت أوصلت تقريراً في خريف 2001 إلى السلطات الأميركية عن وجود الزرقاوي في كردستان وطلبت الإدارة الاميركية من السلطات الاردنية معلومات عن الزرقاوي، وتبين أنه ينتمي إلى بيئة اشتهرت بالفقر والجريمة وأنه من عائلة بدوية.

أجرى الزرقاوي إتصالات واسعة لناحية تجنيد متطوعين من المقاتلين العرب ممن دخلوا العراق قبل وأثناء العمليات العسكرية الأميركية، كما تواصل مع انصاره ورفاق دربه والأشخاص الذين تعرّف عليهم خلال وجوده في أفغانستان من جنسيات مختلفة وخصوصاً الخليجية وعلى رأسها السعودية، ثم قرر إنشاء معسكر للمتطوعين داخل سوريا بالقرب من الحدود العراقية بإشراف «أبو الغادية السوري» وساعد على استقطاب المتطوعين فيما بعد، وكان يُطلق عليهم «المهاجرين»، ومن أهم الأشخاص الذين تقربوا منه حينذاك «أبو عمر البغدادي».

(10) صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ 23 أغسطس 2003

استقطب الزرقاوي عدداً من ضباط النظام السابق من بينهم الضابط في الحرس الجمهوري ثامر الريشاوي ومعه مجموعة ضباط آخرين. توثقت علاقة الريشاوي بالزرقاوي ونال ثقته، ووضع الريشاوي خبرته العسكرية بتصرف الزرقاوي خصوصاً في إدارة حرب العصابات وتكتيكات حرب الشوارع، وتم تكليفه بتدريب العناصر الجديدة من الشباب على القتال سواء من «الأنصار» أي العناصر العراقية التي تلتحق بالتنظيم. ونجح الريشاوي في استقطاب مجموعة كبيرة من الضباط والنقباء من الجيش العراقي السابق في الرمادي والفلوجة لجهة الانضمام لجماعة التوحيد والجهاد، وخضعوا لعملية تأهيل عقدي من خلال «الدورات الشرعية» فتشربوا الفكر السلفي الوهابي، وأتقنوا الحديث في الأمور العقدية وفي لحظة ما تحول الضباط شيوفاً يتقنون فن الرطانة والتخاطب بلغة رجال الدين. وكان أبو محمد المقدسي قد وجّه رسالة مناصحة الى الزرقاوي وجماعته يحذّره فيها من التحالف مع فلول البعثيين وينصحهم «فلا تغتروا بها يطلقه بعضهم ويرفعه من شعارات خادعة يتمسحون في بعضها بالجهاد والإسلام وآيات القرآن...»⁽¹¹⁾.

لم يستجب الزرقاوي لنصيحة أستاذه ومضى في خطته، وخلال فترة قياسية لا تتجاوز ثلاثة أشهر جمع الزرقاوي من حوله عدداً كافياً من المقاتلين العراقيين والعرب، وقرر إعادة إحياء تنظيمه «جماعة التوحيد والجهاد»، واتخذ من مدينة الفلوجة مقراً له وأسبغ عليه طابعاً عراقياً، وأطلق عليه اسم «تنظيم جماعة التوحيد والجهاد في بلاد الرافدين»، وبدأ بتنفيذ عمليات انتحارية باسم التنظيم ومن بينها استهداف مقر الأمم المتحدة في 19 آب (أغسطس) عام 2003، والذي اعتبر فاتحة العمليات الكبرى، كما قام انتحاريون تابعون للتنظيم بمهاجمة مدينتي كربلاء والكاظمية في 2

(11) أبو محمد المقدسي، رسالة نصرة ومناصحة لإخواننا أهل السنة في العراق، د.ت، منبر التوحيد والجهاد،

شباط (فبراير) عام 2004 وسقط عدد كبير من الشيعة بين قتلى وجرحى، إضافة إلى تبني إعدام رهائن.

وتلاحقت العمليات المسلحة بوتيرة عالية، ثم تركّزت ضد المنشآت المدنية التي نالت ما معدله 90 بالمئة من عمليات التنظيم، وتركّزت معظم الهجمات على العاصمة، بغداد. وبعد أن بلغ تعداد العناصر المنضوية في التنظيم ما يقرب من خمسة آلاف عنصر، قرر الزرقاوي تأسيس التنظيم، وتقسيم الوظائف فتشكلت لجان عدّة أهمها: اللجنة العسكرية، والإعلامية، والأمنية، والمالية، والشرعية العلمية.

تنبّه الزرقاوي في مرحلة مبكرة إلى أن ثمة حلقة مفقودة في نشاطه الإرهابي داخل العراق، فوضع خطة لخلط الأوراق وتغيير المعادلة الداخلية. وتقوم الخطة على تفجير حرب طائفية سنّية - شيعيّة تفضي إلى استدراج المجتمع السنّي داخل العراق وخارجه لخوض حرب شاملة تمهّد إلى إعادة إحياء الخلافة في العراق.

ولكن عملية عسكرية واسعة شنت على الفلوجة، معقل التنظيم، كادت أن تقوِّض أحلام الزرقاوي نتيجة الخسائر الفادحة التي مني بها التنظيم. وقرر الزرقاوي مراسلة أسامة بن لادن بهدف طلب العون ومبايعته ولكن بشروط.

وفي وثيقة نشرت صحيفة «نيويورك تايمز» تقريراً عنها في 10 شباط (فبراير) 2004، وهي عبارة عن رسالة بعث بها الزرقاوي إلى قيادة «القاعدة» وإلى بن لادن والظواهري على وجه الخصوص (بدأها بعبارة: إلى الأخوين الكريمين)، وقامت صحيفة (الحياة) السعودية الصادرة في لندن بنشر نص الوثيقة في 12 شباط (فبراير) 2004، وكان يقترح فيها الزرقاوي على قادة «القاعدة» الموافقة على إشعال حرب طائفية في العراق «في الأشهر المقبلة».

وقدّم الزرقاوي ما يشبه مطالعة في الوضع العراقي، وفي العراق وتركيبته المذهبية والقومية المتنوعة، واستعاد الفكرة التقليدية حول طريقة إدارة

العراق، أي في ظل «سلطة مركزية قوية وسلطان قاهر». وتناول الاكراد والشيعية بعبارات شديدة القسوة وتنضح كراهية وتحريض على القتل، فيما وصف السنة بأنهم «أضيع من الأيتام». وشدد على دور «المجاهدين» الذين وصفهم بـ «خلاصة أهل السنة وعصارة الخير في هذا البلد وهم ينتسبون في الجملة إلى عقيدة أهل السنة والجماعة وإلى مذهب السلف..» في إشارة إلى أتباع الوهابية في العراق.

وكشف الزرقاوي عن عمليات تنظيمه، واعترف بما قام به في المناطق الشيعية والشخصيات الدينية والسياسية، ووصف عمليات القتل ضد الشيعة أنها «مفتاح التغيير» وأوضح: «إن استهدافهم وضربهم في العمق الديني والسياسي والعسكري سيستفزهم ليظهروا كلبهم على أهل السنة..»، والهدف من ذلك كما يفصح الزرقاوي في رسالته هو اشعال حرب طائفية سنية - شيعية «وإذا نجحنا في جزهم - أي الشيعة - إلى ساحة الحرب الطائفية أمكن إيقاف السنة الغافلين حين يشعرون بالخطر الداهم والموت الماحق على أيدي هؤلاء السبئية»، في إشارة إلى عبد الله بن سبأ، الذي يعتقد خصوم الشيعة أنه وراء تأسيس مذهبهم.

يكشف الزرقاوي عن مخططه بوضوح والذي يقوم على استدراج الشيعة إلى معركة طائفية مع السنة، وعد ذلك «السييل الوحيد لإطالة أمد القتال بيننا وبين الكفار». ويشرح الزرقاوي أبعاد الحرب الطائفية «الحل الوحيد ان نقوم بضرب أهل الرفض - أي الشيعة - المدنيين منهم والعسكريين وغيرهم من الكوادر الضربة تلو الضربة حتى يميلوا على أهل السنة».

أعاد الزرقاوي عرض المقترح بصيغ متعددة في رسالته مرفقاً بتكتيكات عسكرية مقترحة مثل السيارات المفخخة والانتحاريين. وفي الأخير، طالب من قيادة القاعدة المصادقة عليها كشرط للبيعة لهم، وقال ما نصه: «هذه رؤيتنا قد شرحناها وهذا سبيلنا قد جليناه فإن وافقتمونا عليه واتخذتموه لكم منهاجاً وطريقاً واقتنعتم بفكرة قتال طوائف الردة فنحن لكم جند

محضرون تعمل تحت رايتكم وننزل على امركم بل نبايعكم علانية على الملأ وفي وسائل الاعلام اغاظه للكفار واقراراً لعيون اهل التوحيد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله وان بدا لكم غير ذلك فنحن اخوة ولا يفسد الخلاف للود قضية نتعاون على الخير ونتعاضد على الجهاد وبانتظار جوابكم..»⁽¹²⁾.

ما لم يكشف عنه الزرقاوي في رسالته، هو القلق الذي كان يعيشه على المستوى الشخصي، وخشيته من انفراط تنظيمه، ما دفعه لاستعجال طلب الغطاء من قيادة «القاعدة» وتشديده على خيار الحرب الطائفية بين السنة والشيعة في العراق، قبل أن تنجح بوادر توحد جبهة المقاتلين السنة والشيعة في العراق ضد القوات الاميركية. وبحسب دراسة للخبرة في شؤون الإرهاب ريتا نابليون، مؤلفة كتاب (التمرد في العراق: الزرقاوي والجيل الجديد) وبحسب دراسة لها نشرتها مجلة (فورن بوليسي) أواخر العام 2005، أن «مخاوف ظهرت في ربيع عام 2004 عندما بدأ تمرد الزعيم الشيعي مقتدى الصدر ضد الأمريكيين يجذب اهتمام وإعجاب المقاومة من السنة» وتؤكد لوريتا أن الزرقاوي كان يركّز في مراسلاته مع بن لادن على ضرورة منع السنة والشيعة من أن يتوحدوا معاً حول هدف قومي واحد، وقال في هذه المراسلات أنه لو حدث ذلك فإن جماعات الجهاد، كما يصف جماعته وجماعة بن لادن، سوف لا تجد لها مكاناً في العراق على اعتبار أنهم أجنب، وستتحول المقاومة إلى قضية وطنية».

ومن المعلوم، أن بوادر تعاون برزت بين مقاتلي جيش المهدي بقيادة مقتدى الصدر مع مقاتلي الفلوجة، إلى حد الإعلان عن ما يشبه التوأمة بين النجف والفلوجة على مستوى القتال ضد القوات الأميركية. وكان زعيم التيار الصدري قد هدّد في 12 إبريل 2004 أن عناصره الموجوده في الفلوجة أمهلت القوات الأميركية ساعات عديدة للإنسحاب من محيط المدينة وإلا فإنها ستستأنف عملياتها المسلحة بقوة.

(12) صحيفة (الحياة)، باب قضايا وتحقيقات، رقم العدد 14930، تاريخ 12 فبراير 2004

وفور إعلان رئيس الحكومة آنذاك أياد علاوي معركة الفلوجة، أصدر مقتدى الصدر أمراً لأتباعه بضرورة الدفاع عن الفلوجة. بقي المقاتلون الصّديون في محيط المدينة، ولم يدخلوها بطلب من الأهالي، في وقت كان الزرقاوي وبالتعاون مع ضباط عسكريين وأمنيين في النظام السابق يكتفون عملياتهم المسلّحة في الأحياء الشيعية في بغداد وخصوصاً في مناطق اللطيفية على الطريق بين بغداد وكربلاء، والدورة والسيدية واليرموك والعامرية والغزاليّة وأبي غريب والاعظمية وحي العدل والحرية وحي الجامعة والمشاهدة ومحافظات ومدن شيعية مثل النجف وكربلاء والناصرية والبصرة.

لم يكتب للتعاون بين مقاتلي التيار الصدري ومقاتلي الفلوجة أن يستمر، فقد كان لهجمات عناصر الزرقاوي في المناطق الشيعية وقع خطير على سكّانها، إذ أنهم مارسوا ضغوطاً شديدة على التيار من أجل الكف عن كل أشكال التعاون مع المقاتلين السنة، واتهموا التيار أنه مخترق من فلول النظام السابق وأجهزة استخباراته.

على أي حال، كان الزرقاوي ينتظر ردّاً من قيادة «القاعدة» قبل تقديم بيعته. وبعد عشرة أشهر من رسالة الزرقاوي، أي في 17 تشرين الأول (أكتوبر) 2004، أعلنت (جماعة التوحيد والجهاد) أميراً وجنوداً البيعة لأسامة بن لادن. وجاء في بيان للجماعة «مع اطلالة شهر رمضان، شهر العطاء والانتصارات وفي ظرف أحوج ما يكون فيه المسلمون إلى مٌ شملهم ليكونوا مخرّجاً في أعين أعداء الدين (...) ننف نأ بيعة جماعة التوحيد والجهاد أميراً وجنوداً لشيخ المجاهدين اسامة بن لادن على السمع والطاعة في المنشط والمكره للجهاد في سبيل الله...».

وألمح البيان إلى موافقة ضمنية من قيادة «القاعدة» على استراتيجية الزرقاوي في العراق، والقائمة على أساس إشعال حرب طائفية سنية - شيعية. يقول البيان «كانت هناك اتصالات بين الشيخ أبي مصعب مع

الاخوة في القاعدة منذ 8 اشهر... تفهم إخواننا الكرام (في القاعدة) استراتيجية جماعة التوحيد والجهاد) في أرض الرافدين (العراق) وانشرت صدورهم لمنهجنا فيه»⁽¹³⁾.

في النتائج، لم تمنح البيعة بن لادن أية سلطة إضافية وهو في عزله بين أفغانستان وباكستان، بل على العكس عززت مشروعية الزرقاوي وسط التنظيمات الجهادية المرتبطة بـ «القاعدة» وجعلت منه القائد الفعلي لكل فروعها، خصوصاً تلك الناشئة حديثاً في المنطقة والتي لم تلتق بابن لادن ولم تخض معارك في أفغانستان. والأخطر من ذلك، أن الزرقاوي حصل على ما يريد في البيعة المشروطة، وبحسب فحوى بيان البيعة فإن بن لادن صادق على الحرب الطائفية..

لم نعثر على ردود مباشرة من قيادة «القاعدة» على رسالة الزرقاوي، سوى رسالة بعث بها الرجل الثاني في «القاعدة» أيمن الظواهري إلى الزرقاوي مؤرخة في 16 تموز (يوليو) 2005 (أي بعد ثمانية أشهر على إعلان الزرقاوي البيعة لابن لادن) تحمل جملة مواقف إزاء قضايا ذات طبيعة خلافية بين قيادة «القاعدة» والزرقاوي.

يمكن أن نلاحظ من خلال مقارنة خطاب الزرقاوي ورسالة الظواهري الفارق بين مقاربتتي «القاعدة» و«داعش» في المسألة الجهادية لا على سبيل التباين بين العقلين، فكلاهما يرومان الغايات ذاتها، ولكن يختلفان في المقاربة.

ابتداءً، أعرب الظواهري عن تأييده لمبادرة الزرقاوي بتوحيد التنظيمات السلفية الجهادية، وحدد معالم طريق عمل «القاعدة» على أساس مراحل متوالية، وفي المرحلة الثانية اعتبر «اقامة سلطة أو إمارة اسلامية» في المناطق

(13) بيان (بيعة جماعة التوحيد والجهاد لتنظيم قاعدة الجهاد)، بتاريخ 16 أكتوبر 2004، منبر التوحيد والجهاد على الرابط التالي:

<http://66.45.228.54/pr?i=6912>

السنية ضرورة ملء الفراغ عند خروج الأميركيان وتكون مقدّمة للتمدّد لتشمل الدول المجاورة.

الظواهري، وعلى الضد من الزرقاوي، يصدر عن رؤية سياسية منفتحة نسبياً ويرى أن شعبية مقاتلي «القاعدة» مستمدة من قتالهم اليهود والأميركان، وأما العنصر المذهبي/الطائفي فهو تال في الأهمية للغزو الخارجي، وأرجع «صحوة اهل السنة في العراق ضد الشيعة» إلى سماح بعض الشيعة بدخول الأميركيان لاحتلال العراق.

يعترف الظواهري بعدم الإطلاع على أحوال أتباعه في العراق ويقول «وليس لدي معلومات تفصيلية عن أحوال المجاهدين...» ويطلب من الزرقاوي « بشيء من التفصيل المفيد...» وعن «مدى استعداد تيارات المجاهدين المختلفة للحاق بمسيرة الوحدة» وفي ذلك إشارة إلى أن الزرقاوي بات يستفرد بالساحة العراقية وبالعناصر القاعدية، وبصعوبة التواصل بينهم وبين قادة «القاعدة»، والأهم من ذلك كله هو نزعة الاستقلال التي كانت لدى الزرقاوي وما أفضت إليه من عزلة وتهميش ابن لادن والظواهري.

من جهته، حدّر الظواهري الزرقاوي من «إبراز الخلافات العقائدية» كالقول إن «هذا ماتريدي وهذا أشعري وهذا سلفي...». ويلفت إلى التجربة الأفغانية حيث كان الملا محمد عمر، حنيفاً مقلداً ماتريدي العقيدة». وبالتأكيد، يعد هذا الموقف متطوّراً بالقياس إلى قادة «داعش» الذين يصرون على السير «بمنهج السلف» لكل من يتولى منصباً قيادياً..

الظواهري يتبنى موقفاً متشدّداً من الشيعة، ويرى حتمية الصدام معهم عاجلاً أم آجلاً، ولكنّه يعارض الزرقاوي في هجماته على الشيعة لما تحدّثه من ارتدادات واصطفافات شعبية خطيرة. ويرى الظواهري أنه مهما يكن مبرر الهجوم: «فلن يتقبّله العوام، وسيظل النفور منه قائماً».

تحدث الظواهري عن مشاهد الذبح، خصوصاً الرهائن، وطالبه بعدم الخضوع تحت تأثير الإطراءات التي تصله من الشباب المتحمس ووصفهم له بـ «شيخ الذباحين»، فهؤلاء لا يعبرون عن الرأي العام السنّي في العراق، فضلاً عن خارجه.

أما زعيم القاعدة، أسامة بن لادن، فلم نعثر على ردّه المكتوب أو المعلن على «عرض» الزرقاوي المشروط للبيعة، ولكن ثمة معطيات تفيد بتسوية توصل إليها مع الزرقاوي أفضت إلى قبوله البيعة، ومن ذلك ما جاء في رثاء بن لادن للزرقاوي بعد مقتله في يوليو 2006، حيث قال: «إن أبا مصعب كانت لديه تعليمات واضحة، أن يركّز قتاله على الغزاة المحتلين - وعلى رأسهم الأمريكيون - وأن يُخَيّد كل من رغب في الحيات، وأما من أبي إلا أن يقف يقاتل في خندق الصليبيين ضد المسلمين؛ فليقتله كائناً من كان، بغض النظر عن مذهبه وعشيرته، فمناصرة الكفار على المسلمين؛ ناقض من نواقض الإسلام العشرة - كما هو مقرر عند أهل العلم». في إشارة إلى علماء الوهابية بطبيعة الحال.

وبالرغم من أن رسالة الزرقاوي وخطاب الظواهري ورثاء بن لادن له كشفت عن خلافات جدية بين الطرفين، إلا أن إعلان الزرقاوي عن تماهي تنظيمه (جماعة التوحيد والجهاد) مع شبكة (القاعدة) عقب استبداله إلى (تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين) بتاريخ 17 تشرين أول (أكتوبر) 2004 يشي بتطور جوهري في بنية السلفية الجهادية، إذ كان الظواهري وبن لادن أمام معادلة صنعها الزرقاوي لنفسه وأرغمتهما على قبولها أو قبول الجزء الجوهري منها، كشرط للبيعة، والتي مهّدت إلى فتح أبواب التنظيم على مصراعيه أمام المقاتلين من داخل العراق وخارجه.

ميدانياً، جرت ما يشبه عملية «أسطرة» للزرقاوي وتصويره في هيئة شخصية خارقة، وفاق قيادات «القاعدة» قاطبة في اظهار وحشية غير مسبوقة في مقاتلة الخصوم، وظهر في شريط مصور وهو يقوم بذبح أحد الرهائن

الأميركيين 2004. وإذا كان الزرقاوي هو من أرسى مبدأ قطع الرؤوس بين أفراد جماعته فقد سبقته عناصر سعودية من «تنظيم القاعدة في جزيرة العرب» الذين لا يأثمرون بالضرورة بأوامر بن لادن أو الظواهري، بل كانوا أقرب إلى الزرقاوي كما يوحي البيان الصادر عن «سرية الفلوجة» التابعة لتنظيم القاعدة والمنشور في موقع «صوت الجهاد».

قام أفراد السرية بقطع رأس مواطن أميركي يدعى بول جونسون في العاصمة السعودية، الرياض، في 18 حزيران (يونيو) 2004. وأرفق البيان الصادر عن «سرية الفلوجة» بصورة تظهر فيه رأس الرهينة وهي متدلية إلى الأمام وقد وضعت على ظهره وبجانبه السكين التي تم تنفيذ العملية بواسطتها، فيما تظهر الصورة الأخرى شخصاً وهو يمسك برأس الضحية.. وبحسب قناة «العربية» فقد عثر على جثة الرهينة في حي المونسية شرق العاصمة الرياض⁽¹⁴⁾. وصدر بيان لوزارة الداخلية السعودية في 19 يونيو من العام نفسه كشف فيه عن هوية الشخص الذي شارك في ذبح الرهينة الأميركية وهو فيصل بن عبدالرحمن الدخيل.

وفي 7 يونيو 2004 نشر موقع «صوت الجهاد» التابع للقاعدة مقابلة مع فؤاد بن محمد النشمي، قائد (سرية القدس) التي نفذت عملية الخبر، واستهدفت مجمع الحزام الذهبي السكني حيث تم احتجاز مجموعة من الرهائن الأجانب. ولأول مرة تعرّف العالم على مفردة «الانغماس» في العدو. يتحدث النشمي عن مشهد انفجار الأجساد، ويصف المواجهة مع الجنود السعوديين «ورأيت جمجمة العسكري الواقف خلف الرشاش تتفجر أمامي ولله الحمد».

يكشف النشمي عن أن الجماعة التي يتحدث باسمها ليست ظاهرة استثنائية وطارئة أو حركة انفعالية انشاقية سريعة الاشتعال والخمود، بل

(14) العربية، الارهابيون يذبحون الأمريكي بول جونسون، 18 يونيو 2004

جماعة مؤسسة في حركة تطهير اجتماعي وديني، لها بنية تنظيمية صلبة، ولديها قائمة مهمات وتكليفات، وأيضاً نظام قيادي، وهنا تكمن انفصالية الجماعة عن الدولة..

وإذ يتحدث النشمي أن (أبو هاجر - أي عبد العزيز المقرن - كلفني بإمارة المجموعة) فهو يخبر عن مجتمع مضاد منفصل عن المجتمع القائم، وأمير بديل عن الحاكم السياسي، ومعيارية مختلفة للطاعة والالتزام، وبالتالي فإن المرجعية هنا ليست للدولة بل لأمر الجماعة، إذ تصبح أوامره تكاليف دينية تستوجب الامتثال، وأن الدولة من الناحية العملية تصبح من الناحية الشعورية والشرعية ساقطة وأن السعي يكون نحو تحقيق هذا السقوط على الأرض..

نلاحظ أن ثمة حضوراً طاعياً لقاموس حرب العراق قبل سقوط نظام صدام حسين في لهجة النشمي، فقد أمدّت لغة وزير الاعلام العراقي الأسبق (محمد الصخاف) المتميزة في مفرداتها التهكمية قاموس التنظيمات السلفية الجهادية. يقول النشمي (دخلنا إلى إحدى الشركات ووجدنا علجاً أمريكياً.. ودخلنا مكتباً آخر فوجدنا أحد العلوج.. وكان هذا هو العلج الجنوب أفريقي.. استمرينا في عملنا هذا نبحت عن العلوج وننحر من وجدنا منهم.. بدأنا نمشط الموقع ونبحث عن العلوج).

إلى جانب ذلك، استعارت المجموعة من ممارسات مقاتلي الفلوجة بعد سقوط النظام فكرة سحل الجثث، وقد سبق إلى تطبيقها في السعودية مقاتلو ينبع، غرب المملكة السعودية. يقول النشمي بعد مقتل مدير استثمارات بريطاني الجنسية في شركة هيلبرتون، التي يملكها نائب الرئيس الأميركي السابق ديك تشيني، ما نصّه: (ركبنا سيارتنا وربطنا العلج برجل واحدة وخرجنا من الشركة فوجدنا الدوريات..)، وسارت المجموعة فيما كانت الجثة عالقة في السيارة التي كان يستقلونها، وهكذا طافوا بالجثة في عدد من الشوارع خلال المطاردة مع قوات الامن. يصف النشمي المشهد

بما نصّه: (تقطعت ملابس العليج وأصبح عارياً في الشارع وكان الشارع مليئاً بالناس - فالوقت وقت دوام - والكل شاهد العليج مسحولاً فلله الحمد والمنة..ولمّا توسطنا الجسر انقطع الحبل وسقطت جثة العليج بين الإشارات الأربع وفي وسط الميدان، وأصبح كل من كان واقفاً في إحدى الإشارات يشاهد العليج يوم أن سقط من أعلى الجسر..).

ثمة أوجه شبه بين وسائل الجماعات القتالية في العراق والسعودية، فجميعها يعتمد وسيلة قطع الرؤوس بالسكين أو آلات القطع الحادة، كما حصل للمقاول الاميركي نيكولاس بيرغ في 11 مايو 2004، مع الأخذ في الاعتبار ملابسات اعتقاله من قبل الشرطة العراقية وتسليمه للقوات الأميركية في العراق في 25 مارس من العام نفسه ثم الاعلان بصورة مفاجئة عن نحره على يد الزرقاوي.

وقد تكرّرت حالات النحر في عملية الخبر سالفة الذكر حسب النشمي، إذ تمّ قطع عدد من الرؤوس، وبحسب النشمي (وجدنا نصارى فلسطينيين فنحرناهم وأهديناهم إلى إخواننا المجاهدين في الفلبين، ووجدنا مهندسين هندوس فنحرناهم أيضاً ولله الحمد، وطهرنا أرض محمد صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم من كثير من النصارى والمشركين). ولعل المثاليين الأشد بشاعة، وفق ما جاء في رواية النشمي، نحر قائد المجموعة لسويدي وإيطالي: (وجدنا علياً سويدياً فقطع رأسه الأخ غر ووضعوه عند البوابة لكي يراه الداخل والخارج !!) اما الرهينة الايطالي الذي تحدّث إلى قناة (الجزيرة) من مبنى مجمع الحزام الذهبي في مدينة الخبر فقام غر البقمي بنحره.

ما يلفت في حديث النشمي هو ذلك اليقين الإيماني المؤسّس على الفصام التام بين ماهو جريمة مكتملة الأوصاف، وبين ماهو إطمئنان نفسي للمكافأة الإلهية الموعودة من ورائها، كما يكشف عنه النص التالي: (والله يا إخوان أكبر كرامة هي السكينة والهدوء الذي أنزله الله علينا وثبت

قلوبنا به، سبحان الله نكاد نحلف بالله أننا في نزهة وليس بين أهوال تضطرم، تخيل أن النعاس لم يفارقنا منذ بداية العملية فاللهم لك الحمد، ثم الفضل الإلهي الكبير علينا بهذا الإثخان وبهذا الانتصار..، يذكر ذلك ويستحضر في الوقت نفسه ما يعتقد سيرة الصحابة والسلف والذي كان يهون عليه هول المواجهات..!

يلج أفراد المجموعة على تقديم أنفسهم كإمتداد للخط الرسالي الاول، وهم الممثلون الشرعيون للجيل المؤسس للإسلام. ولا يمكن فصل ما يقوله النشمي عن خلفيته العقيدية السلفية التي تصنف ضحاياها في خانة الكفار، بينما تصنفه عضواً في «الطائفة المنصورة».

وفي 1 أيار (مايو) 2004، نفذ أربعة عناصر وهما شقيقان مع خالیهما الشقيقين أيضاً، أحدهما وهو مصطفى الأنصاري وصف أنه «أحد قدامى المحاربين في أفغانستان»، على حد صحيفة (الشرق) السعودية في 29 يناير 2012، حيث شارك في القتال في أفغانستان قبل خمسة عشر عاماً من تاريخه، بتنفيذ عملية مسلحة باقتحام مجمع شركة ينبت للبتروكيماويات في مدينة ينبع الصناعية، بعد أن سهّل ثلاثة منهم عملية دخول شقيقهم الرابع الذي كان يحمل السلاح والمتفجرات إلى داخل المجمع بحكم عملهم في نفس المجمع. وقتل خمسة من العمال الأجانب: أميركيان، بريطانيان، وأسترالي. ثم قاموا بإطلاق النار بصورة عشوائية داخل المنطقة السكنية للهيئة الملكية في ينبع، كما ألقوا عدداً من القنابل اليدوية شديدة الانفجار على محلات تجارية، إضافة إلى إطلاق النار على سيارات للأجانب المتجهين إلى أعمالهم، وأسفرت العملية عن مقتل ستة أجانب ورجل أمن، وخمسة من الموظفين في الشركة، و22 رجل أمن إضافة إلى المنفذين الأربعة وإصابة أكثر من عشرين آخرين.

وأفاد أحد أشقاء منفذي عملية ينبع، مصطفى الأنصاري، أنه شاهد سحل أحد ضحايا العملية الإجرامية في ينبع، مؤكداً أنه لم يستوعب هول ما

شاهد، وقال: «لم أصدق ما رأيت من هول الصدمة، ولم تعد لي ذاكرتي ولم أستوعب ما حدث إلا بعد دخول السجن».

نلفت إلى أن الأنصاري غادر المملكة السعودية إلى أفغانستان في العام نفسه الذي هاجر فيه أبو مصعب الزرقاوي إليها.

وكانت تقارير كشفت عن أن مصطفى عبد القادر عابد الأنصاري حارب في معارك تورا بورا إلى جانب زعيم «القاعدة» أسامة بن لادن ونائبه أيمن الظواهري، وسيف العدل المسؤول العسكري للتنظيم، قبل أن ينجح في الفرار إلى الشريط الحدودي ومنه إلى باكستان التي عاش فيها لفترة قصيرة قبل أن يفر إلى اليمن واعتقل هناك مع مجموعة من عناصر في «القاعدة»، كما حارب الأنصاري في «البوسنة» قبل أن ينتقل إلى بريطانيا العام 1993 ثم غادرها عام 1997 إلى أفغانستان. وكان مطلوباً لدى السلطات الأميركية منذ العام 2002 حين كان يحارب في تورا بورا وخلال احتجازه في اليمن.

في اعترافات عناصر (خلية ينبع) ما يفيد بعلاقة وثيقة بينها وبين «جماعة التوحيد والجهاد» بقيادة الزرقاوي. وقد جاء في إضارة الاعترافات: «أنهم قاموا بهذه العملية انتقاماً من الجيش الأمريكي الذي كان يطبق حصاراً على الفلوجة قبل أن تشتبك مع «جماعة التوحيد والجهاد» بقيادة أبو مصعب الزرقاوي وعمر حديد في معركة الفلوجة الأولى، التي أرغمت القوات الأميركية على الخروج منها»..

في 20 سبتمبر 2004، بثت قناة الجزيرة القطرية مقطعاً مصوراً يظهر شخصاً، قالت جماعة (التوحيد والجهاد) في بيان لها أنه أبو مصعب الزرقاوي. وكان الأخير يتلو بياناً قبل أن يقوم بقتل الرهينة الذي يدعى يوجين أرمسترونج. وقال أن الجماعة تعتزم قتل باقى الرهائن تبعاً إذا لم تتم الاستجابة لمطلبها باطلاق سراح السجينات العراقيات في السجون الامريكية.

وعليه، رسم الزرقاوي لنفسه إستراتيجية عمل لا تنسجم، بالضرورة، مع توجهات قيادة «القاعدة»، ولكن الأخيرة كانت تكتفي بـ «نصيحة السر» كي لا يطلع خصومها على خلافاتها ونقاط ضعفها، ومن ذلك قتال المدنيين من كل الطوائف، والمطالبة بتركيز وجهة السلاح نحو «العدو المفضل» أي الولايات المتحدة، إلا أن الزرقاوي جعل من قتال الشيعة مقدماً وأولوية.

مذاك، بدأ الزرقاوي ينفرد بعمليات الذبح والقتل، واقترفت تنظيمات «مجلس شورى المجاهدين» الذي شكّله الزرقاوي جرائم كبيرة في العراق، حيث قامت بحملة اغتالات مع التنكيل والتمثيل والحرق وتنفيذ تفجيرات متسلسلة في المنشآت والأماكن العامة، وفي الأسواق والشوارع والمدارس وحتى رياض الأطفال واستهداف دور العبادة من مساجد وحسينيات وكنائس وغيرها.. وما يلفت في هذه العمليات كان مشاركة صغار السن من «المهاجرين» القادمين من السعودية وليبيا واليمن وتونس وغيرها.

وعلى مدى اربع سنوات بعد سقوط بغداد، أي في الفترة ما بين 2003 - 2007 بدا في حكم المؤكد تفوق العنصر السعودي في العمليات الانتحارية في العراق. وأفادت تقديرات صدرت في آذار (مارس) 2005 أن الانتحاريين من الجنسية السعودية يمثلون 61 بالمئة من منفذي العمليات الارهابية في العراق. وهو ما توصل اليه القادة العسكريون الأمريكيون بعد الغارة على مخيم سنجار بالقرب من الحدود السورية في أيلول (سبتمبر) 2007 حيث حصلوا على وثائق تؤكد أن 60 بالمئة من الانتحاريين كانوا من السعوديين والليبيين، وكان نصيب السعوديين 40 بالمئة⁽¹⁵⁾. وكان يقوم إعلام «المجلس» على توثيق جرائمه، بدءاً من لحظة تجهيز الانتحاريين ورسائلهم المسجلة وانتهاء بالتنفيذ، ومن ثم نشر هذه الفيديوهات عبر الانترنت.

(15) فؤاد ابراهيم ، السلفية الجهادية في السعودية، ص 134

وعليه، نجح الزرقاوي، بعد اعلان البيعة لابن لادن، في استقطاب عدد كبير من الأنصار من دول الجوار الذين فضّلوا التعاطي معه بصورة مباشرة لدوره الفاعل وحضوره الميداني شبه الظاهر، وصعد من مستوى عملياته ونوعيتها وراحت التنظيمات الفرعية التابعة إسمياً وشكلياً للقاعدة تميل إلى التنسيق مع الزرقاوي والعمل تحت قيادته. وثمة من يؤكد على دور فاعل لعبه القياديان في «تنظيم القاعدة في جزيرة العرب» عبد الله الرشود وأبو الليث النجدي، وإسمه الحقيقي سليمان بن أحمد الغنيم، ويوصف أنه من «الرعيّل الأول من المجاهدين في أفغانستان» في تشجيع الزرقاوي على مبايعة القاعدة وتسوية الخلاف بينه وبين بن لادن والظواهري.

الشيخ عبد الله بن محمد بن راشد بن محمد الرشود السبيعي، مواليد عام 1973 في جنوب الرياض، تخرّج في جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية سنة 1990، وتفرغ للعمل في الدعوة نهاية العام 1999، وبقي مطارداً لمدة عامين ووصف هذه المرحلة بقوله «والذي نفسي بيده إني لأرى شخصي أقل قدراً من أن يكرمني الله عزّ وجلّ بهذا الواقع السعيد الذي أعيشه في ظل مطاردة أعداء الدين».

هاجر الرشود بعدها إلى العراق والتحق بـ «تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين» بقيادة الزرقاوي في أيار (مايو) 2005، وشارك في القتال ضد القوات العراقية والأميركية ولكنه قتل في المعارك، وقتل معه أبو الليث النجدي، سليمان الغنيم رفيق دربه في الهجرة إلى العراق، وقتل معهم أيضاً أبو الغادية الشامي الذي أرسله أبو مصعب الزرقاوي لاستقبالهم. وفي 23 حزيران (يونيو) 2005 أصدر الزرقاوي بياناً نعى فيه عبد الله الرشود، وصفه بـ «علم من أعلام الخير والجهاد والعلم» وأنه «خرج من جزيرة العرب، إلى ساحات الجهاد والوغي في بلاد الرافدين حيث كتبت منيته على تلك الأرض».

وهكذا صعد نجم الزرقاوي وبات الزعيم الأسطوري للجهاديين، وتحول تنظيمه إلى مركز الجاذبية لكل مجموعات السلفية الجهادية الناشئة، وجسّد ذلك عملياً، من خلال تشكيل «مجلس شوري المجاهدين» برئاسة ابو عمر البغدادي، واستمر لما يقرب عشرة أشهر أي إلى ما بعد مقتل الزرقاوي بأربعة أشهر، وكان مؤلفاً من: تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين، جيش الطائفة المنصورة، سرايا الاهوال، سرايا الجهاد الاسلامي، سرايا الغرباء، سرايا أنصار التوحيد، وجماعات صغيرة أخرى.

وفي 15 تشرين أول (أكتوبر) سنة 2006 أعلن المتحدث الرسمي باسم «مجلس الشوري المجاهدين» أبو عبد الله الجبوري عن تأسيس «دولة العراق الاسلامية» وتضم كل من بغداد والانباء وديالا وكركوك وصلاح الدين ونيوى وأجزاء من محافظتي بابل وواسط، وذلك ردّاً بحسب الجبوري، على «دولة» الأكراد في الشمال و«فيدرالية» الشيعة في الوسط والجنوب.

ولكن سوف يظهر بعد اعلان التشكيلة الوزارية للدولة الاسلامية في العراق، وتالياً في العراق والشام، وصولاً إلى الدولة الاسلامية تحت إمرة ابو بكر البغدادي أن ثمة انشعاباً وقع في تيار السلفية الجهادية، وبتنا أمام خطّين: الخط الجهادي العراقي بنزوعه الوهابي المتطرّف، والخط الجهادي الأفغاني بتنوّعه الفكري والفقهى والعقدي. فبينما تمثل العقيدة الوهابية في الخط الجهادي العراقي مرجعية وحيدة ومطلقة، كان الجهاد الأفغاني يضمّ في صفوفه مزيجاً من الانتماءات الكلامية سلفية، صوفية، ماتريديّة، ديوبندية، ومذهبية: حنفية، شافعية، حنابلة. وفي نهاية المطاف، تبادل قادة الفريقين الاتهامات على أساس أيهما أقرب إلى روح الجهاد، وإلى الجيل المؤسس للقاعدة.

في 19 نيسان (إبريل) 2007 أعلن وزير الاعلام في تنظيم «دولة العراق الاسلامية» محارب عبد اللطيف الجبوري (قتل في مايو 2007) عن التشكيلة الوزارية الأولى لدولة العراق الإسلامية، وتمّت المصادقة عليها من

قبل مجلس شوري «الدولة»، وهي أول «حكومة إسلامية تكفر بالطاغوت وتؤمن بالله وتجاهد في سبيله لتُحْكَم شرعه بعد عشرات السنين من سقوط خلافة الإسلام وضياعها» حسب قوله. فكان أبو عمر البغدادي أمير المؤمنين للدولة، وأبو عبد الرحمن الفلاح، وزيراً أول له، وأبو حمزة المهاجر (عبد المنعم عز الدين علي البدوي)، وزيراً للحرب، أبو عثمان التميمي، وزيراً للهيئات الشرعية، أبو بكر الجبوري، وزيراً للعلاقات العامة، أبو عبد الجبار الجنابي، وزيراً للأمن العام، أبو محمد المشهدي، وزيراً للإعلام، أبو عبد القادر العيساوي، وزيراً لشؤون الشهداء والأسرى، أبو أحمد الجنابي، وزيراً للنفط، مصطفى الأعرجي، وزيراً للزراعة والثروة السمكية، أبو عبد الله الزيدي، وزيراً للصحة⁽¹⁶⁾.

أول ما يلفت في التشكيلة الوزارية غياب منصب وزير الخارجية، ما يعزز النزعة الانعزالية والعدائية تجاه الدول الأخرى. من المنطقي أن يغيب مثل هذا المنصب، لأن الدولة التي أقامها البغداديان وأنصارهما، ليست معنية ببناء علاقات تقوم على مبدأ حسن الجوار، والتعاون المشترك، أو حتى إبرام اتفاقية عدم اعتداء، بل على العكس من ذلك هي دولة مصممة للتوسع وإسقاط الدول واحتلالها.. إن توصيم «داعش» للدول والجيوش بالكفر ينطوي على نية عدوانية مبيتة، كما تملي ذلك العقيدة الوهابية، وهذا يجعل التنظيم في حال حرب مفتوحة مع العالم بأسره. وفي نهاية المطاف، فإن الدولة التي أنشأها التنظيم لا تعدو كونها إطاراً لتنظيم حروبه ضد الآخرين..

على أية حال، تباينت ردود الفعل على إعلان التشكيلة الوزارية، وكان لدى قادة «القاعدة» موقف سلبي منها، كونها تمثل خروجاً على القيادة الشرعية الممثلة في أسامة بن لادن. وهناك من شكك في الطريقة التي انتهى إليها إعلان الدولة وتالياً التشكيلة الوزارية فيها.

وكتب القاضي السابق في تنظيم «القاعدة في بلاد الرافدين» وقاضي «الدولة الإسلامية في العراق» لاحقاً، قبل عزله، الشيخ السعودي الوهابي أبو سليمان العتيبي وأسمه الحقيقي محمد الثبتي كتب رسالة لأسامة بن لادن في أيار (مايو) 2007 إنتقد فيها إعلان الدولة الإسلامية في العراق، وقال أن الإعلان لم يتم بناء على «مبايعة جماعات مجلس شوري المجاهدين لتنظيم القاعدة ثم مبايعة شيوخ العشائر بحلف المطيعين..» وإنما مبايعة رؤوس الجماعات كـ «سرايا الجهاد وسرايا الغرباء وجيش أهل السنة وكتائب الأهوال وجيش الطائفة المنصورة...»، وقال عنهم: «وهم أناس لا علاقة لهم بالجهاد الحقيقي في الساحة بل منهم من لم يحمل السلاح في حياته كلها ومنهم من ليس له أتباع أصلاً وإنما هي أسماء مجرّدة، فبايعوا واشتروا إما بلسان الحال أو المقال أن يتولوا مناصب في هذه الدولة التي ستعلن..»، ونفى أن يكون شيوخ العشائر المعروفين قد بايعوا «الدولة».

ووجه العتيبي (أو الثبتي)، إتهاماً صريحاً لنائب البغدادي، أبو عبد الرحمن الفلاح، بالفساد المالي حين كان أمير تنظيم (سرايا الجهاد)، منها سرقة شاحنات محملة بالبضائع وبيعها على أنها «غنائم» من أموال الشيعة، ثم تبين أنها أموال لسنة، وبزّر ذلك أنها دينٌ للدولة الإسلامية. ويعلق الثبتي «فلما طالبت به بإحصاء الدين وجدنا أن الدين لا يصل إلى قيمة شاحنة واحدة فضلاً عن ست وعشرين شاحنة، فقال لي هذا الرجل - وهو نائب أمير المؤمنين - لقد أخذت هذا المال تعزيراً لأن عندي أمراً من أبي حمزة بأخذ أي أموال للتجار تذهب إلى بغداد...».

ويذكر الثبتي السبب الرئيسي في ضعف دور «الدولة» هو غياب أبي حمزة المهاجر عن الساحة. وقلل الثبتي من أهمية أبي عمر البغدادي «فهو لا يعرف عما يدور حوله ويكتفي بآراء من حوله ولا يعارضهم في شيء ألبتة...». ومن الأمثلة «تغاضيه بل مدهنته ودفاعه عن المدعو أبو أسامة - أبو عبد الرحمن الفلاح - حينما دافع مستميتاً وهو نائب أمير

المؤمنين، عن المجرمين [...] وادّعى أن هؤلاء أبرياء وأن رجال التنظيم ظلمة في إقامة حكم الله فيهم، «وجريمة هؤلاء هي العمالة والتجسس على هيئة شبكة الزنا واللواط بإعترافهم».

وتحدّث الثبتي عن الأخطاء العقديّة في «الدولة» من بينها «الفهم الخاطئ عندهم لبعض أشراف الساعة» ومثال ذلك جزم الفلاحى أن المهدي سيظهر في أقل من عام، وكان هذا في رمضان 1427هـ، مما دعاه إلى القول إننا «سنملك الأرض كاملة في أرض الرافدين في غضون ثلاثة أشهر، فأصدر أمراً بالنزول في الساعات وعدم الانسحاب لمدة أسبوع حتى يأتي الأمر بالانسحاب..»، ونتج عن ذلك اتخاذ قرارات خاطئة على أساس أن الساعة ستقوم غدًا. يؤكّد ذلك ما نقله أبو عبد الله المنصور عن أبي حمزة المهاجر وكلامه عن المنبر الذي أعدّه التنظيم للمهدي لقرب ظهوره وأن جنود «الدولة» هم وحدهم جنود المهدي.

يذكر الثبتي من أخطاء البغدادي ما صرح له به أكثر من مرة بقوله «ما بقي شيء على ظهور المهدي حتى إنه أمر بعض الأخوة أن يصنعوا له منبراً ليرتقيه المهدي في المسجد الأقصى!!!! وآخر لمسجد رسول الله والثالث للمسجد الأموي بدمشق..». ثمّة استدعاء واضح لتجربة جهيمان العتيبي، ودور العقيدة المهدوية في استراتيجية عمل المجموعة.

ومن الأخطاء، حسب الثبتي، إعلان الدولة نفسها ومن ثم التشكيكة الوزارية والالتزام بعلم خاص. وتحدّث الثبتي عن اضطراب أو بالأحرى اختلال الرؤية لدى قادة «الدولة» حول مفهوم الدولة الإسلامية، والفارق بين «إعلان دولة الإسلام أو إقامة دولة الإسلام» والفارق بين «الدولة» و«الإمارة» من منظور شرعي خصوصاً وأن «الدولة بمعنى الإمارة مقامة بإعلان إمارة الطالبان..»، وبالتالي فإنّ ثمّة بيعة معقودة للشيخين الملا محمد عمر وأسامة بن لادن، وهذا رأي أبو حمزة المهاجر قبل أن يتولى إمارة التنظيم (أي بوجود أبي مصعب).

وتحدّث الثبتي عن ملابسات إعلان الدولة، إذ لم تحدد هوية أمير المؤمنين أصلاً وإنما سمّاه باسم مستعار وهو «أبو عمر البغدادي» ولم يحدد شخصه، بل نقل الثبتي جازماً عن المهاجر ما نصّه «يوجد شخص سوف نختبره شهراً كاملاً فإن صلح أبقيناه أميراً للمؤمنين وإلا بحثنا عن غيره».

ومن الأخطاء التي تمس المنهج، بحسب الثبتي، «توليته من لا تبرأ بهم الذمة وليسوا أهلاً للأمانة» من بينهم القاضي الشرعي لمنطقة الكرمة وهو أبو هاجر وقال عنه «فهذا رجل خبيث جداً..وله آراء ضالة قد تصل به إلى الكفر..».

وختم رسالته بالقول إن وضع الجهاد في العراق يتدهور بسبب القيادة «قراية الثمانين بالمائة أو التسعين بالمائة من أبناء تنظيم القاعدة كثير منهم من المهاجرين وكثير من هؤلاء من جزيرة العرب». ويخلص للقول: «وكان حالنا قبل إعلان الدولة أقوى وأمكن أضعاف حالنا الآن».⁽¹⁷⁾

ولكن رسالة أبو سليمان العتيبي وصلت متأخرة إلى بن لادن، كما يكشف عن ذلك قيادي في (جبهة النصرة) وناشط الكتروني من «القاعدة» يدعى (مجاهد خراساني) وهو من الرعيل الأول، وأحد المقربين من أسامة بن لادن والظواهري وأبو خالد السوري. وكتب خراساني على حسابه في (تويتر) في 29 آب (أغسطس) 2014 ما نصّه: «تعتمد أحد المجاهدين تأخير وصول رسالة أبو سليمان العتيبي إلى الشيخ أسامة بن لادن عن الدولة خصوصاً بعد علمه بشريط مدح الشيخ لها»، ويعقب بعد ذلك أن أسامة بن لادن «قام بعزل عدد من الأخوة عن التنظيم بعدما ثبت له تعتمد أحدهم في تأخير رسالة قاضي الدولة له...». وقال خراساني أن بن لادن «ندم على مدح الدولة بعد اطلاعه على رسالة قاضيها السابق وحاول إصلاح ذلك...».

(17) النص الكامل للرسالة على الرابط التالي:

يلفت خراساني إلى عمق الخلاف بين «القاعدة» و«الدولة» في تغريدة له في 12 آب (أغسطس) من العام نفسه بالقول: «خلافنا مع خرافة البغدادي هو خلاف منهجي عقائدي وليس كما يتصور البعض أنه خلاف تنظيمي... هم خوارج وحمقى ومعهم قياديين عملاء...».

مهما يكن، صدر قرار بإقالة أبو سليمان العتيبي (الثبتي) في نهاية تموز (يوليو) 2007 من منصب قاضي «الدولة» واستبداله بأخر عراقي، أبو إسحاق الجبوري. وصدر بيان من مكتب أبي عمر البغدادي أنه قرّر عزل قاضي التنظيم في العراق السعودي أبي سليمان العتيبي، وتعين أبي إسحاق الجبوري قاضياً عاماً مكانه، بحسب ما جاء في موقع أصولي على شبكة الإنترنت. وكان «تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين» أعلن في آذار (مارس) 2007 تعيين محمد الثبتي المكنى بأبي سليمان العتيبي في المنصب. وعُمِّمت صورته وهو ملثم على شبكة الإنترنت. ولم يذكر بيان تنظيم القاعدة في العراق أسباب عزل الثبتي، مكتفياً بالقول أن ذلك تمّ «بناءً على مقتضيات المصلحة الشرعية».

نشير إلى أن أبا سليمان العتيبي القاضي الشرعي لدولة العراق الإسلامية، هو بحسب من كتب سيرته «أفضل طلبة المشايخ الكبار - في السعودية - عبد العزيز الراجحي، وعبد الرحمن البراك، وناصر العمر، وعبد الله السعد، وسعد الحميد، وغيرهم»⁽¹⁸⁾.

وكان مراسل جريدة «الحياة» في الرياض كتب في 28 تموز (يوليو) 2007 تقريراً عن عزل العتيبي من منصبه كقاضي في «دولة العراق الإسلامية» جاء فيه أن «أبا سليمان العتيبي البالغ من العمر 26 عاماً غادر السعودية قبل نحو عام إلى العراق، بعد إكماله دراسته في كلية الشريعة بجامعة الإمام

(18) قاضي المظالم، هل تريد التعرف على سيرة القاضي الشرعي لدولة العراق الإسلامية (أبو سليمان العتيبي)؟ بتاريخ 30 إبريل 2007 موقع بريدة سيتي، الرابط التالي:

<http://www.buraydahcity.net/vb/showthread.php?t=77661>

محمد بن سعود الإسلامية. وعُرف عنه اختلافه إلى مجالس المشايخ مثل صالح المنجد وناصر العمر وعبدالعزیز الراجحي. ونشأ في بيئة محافظة في المنطقة الشرقية حيث عمل والده محاضراً في إحدى الجامعات.

ولكن السلطات السعودية قامت بحجب الجريدة لمدة يومين، ونشر موقع «سي إن إن» العربي خبراً في 29 يوليو من العام نفسه أن السعودية منعت تداول جريدة «الحياة» بعد نشرها تقريراً «حول مواطن سعودي يشغل منصباً كبيراً في تنظيم القاعدة في العراق». ونقلت عن صحافي سعودي قوله: «لقد صادرت (السلطات) جميع النسخ قبل طرحها في الأسواق، وفرضت منعاً لأجل غير مسمى على الجريدة»⁽¹⁹⁾. وقد يعود السبب إلى كون الشيتي تلقى تعليمه الديني في جامعات دينية سعودية وكان مقرباً من مشايخ وهابيين مقربين من السلطة.

بصورة إجمالية، كانت أوساط «القاعدة» تتحفظ على أداء قادة تنظيم «الدولة»، الذين لم تربطهم بالمجاهدين القدامى صلة، وكانوا في الغالب من خريجي المؤسسات العسكرية والأمنية التابعتين لنظام صدام حسين، الأمر الذي فتح باب للنزاع واسعاً خصوصاً وأن تجربة الجهاديين العرب الطويلة يجري خطفها من قبل أناس لاصلة لهم، بحسب رؤية مقاتلي القاعدة، بالجهاد.

«القاعدة» و«داعش»: منازعة المشروعية والهوية

رحلة الفراق بين «القاعدة» و«داعش» بدأت، كما أسلفنا، مع الزرقاوي وتواصلت بعد مقتله، وكانت أولى نقاط الاشتباك تعيين أبو حمزة المهاجر قائداً لتنظيم «القاعدة في بلاد الرافدين» وهو ما رفضته قيادة «القاعدة» في العراق أول مرة، كما رفض العراقيون في التنظيم أن يتولى غير عراقي منصب القيادة، فتشكّل حلف المطيبين الذي أنتج «الدولة الإسلامية في

(19) أزيلت شبكة «سي إن إن» الخبر من موقعها على الشبكة بعد أيام من نشره فيما تناقلت صحف ومواقع مشهورة عديدة الخبر ونسبته إليه.

العراق» بإمامة أبو عمر البغدادي، فيما بايع أبو حمزة المهاجر الأخير وتولى هو إدارة التنظيم ولكن دون أن تكون له سلطة القرار، ومن هناك بدأ «داعش» يستقل تدريجاً عن «القاعدة».

ويمكن التعرف على أوجه الخلاف بين القاعدة و«الدولة» من خلال ما تسرب من أسرار كشفت عنها وثائق «آبوت أباد»، والتي نشرها مركز مكافحة الإرهاب، التابع للأكاديمية العسكرية الأميركية في وست بوينت عقب مقتل أسامة بن لادن في 2 مايو 2011.

الوثائق السبع عشرة المفرج عنها بعد مرور عام على مقتل ابن لادن هي عبارة عن رسائل إلكترونية أو مسودات رسائل تصل إلى 175 صفحة في صيغتها العربية الأصلية و197 صفحة مترجمة إلى الإنجليزية. وتعود الرسائل في أقدمها إلى أيلول (سبتمبر) 2006 وآخرها إلى نيسان (إبريل) 2011، وهو مكتوبة من قبل عدد من القيادات، أبرزهم أسامة بن لادن ومحمود عطية وأبو يحيى الليبي وأيمن الظواهري، ووجهت إلى مختار أبو الزبير وأبي بصير (ناصر الوحيشي) ورسائل إلى قادة الفروع في التنظيم وردودهم.

وفي مقابل تصريحاته العلنية التي تسلط الضوء على جور من يعتقد أنهم أعداء المسلمين، أي الحكام المسلمين وحلفاءهم في الغرب، فإن التركيز في الرسائل الخاصة لابن لادن كان منصباً على معاناة المسلمين على أيدي الأخوة المجاهدين. وسوف نطالع وثائق «آبوت أباد» للوقوف على بعض ما كشفت عنه من خلافاً بين قيادات القاعدة، أو بين القيادة المركزية وقيادات الأقاليم.

على سبيل المثال، تكشف الوثيقة 0016 عن تباين واضح بين «القاعدة» و«الدولة»، إذ يؤكد ابن لادن على ضرورة تفادي الاصطدام مع الحكومات المحلية عبر اعلان امارات اسلامية لم تنضح شروط نجاحها، والتشديد على

بناء مقومات الجهاد. ويتحدث بن لادن عن الفارق بين جيلين في القاعدة، ويفرق بين «الاخوة الكبار» الذين تشبّعوا سياسة القاعدة وجيل جديد من الشباب الذين «انضموا إلى مسيرة الجهاد ولم تتم توعيتهم بهذا الأمر مما يؤدي إلى القيام بعمليات فرعية بدلاً من التركيز على الأصل» أي الاشتغال بالعدو الأكبر الخارجي وليس الداخلي..

يسدي بن لادن بألم نصائح إلى قادة الفروع بوقف الهجمات المحلية التي تتسبب في ضحايا مدنيين من المسلمين والتركيز على الولايات المتحدة (هدفنا المفضل) حسب وصفه. الإحباط الذي أصاب بن لادن من المجاميع الجهادية المحلية وعجزه عن السيطرة على أعمالها وعلى تصريحات قياداتها العلنية هي القصة الأكثر إثارة والتي يجب أن تروى في ضوء الوثائق المفرج عنها، وهو الجانب المغفول عنه في حياة زعيم التنظيم.

تبدي الرسائل جانباً من المحنة التي عاشها بن لادن في السنوات الأخيرة من حياته، فكان يشعر بالعزلة فلا سمع ولا طاعة لأوامره ونواهيه. وفي الواقع، إن هذه المحنة بدأت ملامحها تتبدى منذ أن سعى أبو مصعب الزرقاوي لأن يرث القيادة منه وهو على قيد الحياة، فصار يمارس دور القائد العام للتنظيم، فيما بقي بن لادن ورفيقه أيمن الظواهري في عزلة شبه تامة عن الأغلبية الساحقة من الكوادر القيادية في التنظيم باستثناء قلة محدودة جداً جرى التواصل معها عن طريق قنوات وترتيبات معقدة للغاية، واشتد الخناق على حركة بن لادن في السنوات الأخيرة، بعد أن بدأت التنظيمات القاعدية الفرعية تمارس ما يشبه دور الإمارات المستقلة، فكل تنظيم يقوده أمير ويتصرف بوصفه المرجعية النهائية على حساب دور القيادات العليا في التنظيم الأم.

أحد الأسباب التي يمكن أن نعزوها إلى هذه الفجوة هو بروز قيادات فرعية لم ترتبط بالقيادة العليا لشبكة «القاعدة» في أفغانستان، وبعضها

لم يزر هذا البلد الا لبرهة من الزمن، وعليه لم يكتسب وسم (قدامى المجاهدين)، الذين إمّا قرّروا الانسحاب من العمل القتالي كرد فعل على تبدّل إستراتيجية العمل لدى (القاعدة) أو أن القيادات الشابة فرضت نفسها على التنظيمات الفرعية في غفلة من الجيل الأول أو انهماكه في مهمات أخرى قتالية أو لوجستية، والبعض الآخر وهم الأغلبية التحقوا بتنظيم «الدولة»، وتحديدأ بعد تولي الزرقاوي قيادة تنظيم القاعدة إسمياً، فيما كان رفاق دربه يستعدّون لمشروع مستقل.

نتوقف هنا عند الملاحظة الجوهرية التي وردت في رسالة المناصحة التي وجهها أبو محمد المقدسي الى «داعش» ولفت فيها الى تركيبة الأخير وخاطب القائمين عليه بأن ينصحو أنصارهم والمتعصّبين من كتابهم «الذين نزلوا عليكم بالمظلات، وما كانوا يوماً في العير ولا النفير، فما كانوا من أنصار هذا المنهج أو انتسبوا إليه، ولا تعبوا في الدعوة إليه أو ابتلوا في سبيل نصرته، ولم يدفعوا من أعمارهم شيئاً لنصرته..»، وقال بأن أكثرهم «لا يهتمهم حرق أبناء هذا التيار وجهاده أو دحر وإهدار ثمراته..»، لأنهم لم يشاركوا في المشروع الجهادي منذ بدايته ولم يثروا تجربته.

يصف المقدسي هؤلاء بأنهم «يطعنون في النوايا ويكذبون ويفترون، فلا أبقوا كبيراً إلا وشتموه، ولا عالماً إلا وحقّروه، ولا شعبة إلا وتناولوا عليه، أخلاقهم ذميمة، وإساءاتهم عميمة، ينوحون عليكم، زعموا»⁽²⁰⁾.

في ظل ثورات الربيع العربي وصعود «الاخوان المسلمين» كبديل في أكثر من بلد عربي وفي مصر وتونس على وجه الخصوص، أجرى بن لادن تعديلاً تكتيكياً على طريقة تعاطي التنظيم مع الأحزاب والقوى السياسية الدينية في الدول العربية. يذكّر بن لادن رفاقه دربه (في الأقاليم بأهمية التحلي

(20) أبو محمد المقدسي، رسالة مناصحة للعقلاء من أنصار الدولة الإسلامية في العراق والشام ومناصرة لها ضد الصليبيين والمتردين، 7 سبتمبر 2014، منبر التوحيد والجهاد، انظر الرابط:

<http://www.tawhed.ws/r?i=07091401>

بالمكث والأناة ونحذرهم من الدخول في أي مصادمات مع الأحزاب المنتسبة للإسلام..)، وتتميز ما يجري لصالح التنظيم: (وواجبنا في هذه الفترة أن نهتم بالدعوة بين المسلمين وكسب الأنصار ونشر الفهم الصحيح فالأوضاع الحالية أتاحت الفرص بشكل لم يتح من قبل..). وهنا يبدو الاختلاف واضحاً بين «القاعدة» و«داعش» الذي أبقى على «تكفير الأحزاب الدينية والحكومات والجيش والرؤساء بمن فيهم محمد مرسي في مصر وراشد الغنوشي في تونس وغيرهم.

الخلاف بين «القاعدة» و«داعش» أخذ أبعاداً أخرى، إذ انتقل نزاع المشروعية من مستوى القيادة ومن هو الأولي بالإتباع الى مستوى العقيدة، أي الإيمان والكفر. يتناقل كواد «داعش» مقطع فيديو لابن لادن بعنوان (الكلمة الأخيرة للشيخ أسامة بن لادن - للثورات العربية)⁽²¹⁾. عدّ «داعش» الكلمة على أنها «دليل كفر بن لادن والقاعدة ومن شاكلهم على عقيدتهم». المقطع كما حلّله أحد موقع عقدي تابع للتنظيم يشتمل على ما يحسبها «مخالفات شرعية»، وهي: أن الثورات العربية في تونس ومصر ثورات إسلامية ومن مات فيها شهداء، وأن كل الشعوب العربية على الاسلام حتى دول آسيا من اندونيسيا وماليزيا وباكستان وغيرها، أن كل حاكم لا يوالي أمريكا فهو مسلم حتى وان كان صوفياً وداره دار إسلام مثل: السودان وأن دار الاسلام بشعوبها وليس بحكامها، وأن المقاومة الفلسطينية مثل حماس وفتح مسلمين والشعب الفلسطيني كله مسلم وقادة الاحزاب مسلمين امثال احمد ياسين وعبد العزيز الرنتيسي شهداء، إن شعب العراق كله مسلم، وأنه وقادة «القاعدة» لا يكفرون من لم يكفر المشركين، وإن الشعوب العربية مظلومة ومسكينة ويحزن عليها.

(21) كلمة بن لادن على يوتيوب بعنوان (الكلمة الأخيرة للشيخ أسامة بن لادن - للثورات العربية) على الرابط التالي:

http://www.youtube.com/watch?feature...&v=K_Ldd9vJEzY

ويرد «داعش» على هذه المقولات بتكفير الشعوب العربية وقال «الشعوب العربية الآن كلها على الكفر إلا من ثبت اسلامه»، وأرجع السبب إلى أن «عقيدتهم ليست سليمة، ولم يعرفوا شيئاً من الإسلام». وأن «أكثر الناس عقائدهم اليوم صوفية أو إرجائية أو شيعية أو شافعية أو حنفية أو مالكية داخل عليها الشرك، وأكثرهم مشركون وهم لا يعلمون. وهم في الكفر من قرون عديدة وليسوا مرتدين». وأن الحكام كلهم كفار لأنهم لا يحكمون بشرع الله. وأن دار الاسلام فقط «هي التي تعلوها أحكام الإسلام وإن كان جمهور أهلها كفاراً..». وأن أحزاب المقاومة الإسلامية «عقيدتهم باطلة لانهم على مذهب الإرجاء الكافر الذي يقر بإسلام الكل حتى الشيعي والمشرک عندهم مسلم، والشعب الفلسطيني أيضاً على عقيدتهم الباطلة». وأما الشعب العراقي فهم «كفار محاربون كانوا يحاربون دين الله ويحاربوننا ويسبون الدين..».

والنتيجة: أن بن لادن حارب دين الله أشد من اليهود، لأنه غير عقائد الناس إلى الباطل وهيج أعداء الله علينا ليحاربونا ليل نهار ويضيّقوا علينا⁽²²⁾.

في رسائل بن لادن نصائح كثيرة لعناصر القاعدة في اليمن والعراق والصومال والمغرب، مما يكشف عن تباينات في التوجهات فيما يحاول هو الحد من النزعة المتطرفة المتعاطفة لدى المجموعات العاملة في تلك البلدان، وبلغة لا تخلو من حسرة وحرقة، الأمر الذي يعكس الشعور بالإحباط إزاء المنتسبين للتنظيم والذين يحملون إسمه ويخالفون توجيهاته..

من بين الموضوعات الخلافية بين بن لادن والتنظيمات الفرعية العمليات القتالية داخل حدود الدول العربية والاسلامية التي لم تقع تحت الاحتلال

(22) وضع الرد في موقع بعنوان (التوحيد الخالص)، وبالرغم من محاولة طمس هوية الجهة التي تقف وراءه، إلا أن بصمات «داعش» واضحة على الموضوعات والأبحاث والفتاوى وحتى الأشخاص المشاركين فيه. انظر مقالة عبد الكريم العراقي على الرابط:

<http://www.twhed.com/vb/t3727.html>

الاميركي. فمثلاً في الرسالة السابعة عشرة، بدا واضحاً أن بن لادن لا يميل إلى أن يزج نفسه وأهله في اليمن في هذا الوقت قبل (أن تتهياً الأوضاع..)، ورأى أن (تبقى اليمن هادئة، وإننا ندخرها كجيش احتياطي للأمة.. مع استمرار استنزاف العدو في الجبهات المفتوحة، إلى أن يصل العدو إلى مرحلة الضعف التي تمكننا من إقامة دولة الإسلام..). وبناء على ذلك، كان بن لادن يميل إلى إبرام هدنة مع النظام اليمني:

«فالرأي عندنا أن توسطوا كبار العلماء وشيوخ القبائل في السعي للاتفاق على هدنة منصفة تساعد على استقرار اليمن، رغم علمنا أن علي عبد الله صالح قد لا يستطيع الموافقة على الهدنة، فإن رفضت الحكومة الهدنة فسيظهر أنها هي المصرة على تصعيد الأمور المؤدية للقتال، وأن أمرها ليس بيدها، وبذلك يكون تعاطف الشعب مع المجاهدين مستمراً وبشكل أكبر، ويتحمل الخصم مسؤولية تبعات الحرب وليس نحن ويظهر للناس أننا حريصون على وحدة الأمة الإسلامية وسلامة المسلمين بأسس سليمة».

هنا يبدو التباين بين توجيهات بن لادن وما يجري على الأرض، في وقت يواصل فيه «تنظيم القاعدة في جزيرة العرب» عملياته القتالية ضد النظام اليمني وضد القوى السياسية والاجتماعية التي تختلف معه سواء في الشمال أو الجنوب:

«وبما أننا لا نرى التصعيد لأننا ما زلنا في مرحلة إعداد فليس من المصلحة التسرع في العمل على إسقاط النظام فهو رغم رذته وسوء إدارته إلا أنه أخف ضرراً ممن تريد أمريكا استبداله بهم. فعلي عبد الله عاجز عن قمع النشاط الإسلامي وكونه رجلاً غير إسلامي وموالياً للغرب كان بمثابة مظلة للنشاطات الإسلامية طيلة السنين الماضية، فاستفاد من ذلك الاخوان والسلفيون والسلفية الجهادية. فبقى الإستمرار في استنزاف أمريكا من خارج اليمن، كذهاب بعض العناصر إلى الصومال أو إلينا، ومنها ينطلق

الاخوة إلى العمليات الخارجية، وفي حالة لم توافق الدولة على الهدنة والمصالحة تركزون على الإخوة اليمنيين المغتربين القادمين في إجازات، ويمتلكون فيزة أو جنسية أمريكية للقيام بعمليات داخل أمريكا، شريطة أن لا يكونوا قد أعطوا عهداً لأمريكا بعدم الاضرار بها، كما ينبغي توسيع دائرة العمل وتطويره في التخطيط للعمليات وتطويرها وأن لا نحصر أنفسنا في تفجير الطائرات هناك فقط».

في هذا المقطع، بدا واضحاً أن بن لادن يميل إلى نقل العمليات القتالية إلى الولايات المتحدة ووقف المواجهات المسلحة مع النظام اليمني، بل وافساح المجال أمام علي عبد الله صالح للبقاء لأن في ذلك تقوية للجماعات الإسلامية. وهنا يبدو أيضاً الاختلاف شديداً بين «القاعدة» و «داعش» إذ يميل الأخير إلى تشكيل إمارات دينية في كل مكان يمكن له أن يحقق فيه مبدأه، أي تطبيق الشريعة، بينما يتمسك بن لادن بحسب وثيقة 0016 بحصر القتال ضد الولايات المتحدة، فالقاعدة إنما «تميزت في تركيزها على العدو الأكبر الخارجي قبل الداخلي وإن كان الأخير أغلظ كفراً إلا أن الأول أوضح كفراً كما أنه أعظم ضرراً في هذه المرحلة، فأمریکا هي رأس الكفر فإذا قطعه الله لم يعص الجناحان..».

يكشف بن لادن عن سر استقلال التنظيمات الفرعية بالقرار، والمؤلفة من عناصر التحقت بالتنظيم في مرحلة متأخرة، ولم تتشرب مبادئ القاعدة في وجوب حصر القتال ضد الولايات المتحدة، إلى درجة أن أخبار العمليات الفرعية تصله عن طريق وسائل الاعلام الخارجية، الأمر الذي يعني أنه لم يعد مرجعية عليا للتنظيم، وليس هو المرجعية في القرار.

فكرة بن لادن في الدعوة إلى التركيز على أمريكا (ساق الشجرة) حسب قوله، يتلخص في الهدف التالي (أن نشر الساق سيؤدي إلى تساقط الفروع الواحد تلو الآخر..). هذه الاستراتيجية التي يلخصها بن لادن تؤسس لتطلع بعيد المدى: (فيجب أن نضع نصب أعيننا في هذا الوقت أن ترتيب العمل في قيام

الدولة المسلمة يبدأ من إنهاك الكفر العالمي فإن لديه حساسية قصوى من قيام أي إمارة اسلامية..). ولذلك يذكر المقاتلين في القاعدة بما يلي:

«وتعلمون أن كثيراً من الجماعات المجاهدة التي أصرت على البدء بالعدو الداخلي قد تعثرت مسيرتها ولم تحقق أهدافها كالإخوان المسلمين في سوريا.. وكذلك في محاولة الجماعة الاسلامية في مصر وجماعة الجهاد وكذلك الإخوة في ليبيا وفي الجزائر ومثل ذلك في جزيرة العرب رغم أن العمل كان على بعض المراكز الأمريكية وليس لإسقاط الدولة وقد حقق فوائده من أهمها إخراج قواعدهم الكبرى من بلاد الحرمين، وكذلك توعية الناس بعبقيرة الولاء والبراء وانتشار روح الجهاد بين الشباب ثم ما لبث العمل العسكري أن تعثر للأسباب السابق ذكرها».

ونبه إلى خطورة المواجهة مع المجتمعات المحلية، وارتداداتها السلبية على شعبية «القاعدة»، ويذكر في هذا الصدد ضرب بعض أبناء قبائل الأنبار في العراق، وهم في غير حالة قتال مع عناصر القاعدة «وإنما كانوا في تجمع للإكتتاب في قوى الأمن» فأدى ذلك إلى رد فعل غاضب من قبل القبائل ضد جهاديين القاعدة. وكما يظهر من هذه الفقرات أن بن لادن يوجه نقداً لأداء الزرقاوي في العراق، والذي كان مسؤولاً بصورة مباشرة عن مقتل عدد كبير من أفراد قبائل الأنبار، وهو من دفع الأخيرة للإنخراط في (الصحوات) التي نشأت حصرياً لمواجهة «القاعدة» وعناصرها.

حذر بن لادن من الإسراف في استخدام لغة التكفير من قبل قيادات التنظيم، ونبه إلى خطورة (مزلق التشدد والتكفير بلا ضوابط شرعية) وقال: «بدأ ينتشر في الشبكة العنكبوتية مصطلح: منهج السلفية الجهادية، فيقال فلان ليس على منهج السلفية الجهادية ونحوه، وهذا أمر في غاية الخطورة، وخصوصاً مع بداية ظهور رموز من هذا التيار المنسوب إلينا

يتبنى أقوالاً في غاية التشدد والقطعية في مسائل اجتهادية ظنية، وأصبح على ضوء ذلك يميز الناس ويصنفون بطريقة لا يظهر أنها بريئة من أيدي أجهزة الأمن والمهندسين...».

وفي لحظة بدا فيها بن لادن ناقداً بشده لأولئك الذين يفرطون في الشعور بالتميز السلفي ونفي الآخر، يقول لهم:

«فلسنا حكرأً على السلفيين ولا على مقلدة المذاهب بل ننتسب لكل الأمة ونستشهد بكل علمائها وفق إصابتهم للحق بدليله وليس عندنا في ذلك أدنى غضاضة، ولسنا في منأى عن أتباع المذاهب المسلوكة وإن تسنموا التقليد ولا السلفيين وإن امتطوا صهوة الاجتهاد، والكل من الأمة، والكل يؤخذ من قوله ويترك...».

وهنا يكشف ابن لادن عن تسامح إزاء المذاهب الأخرى، ويناقض منهج «الدولة» في تعاطيها مع المذاهب الأخرى. وفي الوقت نفسه دعا إلى تطوير خطاب القاعدة على (أن يكون هادئاً رصيناً مقنعاً سهلاً واضحاً ملامساً لقضايا الجماهير ومعاناتهم لا ينفر جماهير الأمة والرأي العام..). وهنا يحاول بن لادن إقناع عناصر التنظيمات الفرعية بالنأي عن مصادمة القوى الأخرى العاملة في الساحة وعلى رأسها حركات الإسلام الساسي.

ونتوقف هنا عند رسالة على درجة كبيرة من الأهمية، من أحد رفاق الدرب لابن لادن من الرياض، كما تكشف مقدمة الرسالة، ويبدو من كاتبها أنه رجل دين وعلى اطلاع وثيق وواسع باستراتيجيات عمل تنظيم «القاعدة».

من المؤكد أن الرسالة كتبت بعد عام 2003، وليس (22 شعبان 1421هـ) الموافق 20 نوفمبر 2000، كما جاء في نهاية الرسالة، كونها تتناول وقائع جرت بعد ذلك التاريخ مثل هجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001،

واحتلال العراق سنة 2003، وهجمات القاعدة في المملكة في المرحلة ما بين 2003 - 2004.

وقد تركت الرسالة تأثيرات واضحة على مواقف بن لادن في مرحلة لاحقة، كونها اشتملت على التفاتات على درجة كبيرة من الحساسية، ومن بينها السبب في توجيه عمليات قتالية ضد المملكة السعودية دون غيرها، وتساءل: «لماذا أرض الجزيرة فقط؟ هل يهتمكم فقط حماية أنفسكم وتحقيق أمنكم وبقية العالم يحترق؟». وقدّم مبررات عدم العمل في داخل البلاد الإسلامية، وخصوصاً الجزيرة العربية التي يعتقد أن «لها خصوصيتها وتميزها، وبخاصة في دعم الجهاد بالكوادر وتمويله المادي والمعنوي، وتعتبر أرض الجزيرة القاعدة الخلفية لكل الأعمال الجهادية في العالم من أفغانستان والشيشان إلى العراق وفلسطين، وضرب هذه القاعدة مؤثر بشكل واضح وجلي على كافة تلك الاعمال الجهادية».

الأخطر في الرسالة، كما يبدو، يكمن في لفت نظر بن لادن إلى موقف رفاق دربه السابقين من الأهداف الكامنة وراء استهداف المملكة السعودية، ويقول: «يخشى بعض الاخوة من قدامى المجاهدين الذين تعاملوا مع بعض قيادات التنظيم ممن قد يكون وراء هذه الاحداث في الجزيرة، أن السبب في استهداف الجزيرة هو الحقد والحسد والكرهية لأبناء الجزيرة بسبب بعض المواقف، وقد عرف عنه الأخوة ذلك من قبل».

في هذه النقطة إشارة واضحة إلى المشاعر المتنافرة التي تسود التنظيم وفق جنسيات العناصر، ولذا يرى صاحب الرسالة أن من يشجّع على العمليات المسلحة في السعودية هم من جنسيات عربية أخرى يضمرون، حسب قوله، الكراهية والحسد والحقد على أبناء الجزيرة العربية، ما يلمح إلى بعد الثراء. كما يلفت أيضاً الى خلافات سابقة بين رفاق السلاح إبان تجربة الجهاد الأفغاني، كان فيها عنصر «الجنسية» حاضراً في تلك الخلافات.

وتساءل كاتب الرسالة عن مبررات عدم القيام بأعمال قتالية في باكستان: (مع أنها الأقرب جغرافياً، والأسهل، وبخاصة مع موقفها المتشدد من المجاهدين، وقد سلّمت عدداً من القيادات وغيرهم إلى أمريكا وساندت الاحتلال الأمريكي بشكل سافر، وشاركت بفعالية في إسقاط الإمارة الاسلامية)، وتساءل أيضاً: (ولماذا لم يحدث ذلك في الكويت وقطر وهما الأكثر عمالة وانبطاحاً ومجاراة للأمريكان؟).

وهنا كما لو أن صاحب الرسالة قد كشف سرّاً، وفي الوقت نفسه أثار شجوناً وآلاماً لدى بن لادن الذي شعر أن هناك من بات يعلم أن التنظيمات الفرعية لم تعد تمثل لأوامره، وأنها تسير على الضد من قناعاته. يقول صاحب الرسالة أن الاحداث أثبتت أن الاعمال العسكرية في الداخل إجتهد خاطيء ولها آثار سلبية كبيرة منها:

- الإضرار بالجهاد والمجاهدين في جميع الساحات.
- مقتل كثير من القيادات والكوادر التي قتلت أو اعتقلت بسبب هذه العمليات.
- التضيق على الداعمين للساحات الجهادية في الشيشان والعراق وأفغانستان وفلسطين وغيرها وقطع تمويلها بشكل حاسم.
- منع الشباب من الإلتحاق بساحات الجهاد وتشديد الرقابة على جميع المنافذ المؤدية إليها واعتقال الداهبين إليها والعائدين منها.
- اعتقال أعداد كبيرة من الشباب المجاهدين ومن حولهم ومن المعتاطفين.
- تعقّب كل من له صلة بالأعمال الجهادية ومطاردته.
- تضرر الكثير من أسر المقتولين والمعتقلين والمطاردين.
- منع الحديث عن الجهاد والترغيب فيه في المحاضرات والخطب والمنتديات.
- نفرة الناس من مصطلح الجهاد وتشويهه من قبل الاعداء.

- خسارة التيار الجهادي لكثير من العلماء والدعاة من المؤيدين والمدافعين عن الجهاد وقضاياه.
- الإضرار بالعمل الخيري مثل إغلاق مؤسسة الحرمين.. ومنع التبرعات وتجميد الحسابات البنكية واعتقال المشتبه بضلوعه في أعمال التبرعات، وتوقف الكثير من الأعمال الخيرية والإغاثية.
- الإضرار بالدعوة والاحتساب وجميع ميادين العمل الاسلامي.
- اعطاء ذريعة للإتجاهات المنحرفة للنيل من الاسلام عموماً والجهاد خصوصاً ودفع مشاريع التغريب والعلمنة إلى الامام.
- اعطاء العدو المتربص فرصة للتدخل أكثر من ذي قبل ودفع الدولة للإرقاء في أحضانه.
- تحفيز الجهات الرسمية ودفعها للتفاعل بشكل أكبر في مشروع مكافحة الارهاب، وتغيير المناهج، وفرض الرقابة على وسائل الاعلام بما يتوافق مع الحملة الاميركية ضد ما تسميه بالإرهاب.
- الأضرار الكبيرة التي حصلت لعموم المسلمين في الأرواح والممتلكات والحريات.

وختم صاحب الرسالة بدعوة بن لادن للتركيز على الهدف الكبير «قطع رأس الأفعى» أي حصر الأعمال القتالية في الولايات المتحدة «وعدم تشتيت الجهود والقوى خارج الهدف مع ضبط الإستهداف بحيث لا يقع في البلاد الاسلامية المستقرة مما يترتب عليه الآثار السلبية...».

لقد تركت الرسالة أثراً عميقاً لدى بن لادن، انعكس ذلك في رسائله اللاحقة التي كان يشدد فيها على ذات النقاط الواردة في الرسالة سالفة الذكر. ففي الرسالة التاسعة عشرة - وهي رسالة مطوّلة وضع فيها بن لادن تصورات له للعمل العسكري والإعلامي في المرحلة القادمة - نجد أثراً لتلك الرسالة، بقوله:

«بعد أن اتسعت الحرب وانتشر المجاهدون في أقاليم عديدة إنهمك بعض

الاخوة في القتال ضد الأعداء المحليين وازدادت الاخطاء التي تقع نتيجة خلل في حسابات الاخوة المخططين للعمليات أو نتيجة لأمر يجد قبل التنفيذ، إضافة إلى توسع البعض في مسألة التترس مما أدى إلى سقوط بعض القتلى من المسلمين...».

ولفت إلى ضرور إعادة البحث في مسألة التترس حتى «لا يقع ضحايا من المسلمين إلا في ضرورة قصوى». وذكر من الأخطاء أيضاً: «قتل بعض من لا يفقه عامة المسلمين إباحة قتلهم.. فهذه المسائل أدت إلى خسارة المجاهدين لجزء لا يستهان به من تعاطف المسلمين معهم..». ونَبّه إلى ضرورة تجنّب القيام بعمليات في الدول الاسلامية من أجل تجنّب سقوط ضحايا من المسلمين، مع أن هناك توسّعاً في مسألة التترس «مما يحمّلنا المسؤولية أمام الله سبحانه وتعالى أولاً ثم يحمّلنا في الواقع العملي خسارة واضرار بالدعوة الجهادية». وكذلك «الضرر الكبير الذي يلحق بالأخوة في القطر الذي يبدأ فيه العمل تبعاً لاستنفار الدولة على الشباب المنخرط في العامل الجهادي». وختم بالقول: «أن قيامنا ببعض العمليات التي لا تتوخى الحذر فيما يؤثر على تعاطف جماهير الأمة مع المجاهدين سيؤدّي إلى كسبنا لبعض المعارك وخسارتنا للحرب في نهاية المطاف».

ومن الأخطاء التي تناولها بن لادن في مراسلاته استهداف من وصفهم (بعض المرتدين) في المساجد أو قرياً منها، مثل محاولة اغتيال رشيد دستم في مصلى العقيد، وعملية اغتيال الجنرال محمد يوسف في أحد المساجد بباكستان، ويعلق قائلاً: «ومن المؤلم جداً أن يقع الإنسان في الخطأ أكثر من مرة».

وبصورة إجمالية، فإن الرسائل السبع عشرة حوت جانباً مهماً غير مرئي من حياة بن لادن خصوصاً التباين بين التكوين الفكري والذهني والنفسي لدى بن لادن والجيل الجديد من المقاتلين الذين التحقوا بالتنظيم بعد حوادث الحادي عشر من سبتمبر، وبعد الاحتلال الأميركي للعراق من

الذين تشبّعوا العقيدة السلفية في بعدها الطائفي، كما قرّروا الإنخراط في القتال الداخلي في أكثر من قطر عربي الأمر الذي أضّر بالمشروع الكوني للقاعدة في محاربة (رأس الأفعى) أي الولايات المتحدة، على حد توصيفه.

كان وجود بن لادن على رأس «القاعدة» قد أسدل ستاراً وهمياً على التنظيم، وبدا كما لو أنه متماسك، فيما كان قادة الفروع يستقلّون تدريجاً بالقرار، وإن أبقوا على مسمى «القاعدة».

ما لم يحسبه بن لادن والظواهري بدقة هو المفاعيل العكسية لشهادات الإطراء التي وهبها لتنظيم «الدولة»، والتي عزّزت من شعبيتها بل وسهّلت في مرحلة لاحقة اختطاف أمجاد القاعدة وعناصرها وتراثها.

في دفاع قادة «القاعدة» عن الزرقاوي و«الدولة» ما يؤثّر إلى خديعة وقع فيها زعماء «القاعدة». على خطى بن لادن في تبرئة الزرقاوي من سفك الدماء، أثنى الظواهري كثيراً على تجربة «الدولة» ودافع عنها، وطالب من اتهمها بقتل الإبرياء وسفك الدماء أن يقدم الدليل، وقال «أبرئ الدولة من أن يكون منهجها يستبيح دماء الأبرياء ويعتدي على الحرمات وذلك لما علمته عن أهم قياداتها ولما أعلمه عن منهجها». بل قلل الظواهري من شأن جرائم «الدولة» في مقابل «وقوع بعض الجهات في عمالة واضحة وموالة وقتال مع الأمريكان ضد المسلمين المجاهدين». في إشارة إلى الشيخ محمد بشار الفيضي والدكتور مثنى حارث الضاري.

الظواهري أكّد على مرجعية «الدولة» في العراق ونفى وجود «القاعدة» فيها وقال مانصّه «أود أن أوضح أنه ليس هناك شيء الآن في العراق اسمه القاعدة، ولكن تنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين اندمج بفضل الله مع غيره من الجماعات الجهادية في دولة العراق الإسلامية حفظها الله، وهي إمارة شرعية تقوم على منهج شرعي صحيح وتأسست بالشورى

وحازت على بيعة أغلب المجاهدين والقبائل في العراق»⁽²³⁾.

وزاد الظواهري على ذلك أن نفى أن يكون كلام بن لادن عن تخلف بعض الجهاديين عن الوحدة موجّهاً إلى «الدولة»، وقال «فقد ضربوا أروع الأمثلة على المبادرة إلى توحيد صفوف المجاهدين والمسلمين في العراق بدءاً من بيعة الشيخ أبي مصعب الزرقاوي رحمه الله لقاعدة الجهاد إلى قيام دولة العراق الإسلامية». وقد وظّف قادة «داعش» هذه الشهادة ليحاربوا بها الظواهري نفسه بعد قبوله بيعة أبو محمد الجولاني الذي انشق عن «الدولة» ونكث ببيعة «البغدادية».

إن الصاعق الذي فجّر الخلاف الكامن بين «داعش» و«القاعدة» هو إعلان زعيم «جبهة النصرة» أبو محمد الجولاني البيعة لزعيم القاعدة أيمن الظواهري ونقضه بيعة أبو بكر البغدادي، زعيم «داعش» ثم «الدولة الإسلامية». فبعد ساعات من إعلان «الجولاني» البيعة، أمر الظواهري في تسجيل صوتي، بإلغاء «الدولة الإسلامية في العراق والشام»، مؤكداً أن «النصرة» وحدها هي الفرع السوري لـ «تنظيم القاعدة». وقال الظواهري في التسجيل: «تُلغى دولة العراق والشام الإسلامية، ويستمر العمل باسم دولة العراق الإسلامية»، مؤكداً أن «جبهة النصرة لأهل الشام فرع مستقل لجماعة قاعدة الجهاد يتبع القيادة العامة». وأضاف: «أخطأ الشيخ أبو بكر البغدادي الحسيني بإعلان دولة العراق والشام الإسلامية دون أن يستأمرنا أو يستشيرنا، وأخطأ الشيخ أبو محمد الجولاني بإعلانه رفض الدمج وإظهار علاقته بالقاعدة دون أن يستأمرنا أو يستشيرنا».

فجاء رد البغدادي صادمًا، من خلال كلمة له بعنوان «باقية في العراق والشام»، قائلاً: «لقد اعتدنا ومنذ عشر سنوات من الدماء والأشلاء أننا

(23) اللقاء الرابع لمؤسسة السحاب مع الشيخ/ أيمن الظواهري، 2007، مؤسسة النخبة.

لا نخرج من محنة إلا وبيتلينا الله تعالى بمثلها أو أشدّ منها». وحسم الموقف قائلاً: «الدولة الإسلامية في العراق والشام باقية ما دام فينا عرق ينبض أو عين تطرف، باقية ولن نساوم عليها أو نتنازل عنها حتى يظهرها الله أو نهلك دونها»⁽²⁴⁾.

خرج الخلاف بين «داعش» و«القاعدة» للعلن، فأمر البغدادي قادة في سوريا بإنشاء إمارات تابعة له في كل من مناطق محافظات الرقة وحلب وريف اللاذقية ودمشق وريفها ودير الزور وحمص وحماة والحسكة وإدلب، لتدشين حدود دولة «داعش» الجديدة، وفرض أمر واقع لاحتواء مخطط الجولاني.

وفي كلمته المعنونة «عذراً أمير القاعدة» بدا العدناني، متحدث «الدولة» واضحاً في موقف «الدولة» الثابت ورفض الانضواء تحت راية الظواهري، متهماً إياه بالإنحراف عن نهج «القاعدة» ودوره في تمزيق الصف بقبولهبيعة الجولاني، أمير جبهة النصرة، بالرغم من وجودبيعة في عنقه للبغدادي⁽²⁵⁾.

ينطلق العدناني من رسالة بن لادن لأهل العراق خاصة والمسلمين عامة، بهدف التصويب على الظواهري، في سياق إعادة تثبيت معتقدات «السلفية الجهادية» بفروعها كافة «القاعدة» و«داعش»، في موضوعات تحكيم الشريعة، وحرمة الانتخابات، وردة الحكومات، وتكفير طوائف

(24) أبي بكر البغدادي، باقية في العراق والشام، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، منتديات المنبر الاعلامي الجهادي، بتاريخ 15 يونيو 2013، الرابط:

<https://www.alplatformmedia.com/vb/showthread.php?p=88322>

(25) تتحدث أدبيات «الدولة الإسلامية» عن وجود خلايات تابعة لها في سوريا قبل عام 2011، وحين بعث البغدادي جنديه ابو محمد الجولاني ومعه المال والعتاد وكوادر من التنظيم كانت هناك كتائب وعشائر سورية تابعة للدولة وهي تشكل 99% من عناصر الدولة في سوريا. انظر: أبو عبد القادر الشامي، حقائق مدوية عن الدولة الاسلامية..أخطر موضوع يمكن أن تقرأه عن الدولة، من موقع الدولة الاسلامية، انظر الرابط:

<http://the-islamic-state.blogspot.com/2014/04/blog-post.html>

بعينها، واعتبار الدساتير المعمول بها في الدول العربية دساتير جاهلية.. وراح العدناني يسرد أقوال أمراء القاعدة السابقين مثل ابو يحيى الليبي وقوله في الملك عبد الله أنه «طاغية بلاد الحرمين يسوقُ الناس إلى الكفر والردة السافرة سوقاً حثيثاً»، وقول سليمان بو غيث، الشيخ القاعدي من الكويت، وخطبته المعنونة «المرتدون في الكويت» وحكمه على الدستور الكويتي أنه «كافر، والذي يحكم بهذا الدستور كافر»، وعليه فهو «ضدّ نظام الحكم كلّ في هذا البلد». ونقل أيضاً رأي أبو مصعب الزرقاوي في الديمقراطية ومن يمارسها.. وقال عن المرشّحين للإنتخابات أنهم «أدعياء للربوبية والألوهية، والمُنتخبون لهم قد اتّخذوهم أرباباً وشركاء من دون الله، وحُكْمُهُمْ في دينِ الله: الكفرُ والخروجُ عن الإسلام».

يهدف العدناني من وراء سرد تلك الآراء للقول أن تلك هي «القاعدة» الحقيقة والأصلية التي انحرف الظواهري عن نهجها، وتالياً نزع المشروعية الدينية والجهادية عنه، وأن «داعش» هو من يمثّل النهج الأصيل. وقد عبّر العدناني عن ذلك صراحة بقوله: «هذه القاعدة التي أحببناها، هذه القاعدة التي وآليناها، هذه القاعدة التي ناصرناها». تجدر الإشارة إلى أن قادة «الدولة» أبقوا على ولائهم الظاهري لقادة «القاعدة» حتى مقتل أبو حمزة المهاجر الذي كان يتولى قيادة «تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين» بالرغم من عدم موافقة بن لادن والظواهري في بادئ الأمر، و«ظلّ أمراء الدولة الإسلامية يُخاطبون قاعدة الجهاد خطاب الجنود للأمراء، خطاب التلميذ لأستاذه، والطالب لشيخه، خطاب الصغير لكبيره» حسب العدناني.

ويلفت العدناني إلى تمايز بين «القاعدة» و«الدولة» في موضوع العلاقة مع الخصوم، ويرجع عدم قيام «الدولة» بعمليات قتالية في إيران والسعودية ومصر وليبيا وتونس إلى «نصائح قيادة القاعدة»، وبقي الحال كذلك لسنوات.

ولكن العدناني قرر إخراج الخلاف مع «القاعدة» للعلن بعد أن أخرج الظواهري «مقاطع من رسائل سرية على الإعلام» لتحميل «الدولة» مسؤولية نكث البيعة والغدر والخيانة وشق صف المجاهدين...، فيما يرى العدناني أنه، أي الظواهري، هو من «شقّ صف المجاهدين وسفك دماءهم» لقبوله «بيعة الخائن الغادر الناكث»، في إشارة إلى الجولاني.

نقطة الحسم في رد العدناني تكمن في الفصل التام بين «القاعدة» و«داعش»، وقوله الصريح والجازم أن «الدولة ليست فرعاً تابعاً للقاعدة، ولم تكن يوماً كذلك»، بل زاد في نبرة تصعيده بالقول «لو قدر الله لكم أن تطأوا أرض الدولة الإسلامية، كما وسعكم إلا أن تبايعوها وتكونوا جنوداً لأميرها القرشيّ حفيد الحسين، كما أنتم اليوم جنودٌ تحت سلطان المُلأ عمر، فلا يصحّ لإمارَةٍ أو دولةٍ أن تُبايع تنظيمًا».

يلفت العدناني إلى التباين في الموقف من قتل عوام الشيعة، وهو تباين لا يقتصر على الظواهري بل كان بن لادن قد أثاره في رسائله، وتحدّث عنه أيضاً أبو محمد المقدسي في مراسلاته مع الزرقاوي. وعارض أبو محمد المقدسي تكفير عموم الشيعة وقال «أما أنا فلا أكفر عموم الشيعة، وهذا من الأخطاء التي تورط فيها بعض الشباب من الطرفين السني والشيعي...» ونصح مقاتلي الزرقاوي بالنأي عن الفتنة⁽²⁶⁾.

ووجّه المقدسي رسالة من داخل السجن في الأردن إلى الزرقاوي أعرب له عن تحفظه «على مسألة قتل المدنيين، وضرب الكنائس ومساجد الشيعة...»⁽²⁷⁾. ونصحه بعدم «الإنجرار وراء استهداف عموم الشيعة وحرف المعركة عن

(26) أبو محمد المقدسي، مقابلة مع مجلة العصر، بتاريخ 24 يوليو 2005

<http://alasr.ws/articles/view/6872>

(27) حوار مع أبو محمد المقدسي، مجلة العصر، المصدر السابق، الجزء الثاني

<http://alasr.ws/articles/view/6877>

المحتل وأذنبه وصرفها إلى مساجد الشيعة ونحوهم...»⁽²⁸⁾.

يذكر العدناني الظواهري «عدم استجابتنا لطلبك المتكرر بالكف عن استهداف عوام الروافض في العراق بحكم أنهم مُسلمون يُعذّرون بجهلهم...» ويعلق «فلو كنّا مبايعين لك لامتثلنا أمرك حتّى ولو كنّا نخالفك الحكم عليهم والمُعتقد فيهم، هكذا تعلّمنا في السمع والطاعة، ولو كنت أمير الدولة لألزمته بطلبك ولعزلت مَن خالفك، بينما امتثلنا لطلبكم بعدم استهدافهم خارج الدولة في إيران وغيرها..»

وخير العدناني الظواهري بين: «الاستمرار في الخطأ وتالياً مواصلة الاقتتال بين مقاتلي «الدولة» و«القاعدة» أو الاعتراف بالخطأ وتالياً تصحيحه، برد بيعة الجولاني، وتصحيح المنهج أن يعلن عن «تكفير الشيعة»..»

وهنا نضيء على واحدة من الموضوعات الخلافية بين «القاعدة» و«داعش» والتي برزت بشكل أكبر بعد عام 2003، أي بعد سقوط النظام العراقي السابق. ولا بد من الإشارة إلى انعكاسات هذا الحدث على الكثير من المسلمين السُنّة، بمن فيهم المصنّفون على تيار الاعتدال، بالمعنى الفكري على وجه الخصوص. إذ تبنى هؤلاء موقفاً سلبياً إزاء الشيعة كرد فعل على انخراط عدد من السياسيين العراقيين من هذه الطائفة في مشروع إسقاط نظام صدام حسين، بالرغم من الإقرار بدمويته، ووحشيته، واستبداده غير المسبوق، من قبل الولايات المتحدة وحلفائها.

لم تكن قيادة «القاعدة» الممثلة في أسامة بن لادن والظواهري، تتبنى تكفير الشيعة، وكانا يتحفظان إزاء النزعة التكفيرية لدى الوهابية. وحين نقرأ مسار الخطاب القاعدي خصوصاً إزاء الشيعة، نقف أمام خطّين متنافرين داخل تنظيم «القاعدة»، وقد يرشد ذلك إلى مرجعية فكرية من جهة ومرجعية سياسية وتنظيمية من جهة ثانية، وكلاهما يعملان بصورة

(28) أبو محمد المقدسي، مناصرة ومناصرة، مصدر سابق

مستقلة أحياناً ومتنافرة في أخرى. يقرأ برنارد هيكمل، الأكاديمي المتخصص في شؤون الحركات الإسلامية، «القاعدة» على أنها (نتاج مسارين أيديولوجي وديني غالباً ما كانا في حالة توتر، وخصوصاً فيما يرتبط بالتعامل مع الشيعة)، المسار الأول يمثلُه الإخوان المسلمون، وهي حركة لطالما شددت، في خطابها العام قبل خضوعها تحت تأثير السلفية الوهابية، على الوحدة الإسلامية، وعارضت الإنغماس في الخلافات بين المسلمين خشية إضعاف الجهود لتأسيس دولة إسلامية. أما المسار الثاني في القاعدة فهو السلفية، وهي الحركة التيولوجية التي تشدد على تطهير المعتقدات وممارسات المسلمين الغاوين⁽²⁹⁾.

في ضوء تلك القسمة، ليس في كتابات وخطابات أسامة بن لادن وأيمن الظواهري قبل عام 2003 ما يشير إلى موقف خصامي ضد الشيعة، ولم يخطر أي منهما في مناظرات مذهبية. وكان بن لادن متحفظاً إزاء مهاجمة الشيعة، وهذا دون ريب إنعكاس لتأثير أدبيات «الاخوان المسلمين». كما أن هناك عاملاً آخر ساهم في هذه النزعة المتسامحة، وهو أن ابن لادن سعى لأن يقدم نفسه بأنه شخصية وحدوية لجميع المسلمين ضد (الكفار)، ويقال الشيء ذاته بالنسبة لأيمن الظواهري، مع أن نزعة التسامح لديه موروثية نتيجة انتمائه الفكري والحركي لجماعة «الاخوان المسلمين» في مصر.

في واحدة من أبرز أعماله الفكرية (فرسان تحت راية النبي صلى الله عليه وسلم)، كان الظواهري واضحاً في رسم مسار الحركة الجهادية التي ينتمي إليها، والتي شكّلت مصر في منتصف الستينيات من القرن الماضي نقطة انطلاقها، وهناك افتרכת الخطوط على أساس تحديد

(29) برنارد هيكمل، الجهاديين والشيعة، الفصل التاسع، ص 202، بحث في كتاب مشترك باللغة الانجليزية صادر عن مركز مكافحة الارهاب بعنوان (جروح البلاء الذاتي..مناظرات وانقسامات داخل القاعدة وأطرافها) تحرير كل من عساف مقدم، وبريان فيشمان والصادر بتاريخ 16 ديسمبر 2010

جهة وهوية العدو، فقد اختار الخط العام في «الاخوان المسلمين» العدو الخارجي كجهة إستهداف، بينما اختار خط آخر يمثلّه سيد قطب العدو الداخلي، الذي يقول عنه الظواهري (لا يقل خطورة عن العدو الخارجي، بل إنه الأداة التي يستخدمها العدو الخارجي والستار الذي يحتمي وراءه في شن حربه على الإسلام)⁽³⁰⁾. والمائز الآخر، أن المجموعة المقرّبة من سيد قطب إختارت أن تقرن الأقوال بالأفعال، فقرّرت الجهاد منهجاً في التغيير. ومن هناك يؤسس الظواهري لتنظيم القاعدة صيرورته التاريخية.

في الباب الأول من الجزء الثاني بعنوان (أعداء الإسلام) يحدّد الظواهري ثلاثة أعداء: الامريكان، اليهود، الأنظمة الموالية لهما. وفي تناوله في الباب الثاني بعنوان التيارات الاسلامية، كانت مرجعية الظواهري ليست سلفية، بل لم يذكر من بين أسماء العلماء المؤسسين للحركة الجهادية سوى الشيخ محمد بن ابراهيم، المفتي العام للمملكة في عهدي الملك سعود وخلفه فيصل والذي كتب نقداً في تحكيم القوانين الوضعية في السعودية حينذاك. حين نقارن آراء الظواهري مع نظيراتها لدى «داعش» نجد بوضوح التباين في الخطاب لدى كل منهما إزاء هوية الأعداء⁽³¹⁾.

يلحظ برنارد هيكل تحوُّلاً في موقف القاعدة منذ العام 2003، وهو العام الذي سقط فيه النظام البعثي في العراق، حيث تخلّت الطبقة القيادية في تنظيم «القاعدة» عن رؤيتها الاخوانية تجاه الشيعة، وأصبحت تتبنى منذ ذلك التاريخ الموقف السلفي المتشدّد⁽³²⁾.

وقد لعب أبو مصعب الزرقاوي دوراً في استدراج قيادة «القاعدة» نحو موقف أكثر تشدّداً تجاه الشيعة، رغم معارضة أستاذه المقدسي، وأنه

(30) أيمن الظواهري، فرسان تحت راية النبي صلى الله عليه وسلم، ص 10

(31) أيمن الظواهري، تحت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم، المصدر السابق، ص 83 ومابعدها

(32) برنارد هيكل، مصدر سابق، ص 203

يستند في ذلك إلى أقوال أئمة أهل السنة خصوصاً الشيخ ابن تيمية، وبالتالي فإن استهدافهم بالقتل «عمل غير شرعي»⁽³³⁾.

بعد مقتل الزرقاوي ونشوء قيادات فرعية متعدّدة في ظل شبه قطيعة بين ابن لادن والظواهري مع فروع التنظيم، بدأ التيار السلفي الوهابي بلونه الطائفي يفرض هيمنته على المسار الفكري العام في التنظيم الأم، كما سمح بدخول أجهزة استخبارية إقليمية ودولية لتوظيف فروع التنظيم في معارك داخلية. وهنا تجدر الإشارة إلى أن الجيل الجديد من كواد «القاعدة»، بمن فيهم الكواد القيادية قد تخرّج من المدرسة السلفية الوهابية، ولم يختلط أفرادها أو يتعرّفوا على الأفكار الحركية والإخوانية، فكان من الطبيعي أن ينشأ هذا الجيل على التشدّد الديني والنزعة الطائفية الحادة إزاء بقية المذاهب الأخرى، ومن بينها المذهب الشيعي.

في تواصل مع السجال سالف الذكر، طالب العدناني الظواهري الحكم برّدّة الجيوش المصرية والباكستانية والأفغانية والتونسية والليبية واليمنية وغيرها. وطالبه أيضاً بالرجوع إلى قائمة المصطلحات الدينية أو بالأحرى السلفية «وعدم التلاعب بالأحكام والألفاظ الشرعية كقولك: الحكم الفاسد، والدستور الباطل، والعسكر المتأمرين».

وهنا لفتة مهمة في الاشتباك بين «داعش» و«القاعدة» والذي يطال أيضاً الكوكبة المفهومية وقائمة المصطلحات الحديثة التي يستعملها الطرفان، إذ يأخذ قادة «داعش» على الظواهري عدم التزامه بالمصطلح الديني، وفي ذلك إشارة إلى التنوع الثقافي والمذهبي الذي ساد التنظيم، وهو ما تحدث عنه الظواهري وابن لادن مع الزرقاوي لנاحية إقناعه بقبول الآخر من المذاهب الإسلامية الأخرى، السنيّة منها على وجه الخصوص.

(33) مقابلة الشيخ محمد المقدسي مع قناة (الجزيرة) في 15 تموز (يوليو) 2005

فبينما يتحدث بن لادن والظواهري عن حالة التنوع التي شهدتها الجهاد الأفغاني والتي عكست نفسها في البنية التنظيمية لشبكة «القاعدة»، يتمسك منظرو «داعش» باللون السلفي الموحد، كمرجعية عقدية، وكناتما مدرسي وتنظيمي.

ويلفت العدناني إلى ما أوصاه به وحدّر منه الزرقاوي من أن الظواهري قد يؤدّي بالقاعدة «إلى ضلال كبير وفساد عريض..»، حسب قوله، لاستعماله مصطلحات دخيلة حسب وصفهم مثل «المقاومة الشعبية» و«الانتفاضة الجماهيرية» و«الحركة الدعوية»، و«الشعب» و«الجماهير» و«الكفاح» و«النضال» وغيرها، وعدم استعمال «ألفاظ الجهاد الشرعية الواضحة»، وطالبه أيضاً بالدعوة الصريحة «لحمل السلاح ونبذ السلمية وخصوصاً في مصر لقتال جيش الردّة، جيش السيسي فرعون مصر الجديد، وإلى التبرؤ من مرسى وحزبه والصدع برذّته..».

يلفت العدناني إلى أن ملاحظاته النقدية على الظواهري ليست فردية، بل هو «ما يتحدث به المجاهدون من المهاجرين والأنصار..». وعليه، شكك العدناني في أهلية الظواهري للقيادة، وراح يعدّد الموصفات المطلوبة في القائد، وختم بالقول نقلاً عن رأي الظواهري إن «الخلاّف بين الدولة الإسلامية وبين قيادة تنظيم القاعدة خلاّف منهجي»⁽³⁴⁾.

في النتائج، وقع بن لادن والظواهري تحت تأثير خديعة دبرها لهما قادة «الدولة» الذين نجحوا في استصدار مواقف تشيد بمشروعهم فيما كانوا يبيّنون النية لاختطاف تركة «القاعدة» وسرقة الأضواء منها. ولا شك أن الظواهري ليس مسروراً اليوم وهو ينظر إلى حال «القاعدة» وما فعله «داعش» به وبها، إذ تجاسر قاداته على تحطيم صورته، وسرقة منجزات تنظيمه. لربما ندم الظواهري، كما فعل ابن لادن من قبل، على هذه

(34) أبو محمد العدناني الشامي، المتحدث الرسمي للدولة الإسلامية في العراق والشام، عذراً أمير القاعدة، مؤسسة الفرقان عن وكالة الأنباء الإسلامية - حق، بتاريخ 12 مايو 2014

المواقف التي باعها بالمجان لتنظيم «داعش»، وأضر كثيراً بسمعة القاعدة. وفي نهاية المطاف، أصبح «داعش» البديل والوارث لثراث وتاريخ وأمجاد «القاعدة»، وراح يحتوي قياداتها في الفروع وقواعدها الشعبية أيضاً تحت مظلة دولة الخلافة، وأن يحقق ما لم يحالف «القاعدة» الحظ بتحقيقه، فأصبح أبو بكر البغدادي القائد والخليفة الشرعي لتنظيمات السلفية الجهادية قاطبة. ولذلك، لم تكن مستغربة دعوته المسلمين عموماً للانضمام في «دولة - الخلافة» والهجرة إليها، واعتبار أن الوقوف ضدها هو ضد شرع الله وإرادته التي اختارت البغدادي خليفة للمسلمين وإماماً لدولتهم!

وسوف يزداد الخلاف بين «القاعدة» و«الدولة» اتساعاً بمرور الوقت، لأن قيادة «القاعدة» تشعر أن عملية غادرة وقعت على ميراثه الجهادي وسوف تفتح الباب أمام صراع دموي حاد، أو أن ينجح قادة «الدولة» في استيعاب «القاعدة» في مشروعها بالمنجزات الميدانية وفرض الأمر الواقع. وفي المجمل، فإن «داعش» أو «دولة الخلافة» تمثل النسخة المتطرفة عن «القاعدة» وهي الأشرس على الإطلاق في تجربتها، ولكنها الأقرب إلى روح الوهابية الأصلية⁽³⁵⁾.

(35) التطور البارز الذي حصل بعد اعلان التحالف الدولي الحرب على «داعش»، صدور بيان من تنظيم «قاعدة الجهاد في جزيرة العرب» بتاريخ 23 ذو الحجة 1435هـ الموافق 18 أكتوبر 2014 بعنوان «بيان بشأن التحالف الصليبي» جاء فيه «نؤكد نصرتنا لإخواننا ضد الحملة الصليبية العالمية، وإننا في عدوتهم ضد هذه الحملة، كما نؤكد على حرمة المشاركة في حربهم تحت دعوى أنهم خوارج، وليسوا كذلك، ونوصي جميع المجاهدين أن ينسوا خلافاتهم، وأن يوقفوا الاقتتال فيما بينهم، وأن يجتهدوا في دفع الحملة الصليبية التي تستهدف الجميع». ودعا البيان «لكل من يستطيع الاثخان في الأمريكان أن يجتهد بالاثخان فيهم عسكرياً واقتصادياً واعلامياً...». ولكن البيان لا يغير من عمق الخلاف بين «القاعدة» و«داعش»، وسوف يبقى كذلك.

الفصل السادس

داعش والسعودية.. تجاذب التاريخ والجغرافيا

السعودية في استراتيجية «داعش»

بعد أن كانت خارج قائمة الدولة المرشحة ضمن «إدارة التوحش»، أصبحت المملكة السعودية من بين مجموعة دول تضم الأردن والمغرب ونيجيريا وباكستان واليمن في رأس القائمة، لوجود عمق جغرافي وتضاريس، وضعف النظام الحاكم في الأطراف عسكرياً وأمنياً، ووجود مد إسلامي جهادي واعد، وطبيعة الناس في هذه المناطق، وانتشار السلاح بأيدي الناس فيها، الأمر الذي يسمح بإقامة مناطق تدار بنظام إدارة التوحش⁽¹⁾.

وكما أسلفنا أن مرحلة إدارة التوحش تكون تمهيدية لمرحلة التمكين، وإن إدخال السعودية ضمن استراتيجية التغيير يعني أن «داعش» تستعد لتحقيق الوعد الوهابي المؤجل بإقامة الخلافة أو (الإمامة الكبرى)، بحسب تعبير ابن تيمية..

وكان موقع (صوت الجهاد في جزيرة العرب) التابع لتنظيم «لقاعدة» قد نشر في 13 ديسمبر 2003 كتاباً جمعه صالح بن سعد الحسن، بعنوان (النبع الفياض في تأييد الجهاد في الرياض)، شارك فيه الشيخ يوسف العيري (قتل في الطائف في اشتباك مع القوات الامنية السعودية في 2003)، والشيخ بشير النجدي، والشيخ حسين بن محمود، وأبو بشار الحجازي، وبرغش بن طوالة، الحزبي المستتر، أبو عبد الله المهاجر. يرصد الكتاب مواقف المشايخ من قيام مجموعة من القاعدة في جزيرة العرب بعمليات مسلحة سنة 2003.

وفي الفترة نفسها، أصدر مركز الدراسات والبحوث الاسلامية الذي أسسه يوسف العيري ردوداً مثل (انتفاض الاعتراض على تفجيرات الرياض) للشيخ عبد الله بن ناصر الرشيد، وكان يردّ فيه على ما يعتبرها شبهات أثارها ما وصفه الموقع العقلاني (الاسلام اليوم)، والكتاب الآخر (غزوة شرق الرياض: حربنا مع أمريكا وعملائها).

(1) أ. ناجي، طريق التمكين، مصدر سابق، ص 8-9.

ويلفت كتاب (النبع الفياض..) إلى أن الهجمات التي وقعت في السعودية هي نفس البلاد التي كانت تنطلق منها فتاوى التحريض على الهجمات في بلاد الإسلام الأخرى، ولكن عندما «أصبح البعض أمام الأمر الواقع وعایش ما يعيشه الأفغان والشيخان وغيرهم، بدأ يفكر بما لم يكن يفكر به من قبل..»، كتبرير العلماء المعترضين بموضوع الأمن «وكأن الأمن مطلب منفرد عن الشريعة»، حسب العييري. ويضيف: «فما كان مصلحة مطلقة في بلاد المسلمين، أصبح مفسدة محضة في بلادهم، دون مستند شرعي لهذا التفريق..».

العييري وجه سؤالاً للعلماء والمشايخ في المملكة قائلاً: «لماذا تقومون بدعم الشيخانين والأفغان والعراقيين ولا تقولون بصحة عمل هؤلاء الشباب؟»، أي شباب المملكة. وعقد العييري حواراً افتراضياً بينه وبين علماء المؤسسة الدينية الرسمية يدور حول حجج العلماء بوجود مسلمين في المملكة تحول دون تنفيذ عمليات عسكرية فيها، ويرد العييري أن هذا التبرير ينسحب على «الشيخان والعراق والأفغان..» وغيرهم. ويرى العييري أن تطبيق الشريعة مشروط «بالدما والأشلاء»، ولو لبرهة من الزمن. وتستمر ثنائية (فإن قلتم قلنا) حيث تدور رحى الجدل داخل الدار، أي داخل الإطار العقدي الوهابي، وإن الشباب يحتجون على العلماء بما يؤمنون به ويدفعون الشباب من أجل التضحية بأنفسهم من أجله..⁽²⁾

إذن، نحن أمام فصل من التجاذب داخل النطاق العقدي الواحد، حيث تنجب الجماعة مولوداً يحمل سماتها الوراثية، ويعتني المبادئ المؤسسة لخطابها وهويتها ورؤيتها. فأولئك الذين يحاجون العلماء إنما يصدرون عن ذات فتاوى الجهاد التي جرى تعميمها وتطبيقها خلال عقدين من الزمان.

(2) النبع الفياض في تأييد الجهاد في الرياض، جمع صالح بن سعد الحسن، من إصدارات (صوت الجهاد في جزيرة العرب) د.ت ص 29

في فصل (اللهم عليك بالأمريكان..رداً على من أفتى ضد العمليات)، لكتاب مستعار يطلق على نفسه برغش بن طوالة، يستعيد فيه مواقف العلماء والمشايخ من الدولة السعودية، مستنداً إلى مواقف التيار الصحوي ومشايخ في المؤسسة الدينية الرسمية والتي تفضي الى القول بكفر الحكومة السعودية⁽³⁾. وهنا يحضر الخطاب الصحوي مرجعاً ومستنداً يحتج به كواد «القاعدة»، في سياق «تفصيح» المستور في «مذكرة النصيحة»، وتظهر الحكم بكفر الدولة السعودية، وليس مجرد نبرة مرتفعة في الخطاب الاحتجاجي السلفي، كما يحلو لمشايخ الصحوة تأويله في مرحلة لاحقة.

فهم كواد «القاعدة» و«داعش» محتويات المذكرة كما ينبغي أن تكون عليه الدولة من حيث التزامها بالتعاليم الوهابية الأصلية، وخصوصاً فيما يرتبط بالتحكيم الحرفي للشريعة ودرء أي تدخّل مع قوانين أخرى وضعية. على أي حال، فإن تكفير الدولة السعودية، بحسب تفسير «القاعدة»، يجعل من السعودية أولى بالقتال من غيرها لأنها إلى جانب كونها كافرة من وجهة نظر السلفية الجهادية، فإنها ذات موقع استراتيجي، وفيها جلّ ثروات المسلمين النفطية، وتمكينها النصاري من محاصرة الحرمين الشريفين في الحجاز.

وقد ناقش الشيخ أبو بصير الطرطوسي، وهو سوري الجنسية من محافظة طرطوس وإسمه الحقيقي عبد المنعم مصطفى حليلة وأحد منظري «السلفية الجهادية»، مسألة الخروج على النظام الكافر، وأفتى بوجوب الخروج عليه شرعاً، ولكنه لا يرى الاستعجال كون الخروج «له شروطه وترتيباته ومقدماته»، ومنها أن يكون فكر الخروج على أنظمة الكفر هو فكر التيار الأعظم من المسلمين⁽⁴⁾. ولكن موقف القيادة تغير لاحقاً،

(3) النبع الفياض..المصدر السابق، ص 34

(4) الشيخ أبو بصير الطرطوسي (سؤال وجواب عن حكم النظام السعودي) من كتاب (شهادة الثقات..آل سعود في ميزان أهل السنة)، جمع صالح بن سعد المحسن، نشر خاص، 2003، ص 50

بحسب أ. ناجي إذ خلصت إلى أن ثمة انقلاباً حدث في عوامل التغيير «وأصبحت الجزيرة من الدول المرشحة..» ويضيف على ذلك: «أن القيادة وضعت لها أولوية وذلك لكون العدو فيها - وهو نظام آل سعود - يمثل أكثر الأنظمة المُعادية للمجاهدين ضعفاً، فكانت جزيرة العرب تطبيقاً مثالياً لهذه القاعدة»⁽⁵⁾.

ومع ذلك، فإن أبو قتادة الفلسطيني، أحد منظري القاعدة ومن الذين اشتغلوا على تعميق استراتيجية عمل القاعدة في مراحلها الثلاثة (الانهاء، التوحش، التمكين)، لا يرى أن سقوط النظام السعودي سوف يؤول إلى صعود البديل الاسلامي. على العكس، يرى أنه في حال انتهاء «حكم آل سعود المرتدين»، حسب وصفه، فإن النتيجة هي «بدائل جاهلية جديدة». ويبرز اعتماد مثال السعودية أن «العلمنة فيها إلى الآن لم تصل إلى أهدافها في داخل الشعوب، مع وجود مقدّمات جاهلية خادمة لخصومنا مثل القبلية وغيرهما»⁽⁶⁾.

مهما يكن، فإن كلمة أبو بكر البغدادي في 13 نوفمبر 2014 حسمت خيارات «داعش»، وباتت السعودية في مركز عمل التنظيم. فقد حملت كلمة البغدادي دلالات خطيرة جداً، من أبرزها وصف السعودية بـ «رأس الأفعى»، وهو وصف استعمله بن لادن في حربه ضد الولايات المتحدة، ولكن البغدادي يصوّبه ناحية السعودية. وقد خُصّص البغدادي فقرة تحريضية مكتظة بجملة دلالات، كما تعكسه الفقرة التالية من خطابه:

«فيا أبناء الحرمين، يا أهل التوحيد، يا أهل الولاء والبراء، إنما عندكم رأس الأفعى ومقل الداء، ألا فلتسلّوا سيوفكم، ولتكسّروا أغمادكم، ألا

(5) أ. ناجي، طريق التمكين، مصدر سابق ص 29

(6) انظر اشبح ابو قتادة الفلسطيني، من شوكة التكابة إلى شوكة التمكين، من كتاب «مقالات بين منهجين».

فلتطلقوا الدنيا، فلا أمن لآل سلول وجنودهم ولا راحة بعد اليوم، ولا مكان للمشركين في جزيرة محمد صلى الله عليه وسلم، سلّوا سيوفكم، وعليكم أولاً بالرافضة حيث وجدتموهم، ثم عليكم بآل سلول وجنودهم قبل الصليبيين وقواعدهم، عليكم بالرافضة وآل سلول وجنودهم، مرقوهم إرباً، وتخطّفوهم زرافات ووحداً، نغصّوا عليهم عيشهم، واشغلّوهم عنا بأنفسهم، واصبروا، ولا تتعجلّوا، وعمّا قريب إن شاء الله، تصلكم طلائع الدولة الإسلامية»⁽⁷⁾.

في هذا المقطع يبدو بوضوح أن البغدادي قد اختار جمهوره بعناية، وإن خطابه موجّه للحاضنة الشعبية للنظام السعودي على وجه التحديد. ولذلك، خاطب أفرادها بلغة وحدهم يفهمونها (يا أهل التوحيد، يا أهل الولاء والبراء)، وبشعارات تحريضية وحدهم يستجيبون لها، نفسياً على الأقل خصوصاً تلك التي تحثّ على قتل الشيعة.

هو النداء الثاني الذي يصدر من العراق الى سكّان المملكة السعودية. الأول أطلقه الرئيس العراقي الأسبق صدام حسين إبان أزمة الخليج الثانية في الفترة ما بين أغسطس 1990 - فبراير 1991 بهدف تشجيع المواطنين على التمرد ضد حكومة بلادهم، عبر توظيف القيم الدينية في المعركة، إذ وجّه اتهامات لحكام السعودية بالسماح للقوات الأجنبية باحتلال بلاد الحرمين الشريفين. والنداء الثاني أطلقه البغدادي ولكنه يستهدف شريحة محدّدة، تلك التي تشكّل قاعدة النظام السعودي، الأمر الذي يبعث قلقاً من نوع ما لدى الأخير كون البغدادي يستخدم لغة لطالما كانت حكرّاً على النظام السعودي ومؤسسته الدينية.

لم يتردّد البغدادي في توجيه سهامه الطائشة إلى أرجاء العالم العربي كافة، الأمر الذي يوحي بأن لا تراجع عن خطة المصادمة والقطيعة التي وضعها

(7) كلمة أبي بكر البغدادي (ولو كره الكافرون)، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، 13 نوفمبر 2014

التنظيم لنفسه بإعلان حرب مفتوحة على العالم بأسره، وإن هناك أطرافاً هي أولى من غيرها في هذه الحرب⁽⁸⁾.

في كلمة البغدادي ما يؤكّد التباين بين «القاعدة» و«داعش» من حيث الأولويات، فبينما تتمسك قيادة «القاعدة» بأولوية المواجهة مع الولايات المتحدة (عدوها المفضل) والنأي عن المصادمات المسلّحة داخل الدول الإسلامية، ينزع «داعش» إلى ترجيح خيار المصادمات الداخلية على خلفية طائفية وسياسية، وتأجيل، يقترب من الإلغاء، أي مواجهة مع الصليبيين! (المصطلح الذي جرى تمييعه في أدبيات السلفية الجهادية بما يحول دون معرفة الدول بالدقة التي ينطبق عليها).

إذن، وفي ضوء كلمة البغدادي هذه، نكون أمام معطى جديد، يؤكد على أن «داعش» أعلنت الحرب على السعودية، وأنه يخبرها بوصول جنوده إليها، الأمر الذي يعني موجة عنف جديدة محتملة.

داعش.. البيئة الحاضنة

إن الكلام عن بيئة حاضنة لـ «داعش» في السعودية قد يكون مبكراً بالنسبة للبعض، وربما لا يزال يدور في نطاق الفرضيات الممكنة في أحسن الأحوال، لأن ثمة ما يؤكد أن هذا التنظيم يحوز على شعبية في المنطقة الحاضنة للوهابية ولنظام آل سعود، أي نجد، أكثر من النظام نفسه. ولكن هذه الشعبية لم تصل بعد إلى حد التخلي عن مكتسبات لا زال الأفراد يحصلون عليها من خلال النظام الريعي القائم.

سوف نتوقف عند جملة معطيات تعود لسنوات خلت وما تحمله من دلالات سياسية وإيديولوجية، وتشكّل في مجملها الصورة التقريبية لهذا التنظيم، والقاعدة الشعبية التي يمكن أن يستند إليها في حال قرر مواجهة النظام السعودي، وهنا رصد لأبرزها على النحو التالي:

(8) كلمة أبي بكر البغدادي (ولو كره الكافرون)، المصدر السابق

1- أعدّ المركز الدولي لدراسة التطرف في كينغس كولج في لندن دراسة بالاستناد إلى الصفحات المتخصصة في الجهاد والجهاديين على مواقع التواصل الاجتماعي (تويتر وفيسبوك)، وخلص إلى أن الدول الخمس الأولى التي يتصدر مواطنوها أعداد المقاتلين هي تونس والسعودية والأردن وليبيا ولبنان. التقرير ذكر أن 55 بالمئة من المقاتلين الأجانب بحسب العينة (190 صفحة على مواقع التواصل الاجتماعي) التي اعتمدها التقرير هم أعضاء في «داعش» بينما يحارب 14 بالمئة في صفوف «جبهة النصرة» أما «الجيش السوري الحر» و«لواء التوحيد» و«أحرار الشام» فهي الأقل تمثيلاً بنسبة 2 بالمئة، وهناك ما نسبته 29 بالمئة من المقاتلين الأجانب الذين يصعب تصنيفهم بسهولة إلى أي من الجماعات تلك⁽⁹⁾. وشدد التقرير على أن عودة هؤلاء المقاتلين إلى بلدانهم كتونس والسعودية والمغرب والجزائر وليبيا يمثل خطراً حقيقياً ضد أمن واستقرار هذه البلدان.

بحسب مصادر أخرى، فإن عدد المقاتلين السعوديين في سوريا بلغ خلال السنوات الثلاث من 2012-2014 نحو عشرة آلاف عني، قتل منهم نحو ثلاثة آلاف⁽¹⁰⁾.

2- أظهر رسم بياني أعدّه من أطلق على نفسه (مزمر الشام) في 10 أغسطس 2014 تناول فيه جنسيات الانتحاريين في «داعش» فكانت النتيجة: 65% من الانتحاريين سعوديون، وأن قتلى تنظيم الدولة الإسلامية حسب الجنسيات: السعوديون 31% وأن 44% أجانب، 15% ليبيون وتونسيون، 10% جنسيات أخرى..

Joseph A. Carter, Shiraz Maher & Peter R. Neumana (eds), #Greenbirds: Measuring (9) Importance and Influence in Syrian Foreign Fighter Network, issued by International Centre For The Study of Radicalisation and Political Violence, ICSR, Kings College London, 2014

(10) عبد الباري عطوان، «هوس» المجاهدين السعوديين في سوريا يسيطر على الرياض وحالة طوارئ في سفارة المملكة بتركيا، موقع (رأي اليوم)، 19 فبراير 2014

وفي قائمة العمليات الانتحارية التي نفّذها «داعش» ضد التنظيمات الجهادية الأخرى في الشام وجنسية منفذها، ظهر من بين 52 عملية انتحارية أن هناك 31 انتحارياً سعودياً، أي ما يعادل 60%.

3- في مقطع مصوّر على اليوتيوب بعنوان (داعش تتمدد في السعودية/ الطائف) بتاريخ 21 إبريل 2014 كتب في بداية المقطع: تنويه!! تمّت كتابة الشعارات على مناطق حيوية وهي (الأحوال المدنية، الجوازات، المباحث العامة). وبدأ في مقطع ظهور عبارة (الدولة الإسلامية باقية وتتمدد) على مبنى الأحوال المدنية، وفي الخلفية صوت منشد سعودي يقول: دولة الإسلام قامت بجهاد المتقين..قدموا الأرواح حقاً بثبات وبقين، ليقام الدين فيها شرع رب العالمين أمّتي استبشري..

وفي أعلى جبل عرفات، رفع أحدهم خلال موسم الحج لعام 1435هـ علم «داعش» وقد بثّت القناة الأولى السعودية الصورة لثوانٍ قليلة قبل أن يتنبّه مخرج البث ويغيّر وجهة الكاميرا.

4- في 1 أغسطس 2014 وجّه الملك عبد الله كلمة خلال استقباله مشايخ الوهابية في قصره بجدة، حملت عبارات التوبيخ واللوم، ولفت نظرهم إلى أن كلمته «تعبّر عن كل مسلم ومسلمة في بقاع الأرض». ثم طالب بطرد الكسل وقال «تري فيكم كسل وفيكم صمت، وفيكم أمر ما هو واجب عليكم». في إشارة إلى عزوف المشايخ عن محاربة الفكر المتطرّف وخصوصاً «داعش» بعد انتشار أدبياتها داخل المملكة.

5- في 10 أغسطس 2014 نقلت صحيفة «الحياة» اللندنية الممولة من خالد بن سلطان، أن «وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودي صالح بن عبد العزيز آل الشيخ أبلغ، خلال الأسابيع الماضية، جميع أفرع الوزارة في المناطق باعتماد «داعش» ضمن الفرق التي يجب على خطباء المساجد تحذير الناس من خطرهما على العقيدة والمنهج

الإسلامي المستقيم». وطالب آل الشيخ الخطباء أن «يبينوا شناعة جريمتهم وحرمة الدماء المعصومة، وإخلالهم بالأمن، وتحذير الناس منهم ومن فكرهم الإرهابي والتكفيري وخطره على العقيدة وأمن الوطن»، وتطرق إلى حادثة شرورة مثلاً.

6- في 29 يوليو 2014، أعلن قيادي منشق عن «داعش» يطلق على نفسه إسم «الشيخ ماهر أبو عبيدة»، سوري الجنسية ويشغل منصب «والي البادية» في «الدولة الإسلامية» أن «أعين التنظيم على السعودية وأنه سينسحب من سوريا خلال عام». وأن التنظيم «بدأ يزرع خلاياه» في السعودية وقال: «توجد خلايا تابعة للتنظيم في القصيم، خميس مشيط، الدمام والنفوف، ويعمل شخصان أحدهما من عائلة المغامسي، والآخر يلقب بالمطيري على توزيع هذه الخلايا وإعدادها للظهور عند الحاجة».

وعن سبب توجه «داعش» إلى السعودية، يقول أبو عبيدة: «عدد كبير من مقاتلي التنظيم هم سعوديون يمارسون في الوقت الحالي ضغوطاً كبيرة لجرّه إلى الرياض، ويعدّون العدة لذلك، ولن يطول الأمر كثيراً لظهوره في بلاد نجد...».

7- في 6 مايو 2014 أعلن المتحدث الرسمي باسم وزارة الداخلية السعودية اللواء منصور التركي عن الكشف عن «تنظيم» إرهابي، يضم 62 عنصراً أكثر من نصفهم من السعوديين، ممن «أطلق سراحهم سابقاً في قضايا أمنية...»، وقد يكونوا ممن خضعوا لدورة ضمن برنامج التأهيل والنصيحة.

وأضاف التركي أن عناصر التنظيم تواصلوا مع أقرانهم في «التنظيمات الضالة في سوريا وبتنسيق شامل مع العناصر الضالة داخل الوطن حيث بايعوا أميراً لهم». وكشف التركي أن التنظيم «تمكّن من تهريب أروى بغدادي وريها الجريش...». وأضاف: أن «التحقيقات والمتابعات الأمنية رصدت انتشاراً واسعاً لهذه الشبكة وارتباطات لها مع عناصر متطرفة في سوريا واليمن». وكشف

التركي أنه «تم ضبط معمل لتصنيع الدوائر الالكترونية المتقدمة التي تستخدم في التفجير والتشويش والتنصت وتحويل أجهزة الهاتف المحمول».

في تحليل المعطيات الواردة في بيان التركي، أول ما يظهر أن الكلام يدور حول «تنظيم» وليس «خلايا»، وأن التنظيم لا يعمل بصورة ارتجالية وثورية، بل هو تنظيم على درجة كبيرة من التطور من الناحية التنظيمية والتكنولوجية وهو يستفيد من كل الوسائل المتاحة، ولديه تجربة عسكرية وأمنية وتنظيمية متطورة.

8- نشرت صحيفة (الحياة) اللندنية في 21 تموز (يوليو) 2014 نتائج استطلاع «ركين» وهو «أول موقع سعودي متخصص في قياس الرأي العام» كما يعرّف نفسه، وجاء فيه أن 92 في المئة يرون «داعش» موافقاً لقيم الإسلام والشريعة الإسلامية. وكان مركز «ركين» قام باستطلاع لآراء السعوديين حول «داعش» ووجد أن 76 في المئة من المستطلعين قد شعروا بالسعادة لسقوط المحافظات العراقية في يد «داعش».

9- كتب خالد الغامدي، المقدم في قناة (وصال) الفضائية المدعومة مالياً من قبل عبد العزيز بن فهد، وزير دولة في مجلس الوزراء السعودي⁽¹¹⁾، تغريدات على «تويتر» للتعليق على العمل الانتحاري وسط المتظاهرين في العاصمة اليمنية، صنعاء، في 9 أكتوبر 2014 والذي أودى بحياة ثلاثين شخصاً وجرح ما يربو على المئة. الغامدي تباهى بمشهد الأشلاء في مكان الانفجار وكتب: «كم هو جميل أن يرى شخص منظراً في غاية الروعة فيساهم في نشره ليمتدح به الغير». وتوعد بالمزيد بقوله «ليس بيننا وبين جماعة الحوثي إلا الدم الدم والهدم الهدم».

(11) بعد الانتقادات المتصاعدة ضد قناة «وصال» كتب عبد العزيز بن فهد سلسلة تغريدات على حسابه في «تويتر» في 6 يوليو 2014 يذكر في أحدها «افتتحت هذه القناة في أواخر عام 2011م ..وهي قناة باللغة الفارسية لنصرة السنة النبوية و طلبوا مني و من غيري الدعم ودعمناهم في حينها..»، وكتب في تغريدات أخرى أنه توقف عن دعمها لخروجها عن التعليمات.

والسؤال هنا: هل قال مقاتلو «داعش» غير ذلك وهم يحاربون خصومهم من الطوائف والجماعات الأخرى؟!

من نافلة القول، أصدر وزير الاعلام والثقافة السابق عبد العزيز الخوجة قراراً بإغلاق مكتب القناة في الرياض على خلفية الانتقادات المتصاعدة ضد الخطاب الداعشي الذي يجري تعميمه عبر القنوات الفضائية وبعد يوم من مجزرة قرية الدالوة في الإحساء شرقي المملكة السعودية في العاشر من محرم 1436 هـ الموافق 3 نوفمبر 2014. وكتب الخوجة في تغريدة على حسابه في (تويتر) في 4 نوفمبر 2014: « لقد أمرت بإغلاق مكاتب قناة (وصال) في الرياض، ومنع أي بث لها من المملكة العربية السعودية...».

10- نشرت مجموعة سوفان (The Soufan Group) في يونيو 2014 دراسة حول المقاتلين الأجانب في سوريا، من إعداد نائب رئيس المجموعة ريتشارد باريت بالتعاون مع أعضاء أساسيين في المجموعة.

تقدّم الدراسة مجموعة من الحقائق من بينها: أن هناك 12 ألف مقاتلاً أجنبياً في سوريا منذ بداية الأزمة، ينتمون إلى 81 بلداً. ويقدر معدّو التقرير أن عدد المقاتلين السعوديين بنحو 2500 مقاتل ويأتون في المرتبة الثانية بعد تونس التي تحتل المرتبة الأولى بعدد 3000 مقاتل⁽¹²⁾. وقد انتقل كثير من السعوديين في «أحرار الشام» و«جبهة النصرة» إلى «داعش» بعد احتلال الاخير الموصل وإعلان البغدادي الخلافة. وبحسب أحد كوادر «أحرار الشام» حين تشكّل «داعش» انضم إليه 40 بالمئة من المقاتلين الأجانب، وأن 60 - 70 بالمئة من المقاتلين الذين كانوا أعضاء في «جبهة النصرة» انضموا إلى «داعش» فيما انضم إليه 30 - 40 بالمئة من المقاتلين الأجانب في أحرار الشام⁽¹³⁾.

Richard Barret, Foreign Fighters in Syria. Issued by The Soufan Group, June 2014, (12)

New York, p.12

Richard Barret, ibid, p.23 (13)

معطيات أخرى موازية تساعد في نوع العناصر السعودية المنضوية في تنظيمات «جبهة النصرة» و«داعش» المصنفتين كمنظمتين إرهابيتين.

11- نشرت صحيفة (الحياة) في 4 أغسطس 2014 خبراً عن إعلان «داعش» مقتل السعودي فيصل الرويلي (25 عاماً)، أحد أعضاء هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر السابقين في منطقة الجوف، خلال مواجهات مع قوات «جيش الإسلام» في الغوطة الشرقية، بريف دمشق.

12 - نشرت صحيفة (الوطن) السعودية في 6 فبراير 2014 خبراً بعنوان (النصرة تختطف «عطوي الهيئة») وجاء فيه أن سلطان بن عيسى العطوي الموظف في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في منطقة تبوك والمسؤول عن ملف الجرائم المعلوماتية فيها، عرفه السوريون أنه قيادي في «جبهة النصرة». وفي 14 أكتوبر من العام نفسه نشرت صحيفة (الحياة) خبراً عن انشقاق العطوي عن جبهة النصرة وانتقاله إلى «داعش».

13- في 12 أكتوبر 2014 نشرت صحيفة (الحياة) خبراً عن ارتفاع وتيرة عدد السعوديين الذين يلقون حتفهم في المعارك الدائرة في العراق وسورية. وذكرت الصحيفة مقتل سعوديين تابعين لتنظيم «الدولة الإسلامية» أي «داعش»، أحدهما في العراق - لم يعلن أسمه - وقام بعملية انتحارية، وقتل الآخر في معارك «عين العرب» أو «كوباني» وهو عمار مطلق البلوي.

ونشرت الصحيفة وصحف عربية أخرى أنباء عن عمليات انتحارية قادها سعوديون يعرفون بكنية (الجزراوي)، ويمثلون النسبة الأعلى من بين عدد الانتحاريين في صفوف «داعش».

رأي الناس

منذ بدء الحديث عن اقتراب «داعش» من الحدود السعودية، أطلق ناشطون على «تويتر» مجموعة أوسمة (هاشتاقات). وبالرغم من أن الاسماء المستعملة في الغالب مجهولة، إلا أن الأوسمة تؤثر، جزئياً على

الأقل بالنظر الى مدى التفاعل وطبيعة المواقف فيها، الى اتجاه ما للرأي العام. يمكن استعراض أهم ما جاء في هذه الأوسمة على النحو التالي:

- في وسم حمل عنوان «ماذا ستفعل إذا دخلت داعش السعودية» كتبت مجموعة تغريدات معبرة من بينها:

- بندر القحطاني: البغدادي × بن سعود.. البيعة للمتغلب كما نص الفقهاء والراسخون في العلم.

- المارد: «والله خايف أن لدينا دواعش نائمة» ثم استدرك وكتب في تغريدة تالية: «ليش خايف إلا فيه دواعش فعلاً وهي خلايا نائمة..»، وعاد وكرر قائلاً «أنا ما ودي أخوَف الناس وإلا واضح أن هناك دواعش ينتظرون الفرصة للإفساد وقطع الرؤوس».

- محمد السبيعي: التاريخ يعيد نفسه وها هي ستعود الخلافة على جزيرة العرب.

- تركي بن عبد العزيز: والله إنهم - أي عناصر داعش - موجودون داخل السعودية والآن هم يغزّرون بالمرهقين.

- أحمد العلي: لا داعي لدخول داعش السعودية فالفكر الداعشي موجود مع تأسيس السعودية.

- أبو معاذ: نعلم الناس أن إسمها (الدولة الإسلامية)، وأن السعودية إسم مستحدث والصحيح (جزيرة العرب)

- جزيري..متألم: عملت السعودية منذ تأسيسها على طمس عقيدة الولاء والبراء فأصبح أعداء الله «أصدقاء» وأولياء الله «أعداء».

- افلاطون العرب: السؤال الأهم من ذلك؟؟ ماذا سنفعل لو استيقضت داعش داخل السعودية

وفي تعليق على انتشار منشورات تابعة لتنظيم داعش في مناطق متفرقة في المملكة السعودية، أفرد مغرّدون وسمّاً بعنوان (داعش توزّع منشورات بالسعودية) جاء فيه:

- متمنطق: قالوا داعش إيرانية..أمريكية..خوارج...إلخ، وفي الحقيقة كل هذا كلام فاضي! داعش تطبق مناهجنا الدراسية لا أكثر!

- بندر قدير: الدواعش لم يصلوا..لأنهم في الحقيقة بيننا

- فاطمة ليراليز: مدري ليه مستغربين على أساس إن هالمنشورات ما كانت توزّع علينا في المدارس يجيبون لنا منقبة تشرح لنا منكر ونكير

- حسين: طابخ السم لابد من أن يتذوقه

- مازن حمزي: الوهابية بدأت تأكل نفسها

- الشيخ طنّف: وما زال الدواعش في جامعاتنا لتعليم الطلاب طريقة حز الرؤوس

واستشهد بتغريدة لعضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى وعضو رابطة علماء المسلمين د. محمد البراك قال فيها: لو كان كاتباً جريدة الرياض أبا الخيل والمحمود في زمن الخليفة المهدي رحمه الله والمعروف بقتله للزنادقة لحز رأسيهما.

وهذه التغريدة جاءت ضد الكاتبين السعوديين يوسف أبا الخيل ومحمد علي المحمود. وتباينت ردود فعل المتابعين على التغريدة التي أجمع أغلبهم على أن ما كتبه البراك (دعوة للقتل)، فيما أنشأ مغرّدون وسمّاً بعنوان (البراك يدعو لحز رأسي أبا الخيل والمحمود) استهجنوا فيه تغريدة البراك وطالبوا بمحاكمته وإبعاده عن التعليم كونه استاذاً جامعياً يجب أن يتعلم منه طلابه لغة التسامح والرحمة والصدق والعدل لا لغة التفسيق والقتل والتخوين والإرهاب.

- ترانيم: هذي نفس المنشورات اللي المدارس توزّعها علينا حتى في الابتدائي يعني لاتسوون نفسكم مصدومين.

وفي هاشتاق بعنوان: «السعوديون حطب داعش»، نقرأ التغريدات التالية:

- شادية خزندار: شدة انغلاق المجتمع والتعليم المتشدّد دينياً الخارج عن سماحة الدين تؤدي إلى شذوذ وإنحرافات سلوكية

- ريم الصالح أوردت صورة لقائمة الانتحاريين السعوديين وكتبت تقول: قائمة بالعمليات الإنتحارية لداعش ومني لوزير الداخلية ووزير التربية والتعليم

- مزمر الشام: مجلس شورى داعش يهيمن عليه العراقيون من منتسبي البعث والضباط السابقين بينما يهيمن التونسيون على الشؤون الأمنية والشرعية والسعوديون حطب داعش

- زايد بن فايد: أكثر الوزارات مسؤولية هي:

1. الاعلام
2. التعليم العالي
3. الشؤون الاسلامية
4. التربية
5. الشؤون الاجتماعية
6. الداخلية

- موسى الغنامي: ما على قادة البعث في داعش إلا «تشريك» المفخخات و«الجزراوي» جاهز لنثر أمعائه في الطرقات.

- لماذا كل منفعي عمليات داعش «الانتحارية» سعوديين؟ ألا يوجد غيرهم؟ لماذا لا نسمع بعراقي واحد نفذ عملية؟ أفيقوا

- لماذا دم ابن قومي مستلذا لقيادة داعش «العراقية» فيجعلونهم «وقوداً» ويلعبون على عواطفه بكلمة «انغماسي» وهو منتحر؟

وانتشر هاشتاغ بعنوان (الدولة الإسلامية على حدود السعودية)، غرّد فيه الآلاف، دعماً لـ «داعش»، ولما أسموه «الخلافة». وتوَعّد المغرّدون على الهاشتاغ باقتحام حدود السعودية والسيطرة عليها. أحدهم قال إن داعش ليست على حدود السعودية، بل في داخلها، ونشر صورة تظهر رجلاً ملثماً يحمل علم داعش مكتوباً عليه ولاية حائل.

- وسوف يبقى القطاع التعليمي مجالاً مفتوحاً لإعادة انتاج الخطاب الداعشي، لوجود شخصيات أكاديمية تزاوّل مهمّة التدريس والتوجيه، وفي الوقت نفسه تتبنى مواقف صريحة في دعم «داعش». ومن بين تلك النماذج: د. ابراهيم الفارس، المتخصص في العقائد والملل والنحل والمذاهب المعاصرة - كلية التربية - جامعة الملك سعود بالرياض.

في حساب الفارس على «تويتر» فائض من التغريدات التمجيدية للإرهاب، فقد أشاد بجرائم الزرقاوي ووصفه بذبح الرافضة! وهنا قائمة من التغريدات للفارس مع تاريخها:

26 يوليو 2014: في هذا الوقت يخوض إخوانكم معارك مفصلية ضد اليهود والنصيرية والروافض والنصارى في أماكن عدة... لا تنسوهم من دعواتكم في صلاتكم هذه الليلة وكل ليلة

17 يوليو 2014: في هذه اللحظات الجهاد يرفع رايته في غزة ضد اليهود وفي سوريا ضد النصيرية وفي العراق ضد الرافضة وفي أفغانستان ضد النصارى يا ربنا نصرك الذي وعدتنا

28 يونيو 2014: رافضة مجوس ونصيرية أنجاس وعباد للصليب وقردة وخنازير تكالبوا علينا ورمونا عن قوس واحدة فيا أسود الجهاد أرونا فيهم ما تقر به العيون..أهل السنة

28 يونيو 2014: يا أسود السنة الهمة الهمة..أعلنت منظمة «أنجومان حيدري» الهندية عن تجهيز 100 ألف هندي شيعي لإرسالهم إلى العراق لقتلكم وحماية قبور الشرك ومراقد الكفر

11 يونيو 2014: نداء...إلى مجاهدي العراق الأبطال...إذا دخلتم سامراء ودمرتم مراقد الشرك والكفر فاذهبوا إلى سرداب جامع سامراء ودمروه فلعلكم تجدون عج عج مختبئاً فيه!

في التحليل الاجمالي، وفي ظل صعوبة لوجستية وميدانية لاختبار توجهات الرأي العام الوهابي في المملكة السعودية، فإن مجموع المعطيات الواردة أعلاه يشكل مؤشرات ذات دلالة خاصة وخطيرة. قد لا تصلح هذه المعطيات للحديث عن بيئة حاضنة لتنظيم «داعش» في المملكة السعودية، وقد ينطوي ذلك على مبالغة، وهو كذلك الآن، لوجود أوضاع اقتصادية واجتماعية مستقرة نسبياً ومع قدرة الدولة الريعية الى حد ما على «الدفع»، أي توفير كمية مال كافية لتغطية حاجات الأفراد الأساسية، إلى جانب نظام «تقديمات إجتماعية» يعوّض التعويل على بدائل غير محسومة.

كل ماسبق صحيح ولكن، إن المعطيات أعلاه وما تحمل من رسائل تلفت الى أن مسار التحوّل ينذر بعواقب خطيرة للغاية، لأن الرهان على الدولة في تأمين أوضاع إقتصادية واجتماعية مستقرة ليس على سبيل الحتمية الثابتة، في ظل ظروف سياسية واقتصادية إقليمية ودولية شديدة التحوّل، وفي ظل فشل الدولة في تنويع قاعدتها الاقتصادية وتأمين مصادر دخل بديلة غير تلك المرتبطة بمصادر طبيعية ناضبة.

وعليه، قد لا تكون البيئة الحاضنة قد تشكّلت حتى الآن، بالطريقة التي تسمح لاستيعاب «داعش» كقوة منافسة وبديلة للنظام السعودي، ولكن لا شك أن عناصر وفيرة من هذه البيئة قد توافرت وقد تتعرّز في حال

ضعفت قبضة الدولة نتيجة تدهور الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية، وفي ظل تآكل هيبة الدولة ورمزيتها ومشروعيتها التي باتت على المحك..

الصحافة السعودية.. «داعش» نبتة محلية

سلسلة مقالات لأكاديميين وإعلاميين حول «داعش» نشرت في الصحف السعودية، تكاد تجمع على حقيقة أنه وبناء على الأيديولوجية المسؤولة عن انتاج هذا التنظيم يجعله نبتة محلية، وأن الاختلاف يدور حول مدى تغلغله في طبقات المجتمع، وفي أحسن الأحوال إلى أي مدى تجعل من اختراق «داعش» للمجتمع إمكانية راجحة.. ونتوقف هنا عند أبرز ما كتب في هذا الشأن.

أولى المقالات التي تناولت «داعش» كانت للكاتب عبد السلام الوائيل في جريدة (الحياة) بتاريخ 13 يناير 2014 بعنوان (القابلية «للاستدعاش»)، وكان باعته هو مدى قدرة «داعش» على استقطاب عناصر سعودية للقتال في سوريا.

يطرح الوائيل سؤالاً دقيقاً: لماذا حين يحدث شاب سعودي نفسه بالنفرة يفكر بـ«داعش»؟ وليس «الجيش الحر»؟ وهو المفتاح لمقالاته (القابلية الاستدعاش) ويقصد بها: «المقاييس والقيم التي ضحيناها داخل أدمغة أبنائنا فجعلناهم، حين تحركهم عوامل الحمية، ينشدون لأكثر التنظيمات تطرفاً وأبعدها عن المدنية وأقلها احتراماً للحياة الإنسانية». مقارنة الوائيل لا تتعلق بصورة مباشرة بـ «داعش» بل في المجتمع المؤهل بفعل عوامل ذاتية ثقافية وتربوية لأن يجنح تلقائياً نحو مثل هذا التنظيم المتطرف دون غيره..

ويختصر صفات «داعش» في: «التكفير» و«حب الموت». ومع أن جذر «يوتوبيا داعش» مكين في وجدان القوميين والاسلاميين ولكنه مع «داعش» و«جبهة النصرة» مختلف «إنه تصور سلفي خالص». بمعنى آخر، إن «داعش» هي

من الناحية العقيدية وهابية لأن الأسس الفكرية لديها «هي ذاتها الأسس الفكرية للسلفية، مفاهيم «الولاء والبراء» و«الحب في الله والكره فيه» و«نواقض الإسلام العشرة» التي تؤسس عليها تصورنا لديننا هي في جوهرها المفاهيم المؤسسة لمشروعية «داعش» في مفاصلها مع العالم كله».

يمارس الواييل نقداً ذاتياً بالنيابة عن أولئك الذين دافعوا عن الأسس الفكرية للسلفية بحجة أن الارهابيين أو الفئة الضالة بحسب التسمية الرسمية، «أناس ضلّوا الطريق، ولا يملكون أدوات فهم الرؤية السلفية على حقيقتها، وأن تفسير هذه المفاهيم وإنزالها على الواقع يجب أن يترك للعلماء». والحقيقة التي لا يريد أحد الاعتراف بها «أن مراجع السلفية الجهادية هي مراجع السلفية العلمية ذاتها». بل ان الرؤية الكونية التي يجري حقنها للشباب في سن مبكرة هي الرؤية ذاتها التي لدى «داعش» و«القاعدة» بما يضعف حجة المؤسسة الدينية الرسمية والحكومة السعودية بل يجعل الجميع «غير قادر على اجترار علاج جذري للظاهرة..».

يرجع الواييل ذلك إلى غياب بدائل في الداخل تعوّض الشباب عن خيارات الهلاك، وخصوصاً البحث عن معانٍ للوجود والحياة، وإرساء ثقافة المشاركة.

ويشير الواييل إلى «التعليم» بوصفه مجالاً خطيراً يستوجب العمل على إصلاحه وأن الجدل حول دوره في تنشئة التطرف لم يثمر تغييراً يذكر «في تشييد خطاب تعليمي ينتج إنساناً مدنياً متشرباً بقيم المدنية الحديثة». ويرى أن هؤلاء الشباب الذين انخرطوا في «جبهة النصرة» القاعدية الهوى، ثم هجروها إلى «داعش» إنما فعلوا «مقاييس بثّها خطاب مبثوث في التعليم واللغة، وتعمل الثقافة على تدعيمه..»

في العلاج، يرى الواييل أن القابلية للاستدعاش لا يمكن مقاومتها الا عبر تقويض أسس الخطاب الذي قامت عليه عبر نقده من أساسه، وليس فقط عدم تدريسه..

عاد الوايل وكتب مقالاً آخر في (الحياة) في 21 يناير 2014 بعنوان «نقد القابلية للاستدعاش».. هل نفوت الفرصة مرة أخرى؟، لتوضيح بعض النقاط، وعلى رأسها «إدانة» السلفية في تطوير وتشجيع الظاهرة الإرهابية والأسس الفكرية المشتركة بين السلفية الجهادية والسلفية العلمية. ويلحظ الوايل في سيرة القادة، والأمراء الشرعيين، والولاة والقضاة وغيرهم في «داعش» و«النصرة» وحتى «الجهبة الإسلامية» هذا التطابق بين شقي السلفية الجهادي والعلمي فد «الغالبية العظمى يتبنون السلفية الوهابية ويؤمنون بكل مقولاتها».

ويرى الوايل أن وجود سلفيات متعددة مثل: الجهادية، والسرورية، والجامية، والعلمية وغيرها لا يغيّر من حقيقة أن جميعها يسبح في المجال الحيوي للوهابية وأن الخلافات التي بينها «ليست في المفاهيم بل حول إنزالها على الواقع، التصور للعالم هو ذاته».. وينقل كلاماً لمنظر القاعدة والسلفية الجهادية أبو محمد المقدسي في احتجازه على نظرائه من سلفي الأردن ممن يرون ضلاله وتنكبه عن «السلفية الحق» بقوله: «شيوخنا هم مشائخكم، وكتبنا هي كتبكم». ويؤكد المقدسي على مرجعية الوهابية من خلال «الأصول الثلاثة» وغيره من مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأن المقاتل الأردني والتونسي والبلجيكي والبريطاني والفرنسي سواء في «داعش» و«النصرة» «مصنوعون على أيدي منظورات تشاركنا المفاهيم، وإن اختلفت معنا حول إنزالها على الواقع»..

يتمسك الوايل بخيار «المراجعة الجذرية للرؤية السلفية» تقوم على نقد مفاهيم «الردة»، «الولاء والبراء»، «نواقض الإسلام العشرة»...

وبصرف النظر عن القراءة الذرائعية التي يفترضها الوايل لخطاب الوهابية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وهي قراءة أيديولوجية بامتياز وليست تاريخية، إلا أنه يقترح «تصعيد سلفيات على حساب أخرى

كتصعيد سلفية أحمد بن حنبل» على حساب سلفية ابن تيمية المؤسسة للتفلت من الوازع السلطاني، والمنتجة إبان هجمات التتار والصليبيين.. والغرض من ذلك الاتفوت الفرصة مرة أخرى في إصلاح السلفية!

الكاتب شتيوي الغيثي كتب في صحيفة (عكاظ) مقالاً في 17 يوليو 2014 مقالاً بعنوان (الاستدعاش الفكري) ينطلق فيه من حقيقة «أن الكثير من المنتمين لهذا التنظيم هم من الشباب السعوديين...». ويؤكد الغيثي ما قاله الوايل في مقالته الأولى ويوضح أن «الأسس الفكرية التي تنظم الخطاب الداعشي تكاد تنطبق مع غالبية الخطابات الدينية التي يحملها معظم المشايخ...»، ويمثل لذلك بظاهرة التكفير على الرأي، والموقف من المذاهب الأخرى إضافة إلى مفاهيم جهاد الدفع والطلب، ومفاهيم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفكرة ولاية المتغلب، ومفهوم الخلافة..

ويرى الغيثي أن الشحن العاطفي في المجتمع السعودي «كان كبيراً حتى خلق مجتمعاً هو أقرب إلى داعش في تصوراتهم ورؤاه حول ذات القضايا الفكرية المحورية...».

عبد الرحمن الحبيب كتب في 3 فبراير 2014 مقالة من جزئين في صحيفة (الجزيرة) الصادرة في الرياض بعنوان (في تفسير الحالة الداعشية.. التفكير خارج الصندوق)، حاول فيه معالجة الاشكالية القائمة حول الربط بين عنف الحركات الإسلامية المتطرفة بالفكر الديني المتشدد. واعتماداً على نتائج تحليل الهجمات الانتحارية التي قدمها روبرت بيب المختص بشؤون الامن الدولي في كتابه (Dying to Win) الصادر عام 2005، والتي وجد فيها الحبيب علاقة ضعيفة بين الدين والهجمات الارهابية وأن الأخيرة هي تكتيك دينوي وليس دينياً، وخلص فيها إلى «أن كل العمليات الإرهابية و95% من الهجمات الانتحارية كان التحرر الوطني في صميم عاطفتها».

وأثار الحبيب سؤالاً كبيراً حول السبب الذي يجعل نسبة كبيرة من الداعشيين في العراق وسوريا يأتون من بلدان لا يزدهر فيها الخطاب الأصولي مثل تونس والأردن والجزائر ومن الدول الإسلامية التي ظهرت بعد تفكك الاتحاد السوفييتي ومن دول أوروبا.

ولكن البلدان التي اختارها الحبيب كانت ولا تزال تحتضن كبار منظري القاعدة وفيها عدد كبير من كوادرات التنظيمات المتطرفة. وأن الجزائر، على سبيل المثال، كانت ساحة مواجهات مسلحة على امتداد التسعينيات من القرن الماضي، على خلفية دينية.

صحيح أن من غير العلمي إرجاع التطرف الداعشي إلى عامل واحد، ولكن ليس على سبيل تخفيض شأن العامل الفاعل. فأولئك الذين يقدمون أغلى ما يملكون وهي أرواحهم لا يمكنهم القبول بأثمان مادية عوضاً منها، ولا بد أن يكون هدفاً سامياً ذاك الذي يحرض أولئك «الانغماسيين». نعم، هناك فئة مدفوعة بعوامل أخرى غير دينية، وتفيد من مناخ التحريض الديني، ولكن ذلك لا يؤثر على المسار العام. باختصار، أن من يعتمد التكتيك الدنيوي ليس الانتحاري بل مشغله.

بكلمات أخرى، ثمة أسباب اقتصادية وسياسية وليس أيديولوجية وراء النزوع الراديكالي لدى الجماعات. فالمقاتل الكردي الذي يختار العمل الانتحاري لم يكن مدفوعاً بوعده أخروي، أي بناء على حافز ديني، بل محرض قومي، إذ يرمي بنفسه في الموت مدفوعاً بالخوف على الهوية ورغبة الحفاظ عليها.

تثير مقالة الحبيب أسئلة تتعلق بالأسباب الضالعة في انخراط شباب سعوديين في القتال في العراق وسوريا. وغالباً ما يضاء على الأسباب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية (لا سيما في بعدها الهوياتي)، بوصفها محرضات عالية الكفاءة على التحاق الشباب بمشاريع راديكالية

وإرهابية. ونواجه غالباً في مثال السعودية بأسئلة مضادة من قبيل مالذي يدفع شاباً ينعم بوضع معيشي مستقر نسبياً، وفرصة حياة أفضل الى الانتقال الى عالم آخر على النقيض تماماً، والأنكى أن يختار أول ما يختار الموت، عبر عمليات انتحارية، بحسب المعطيات المذكورة سلفاً. لاشك أن لا العامل الاقتصادي - الاجتماعي كان المحرّض على انتقال الشباب، ويصعب الجزم أيضاً بدور محوري لمكوّن الهوية في بلد يحضر فيه الدين بأشكال متعددة (وجود الحرمين الشريفين، سطوة الثقافة الدينية التي تبتّ عبر مائة ألف مسجد ومصلى في أرجاء المملكة، انتشار الكتاب الديني، والمحاضرة، والندوة، الصلوات اليومية والاسبوعية التي تقام وتبتّ عبر وسائل مختلفة.. الخ، الهيئات الدينية، ولجان الافتاء، والدروس، والمعاهد والجامعات الدينية). نذكر هنا بأننا نتحدث عن شريحة محدّدة من الشباب، وهم الذي ينتمون للمذهب الوهابي على وجه الخصوص، وليس بقية الشرائح التي لا تقع ضمن دائرة مجال الثقافة الدينية الرسمية.

قد نكون أمام تصوّرات مضادة حول الدور المأمول للدين في صنع الهوية، إذ قد يفتقر الدين بحمولته المحلية الى عنصر الجاذبية التي كان عليها في مراحل سابقة، فهناك تصوّرات دينية تشكّلت وتطوّرت وأنتجت أو بالأحرى أعادت إحياء السلفية الوهابية الأصلية التي يعمل «داعش» على تجسيدها في دولته.

وعليه، فإن الخطاب الديني ليس هو العامل الوحيد في تنشئة الارهاب والتحريض عليه، ولكنه في الوقت نفسه عامل حاسم وأساسي. ولا يمكن مقارنة الخطاب العقدي الداعشي في يقينته المسؤولة عن ترجيح خيار الموت باطمئنان تام بأي خطابات فكرية أخرى مهما بلغ منسوب اليقين الايماني لدى أفرادها والذي لا يصل الى حد المضي طوعاً نحو إهلاك الذات..

بدا الحبيب كما لو أنه يحاول التخفيف من نبرة الإتهام للوهابية بكونها

العقيدة المسؤولة عن خلق ثقافة قطعية تحرّض المؤمنين على نبذ الآخر وتكفيره وإلغائه، على أساس أن في الثقافة والتجارب السياسية العربية ما يشتمل على إرث تخويني وتكفيري مماثل. وإذا كان الحبيب يورد أمثلة محلية تؤكد المرجعية الفكرية للتطرف ولل فكر الداعشي، كفتاوى التحريض على قتل هذا الكاتب وذاك، أو سيل الشتائم التي تنهمر على مواقع التواصل الاجتماعي والتأليب على الرأي الآخر، فإنه يفصل ذلك كله عن الخطاب الديني المتطرف، ويغفل عوامل التنشئة الدينية، ومناهج التعليم الديني الرسمي، وحتى الاستبداد الديني، وثقافة الاقصاء ونبذ الآخر المبتوثة في المجتمع..

يفهم من كلام الحبيب أن خطاب التشدد ليس مقتصرًا على دولة، ولا مدرسة فكرية، ولا جماعة، وهذا صحيح بصورة عامة، ولكن الكلام اليوم ينحصر في «داعش» الخطاب، والجماعة، والاستراتيجية.. لأن نوع التحليل الذي يقدمه الحبيب يتناسب مع منطق «الارهاب لا دين له» المسؤول عن فشل العالم بأسره في تحديد المسؤوليات، لأن هناك بالفعل دولاً راعية للإرهاب، وهناك عقائد محدّدة تحرّض على أعمال العنف. فالعقيدة الوهابية هي المسؤولة اليوم عن نشأة تنظيمات السلفية الجهادية، وقد كشفت أدبيات هذه التنظيمات عن جذورها الوهابية.

وفي استكمال بحثه عن تفسير الحالة الداعشية، يواصل عبد الرحمن الحبيب في الجزء الثاني من مقالته (الجزيرة، 10 فبراير 2014) استعراض النظريات المفسرة لظاهرة العنف، إذ ينزع إلى نفي أو التقليل من شأن البعد الديني لظاهرة العنف، استناداً على أمثلة معزولة أو أسيء تفسيرها. ولايزال الحبيب يؤكّد على كون العمل الجهادي «عملاً دنيوياً» محضاً وأنه «أحد أشكال العولمة المضادة». ويبدو الأخير صحيح في كون الارهاب في الشكل الذي يتمظهر فيه «داعش» يعد أحد أشكال مناهضة العولمة، ولكن ثمة تفسيرات تبقى مطلوبة خصوصاً حين يتعلق الأمر بتنظيم ديني

صغير، وجهادي، وسلفي.. أي لماذا يكون رد الفعل على العولمة مقتصرًا على «داعش» و«القاعدة» وليس تنظيمات أخرى إسلامية من الطوائف كافة.. وهذا يضيء على دوافع أولئك المقاتلين للصمود في ساحات القتال بالرغم من انسداد أفق الانتصار العسكري، أو قبول الأفراد بالتضحية بأرواحهم طمعاً في حياة أفضل بعد الموت، فما علاقة ذلك بالدينوي؟!

يتبنى الحبيب الرأي القائل بالعلاقة السببية بين العولمة والتطرف. وما يسميه الغرب ثقافة وأنها المسؤولة عن انتشار الأحزاب القومية المتطرفة في أوروبا في رد فعل على تهديد الثقافات الجديدة للمهاجرين وعلى الهوية الوطنية، هو في الشرق ولدى الأحزاب الدينية المتطرفة الدين بوصفه العامل الحاسم في هوية أولئك الذين يشعرون بالتهديد الثقافي الأجنبي (التغريب مثلاً).

الاستعراض البانورامي الذي قدّمه الحبيب لناحية تفسير الحالة الداعشية اكتفى بمعالجة تقوم على خلاصات أبحاث ودراسات غربية في تفسير ظاهرة العنف، ولكنه نأى عن قراءة تجربة «داعش» والتجارب التي سبقتها، فيما يبقى السؤال الكبير مطروحاً: لماذا كان العامل الديني ينجح أكثر من غيره في استدراج مئات بل آلاف من الشباب السعوديين للإلتحاق بتجارب يروح فيها الموت على أي مكافأة دنيوية أخرى..

في حقيقة الأمر، إن المقاربة التي يلجّ الحبيب عليها تؤكد الحاجة إلى دراسات معمّقة لجهة دراسة طبيعة الظروف التي تحيط بشرائع محدّدة من المجتمع اختارت أن تنغمس في نوع من القتال مجهول المصير. فنحن أمام طائفتين من الدول والتنظيمات المسلحة حيث ينتقل الأفراد من طائفة لأخرى، فإنا نرى مالا سباب الحقيقة التي دفعت إلى ذلك الانتقال. وعلى سبيل السؤال: لماذا يأتي التونسي في المرتبة الأولى والسعودي في المرتبة الثانية من بين المقاتلين الأجانب في «داعش»، ولماذا يحتلّ السعودي المرتبة الأولى من بين الانتحاريين في التنظيم؟

قد تذهل العوامل العامة والمشاركة (الاقتصادية، والثقافية، والاجتماعية والسياسية) عن التفكير في العوامل الشخصية والخاصة وأدوارها في قرارات الأفراد. وقد يكون الرد السريع بأن الشخصي والخاص لا يشكل سوى نسبة ضئيلة بالقياس الى العام والمشارك، وهذا صحيح الى حد ما، ولكن لا على سبيل الحسم، فقد تغطى مشكلات الأفراد في حياتهم الخاصة الفردية والعائلية على مشكلات تتعلق بأبعاد أخرى ثقافية وسياسية.. وفي كل الأحوال، فإن للعامل الديني تأثيراً كبيراً على قرارات الأفراد الذين يلتحقون في تنظيمات دينية مسلحة يكون فيها الموت خياراً راجحاً، ولكن في الوقت نفسه دون إغفال الدوافع الأخرى الاقتصادية والاجتماعية والحضارية والثقافية..

في مقالة جريئة لوزير الاعلام الكويتي الأسبق سعد بن طفلة العجمي في صحيفة (بوابة الشرق) القطرية بتاريخ 3 أغسطس 2014 بعنوان (كلنا داعش)، عدّ فيها هذا التنظيم نتاجاً طبيعياً لأن مجاميعه «تعلمت في مدارسنا وصلت في مساجدنا، واستمعت لإعلامنا، وتسمّرت أمام فضائياتنا، وأنصتت لمنابرنا، ونهلت من كتبنا، وأصغت لمراجعنا، وأطاعوا أمراءهم بيننا، واتبعوا فتاوى من لدنا..». وبالتالي، فإن «داعش» لم يأت من كوكب آخر، ولا هو خريج مدارس الغرب الكافر أو الشرق الغابر، حسب قوله. ويرى العجمي أن كل ممارسات «داعش» لها في كتب المدارس والتربية الدينية وكتب الجغرافيا والتاريخ خلفيات متينة. ويخلص العجمي للقول: «نحن جميعا داعش، نحن الذين خلقناها وصنعناها وربيناها وعلمناها وجندناها وشحنها وعبأناها ثم وقفنا حيارى أمام أهوالها التي صنعناها بأيدينا!!!».

على المنوال نفسه جاءت مقالة الكاتب الكويتي أحمد الصراف في (القبس) الكويتية في 5 أغسطس 2014 بعنوان (نعم نحن داعش)، تأسيساً على مواكبة دامت عشرين عاماً لثقافة التطرف الديني التي تسلّلت عبر الجمعيات الخيرية، والمناهج التعليمية، والدعاة، ومدارس تحفيظ القرآن..

وحمل الصراف الحكومة الكويتية التي تغاضت عن «حقيقة خطورة الحركات الدينية على النسيج الاجتماعي وعلى أمن الوطن ككل». في النتائج، أن التغاضي أفضى إلى ظهور «داعش» بسبب «سذاجة الأمة وجهل معظم حكوماتها»، وأن مقاتلي هذا التنظيم: «يتصرفون وفقاً لفهمهم للدين، الذي كان ضمن ما درس لهم في مدارسنا على مدى عقود». ويرى الصراف أن «داعش» هو إمارة على «إعلان إفلاسنا كفكر وساسة ومثقفين ورجال دين وإعلام ومناهج ومدارس وتعليم..».

وكتب جاسر الحربش مقالاً في النقد الذاتي بعنوان (القابلية للإستعمار) في صحيفة (الجزيرة) الصادرة بالرياض في 19 مايو 2014، في سياق ردود الفعل على توصيف تهكمي للكاتب منصور النقيدان الذي أرجع تفوق العنصر السعودي في العمليات الانتحارية إلى ما وصفه بسهولة الاستعمار. وحاول الحربش ضبط التوصيف وتقييده بفئة محدّدة من المجتمع وليس عموم المجتمع.

وأسهب الحربش في رصد الفروقات بين القابلية للإستعمار المصطلح الذي صكّه المفكر الجزائري مالك بن نبي والقابلية للإستعمار الذي نسبته الحربش للنقيدان، وهو في الواقع للمفكر الإيراني علي شريعتي. مهما يكن، يضع الحربش إصبعه على جرح مؤلم حين يجري استغلال العناصر السعودية في محرقة الموت لأهداف مجهولة وفي خدمة أشخاص ليسوا معروفين، وهناك في مستنقعات القتال في الخارج يتحول السعودي «إلى عجينة طيبة في أيادي متمرسين على السبي والنهب وتجارة المخدرات والقتل على الهوية».

حسناً، لا يكفي توصيف النهاية المأساوية التي يصل إليها السعودي دون التوقف ملياً عند المقدمات، فهؤلاء الذين خرجوا من الديار خضعوا تحت تأثير ثقافة من نوع ما تحرّضهم على النفير إلى الجهاد في الخارج، وتمنيهم الفوز بجنة وحوار عين..

وعلى مستوى الاستدعاش الأنثوي، كتبت بينة الملحم مقالة بعنوان (كم داعشية بيننا..وكم من القابليين للاستدعاش؟! في جريدة (الرياض) بتاريخ 3 نوفمبر 2014، حاولت فيه تحليل المشهد الاجتماعي كونه يخترن الإجابة عن سؤال الانخراط النسوي في التنظيمات الارهابية. فالملحم لا تنطلق من فرضية بل من وقائع مستمدة من الواقع الاجتماعي، وأن تكون المرأة، في مجتمع محافظ، شريكاً فاعلاً في تنظيم إرهابي يحتم مراجعة حسابات حساسة عذّة ومعقدة.. وفي الأصل «أن وجود المرأة في أي صورة إرهابية قضية أخطر في شكلها وتكوينها وتنفيذها من وجود الرجل»!

تضع الملحم المسؤولية على المؤسسة التعليمية بصورة عامة، وتنطلق من اعلان الدكتوراة إيمان البغا عضو هيئة التدريس في جامعة الدمام، شرقي المملكة مبايعتها لتنظيم «لداعش»، الأمر الذي يعدّ اختراقاً خطيراً للتنظيم للجهاز التربوي.

وترى الملحم بأن الفكر الارهابي تحوّل إلى «ظاهرة بأكملها استطاعت أن تحاصر التعليم وثقافته لعقود من الزمن واستطاعت أن تمرر عبر أخطر مؤسسات المجتمع التعليم أجندة فكرية وسياسية..».

وبرغم تردّد الملحم في نقد المناهج التعليمية ودورها في تنشئة التطرّف الفكري والعنف، إلا أن الإشارات بالغة الدلالة التي حملها المقال تبطن رسالة نقدية قويّة.

في التداعيات..

تنبّهت السلطات السعودية إلى خطورة تغلغل «داعش» وسط الفئات الاجتماعية، وخصوصاً في الوسط النجدي الوهابي. المفتي العام للمملكة الشيخ عبد العزيز آل الشيخ أصدر فتوى في 19 أغسطس 2014 اعتبر فيها «داعش» و«القاعدة» «جماعات خارجية لا تحسب على الإسلام..بل هي امتداد للخوارج»، واعتبر «داعش»

«العدو الأول للإسلام». ودعا آل الشيخ إلى استراتيجية شاملة لمواجهة التنظيمات الارهابية.

والسؤال: لماذا يتواصل تدفق المقاتلين السعوديين إلى الخارج بالرغم من صدور فتاوى تحرم ذلك من قبل أعلى سلطة دينية في الدولة وفي المجتمع الوهابي؟

أمام هذا السؤال، نحن أمام إجابات مفتوحة، وأهمها:

1. أن تكون الفتاوى ذات طابع سياسي، وبالتالي لا قيمة لها.
2. أن يستند المقاتلون على فتاوى أخرى غير معلنة ومصادر توجيه غير رسمية..

يعزّز هذا الجواب صمت مشايخ الصحوه وعدد كبير من كبار علماء المؤسسة الوهابية الرسمية حيال القتال في الخارج، وكأن ثمة قبولاً بما يقوم به المقاتلون السعوديون في سوريا والعراق..

يضاف إلى ذلك، يلحظ بوضوح صمت مشايخ الوهابية من كل أطرافهم عن ظاهرة «داعش»، فلم يصدر حتى كتابة هذه السطور بيان مشترك داخل المملكة أو المشاركة في بيانات خارجها تتعلق بالرد على المسوّغات الشرعية لدى «داعش» في قتل المدنيين، وهدم دور العبادة، وقطع الرؤوس، واستباحة المناطق الآمنة. وإن الرسالة المفتوحة إلى متزعم «داعش» ابو بكر البغدادي ومقاتليه في 19 سبتمبر 2014 والتي وقّع عليها 126 شخصية دينية سنّية من أرجاء العالم، بمن فيهم دار الافتاء المصرية، ومفتي القدس والديار الفلسطينية وجامع الأزهر، ورؤساء مجالس الافتاء والمراكز الدينية والدعوية من كل قارات العالم، خلت من توقيعات مشايخ الوهابية في المملكة السعودية، برغم اعتناق التنظيم العقيدة الوهابية⁽¹⁴⁾.

(14) انظر نص الرسالة على الرابط التالي:

3 - أن تكون الفتاوى متعارضة مع أصول المعتقد الوهابي، وعليه تصبح لاغية حكماً، بما ينزع عن المفتي السلطة الروحية والفقهية على الأتباع، خصوصاً أولئك الذين تشبّعوا المعتقد الوهابي من منابعه الأصلية.

وبصورة إجمالية، تنبئ المعطيات السابقة أن المملكة السعودية هي الأرض الموعودة في مشروع «داعش» لوفرة العناصر الجاذبة له. وليس من قبيل الصدفة، أن يتزامن: التفوق العددي في الجسد العسكري والنسبة العالية من الانتحاريين، والكثافة العالية من الكتابات المؤيدة للتنظيم على مواقع التواصل الاجتماعي (فيسبوك، تويتر، يوتيوب)، وكذا التعاطف الشعبي بأشكال متعددة.. كل ذلك وغيره من معطيات تؤثر إلى إمكانية تشكل بيئة حاضنة للتنظيم، والأخطر هو قابلية تحول البيئة إلى رافعة لمشروع تغيير كبير يهدف إلى إعادة إحياء الوهابية الأصلية.

الجدير بالإشارة أن الحكومة السعودية قامت بعد مجزرة الدالوة في الإحساء وتالياً خطاب البغدادي التحريضي بسلسلة تدابير لتحسين الداخل عقدياً، وطلبت على سبيل المثال من كبار العلماء لتنظيم محاضرات دينية على في كل أرجاء البلاد لمواجهة التطرف والإرهاب. كما لاحقت قنوات فضائية، ومواقع الكترونية للحد من انتشار الأفكار الجهادية. ويبقى السؤال: هل تبدأ مراجعة الخطاب الديني المنتج محلياً وبرعاية الدولة أم سوف يبقى النظام يلاحق المؤمنين بالخطاب؟

السعودية: 2003 - 2014 الخطر يتصاعد

في منتصف ليل 12 مايو 2003 اقتحمت أربع سيارات مفخخة يقودها تسعة انتحاريين ثلاثة مجمعات سكنية شرقي العاصمة، الرياض، وهي مجمع درة الجداول، ومجمع شركة فينيل، ومجمع الحمراء، وانفجرت بصورة متزامنة ما أدى إلى مقتل 26 شخصاً من جنسيات متعدّدة، بينهم 7 من السكان المحليين و9 أميركيين، و160 جريحاً، إضافة إلى مقتل الانتحاريين التسعة.

وفي 8 نوفمبر 2003 وقع انفجار داخل مجمع المحيا السكني وكانت الحافلة 12 قتيلاً و 122 جريحاً من الوافدين العرب، وكشف الحادث عن هشاشة البنية الأمنية. وشهدت المملكة السعودية بين عامي 2003 - 2004 وتيرة مرتفعة من الانفجارات والمواجهات المسلحة مع جماعة تطلق على نفسها «تنظيم القاعدة في جزيرة العرب»، استهدفت مقرات أمنية وحكومية، وأماكن سكنية، وأسواق، ومنشآت نفطية، وأوقعت العديد من القتلى من السكان المحليين والأجانب..

وتواصلت العمليات الانتحارية والمواجهات المسلحة في الاعوام اللاحقة ولكن بوتيرة أقل بعد مقتل عدد من قيادات التنظيم. وكان الأخير قد وسّع من مروحة عملياته فشملت المنطقتين الغربية والشرقية، وجرت محاولات لاقتحام منشآت نفطية حساسة كمعامل بقيق والقنصلية الأميركية في جدة، وشركة نفطية في ينبع وغيرها..

وبحسب إحصاءات وزارة الداخلية فإن مجموع الحوادث الإرهابية التي تعرضت لها المملكة حتى عام 2011 حوالي 98 عملية راح ضحيتها أكثر من 90 شخصاً من المدنيين إضافة إلى إصابة نحو 608 آخرين، فيما سقط حوالي 65 قتيلاً من منسوبي الأجهزة الأمنية وإصابة نحو 390 آخرين.

حين التأمل في الأوضاع السياسية المحلية والإقليمية التي ظهر فيها التنظيم وإمكاناته التسليحية والتخطيطية، لا بد من التوقف عند مجموعة حقائق:

أولاً: بعد سقوط حكومة طالبان أواخر العام 2001 فقدت شبكة «القاعدة» الأرض التي تقيم عليها، وانتقلت إلى العمل السري، وتقطّعت الاتصالات بين القيادة والفروع، كما تكشف عن ذلك رسائل بن لادن والظواهري، إلى حد أن الأخبار كانت تصلهما بعد أشهر من حصولها، الأمر الذي سمح لقيادة الزرقاوي أن تفرض نفسها كمرجعية للتنظيمات الفرعية خصوصاً في الخليج واليمن.

ثانياً: أن التنظيم بدأ عملياته في المملكة بعد مرور شهر على سقوط بغداد (9 إبريل 2003)، في وقت كان الزرقاوي للتو قد أرسى المرحلة الأولى لعمله القتالي، وراح يحرض عناصر القاعدة على الهجرة إلى العراق، وخصوصاً العناصر الخليجية واليمينية. لم يعلن الزرقاوي حينذاك عن تنظيمه «جماعة التوحيد والجهاد»، إذ لا يزال في مرحلة «التجديد»، ولم يقدم البيعة إلى قيادة «القاعدة» بعد.

ثالثاً: أن المجموعة التي كانت تدير العمل المسلح داخل السعودية صغيرة نسبياً، ولا تملك خبرة عسكرية كافية. ومن منظور عسكري، استعجلت الدخول في صدام مع الحكومة السعودية عن طريق شن أعمال لا يمكن وصفها سوى أنها إرهابية محضة. وبالرغم من أن المجموعة صمدت لبعض الوقت في المواجهات مع قوات الأمن السعودية، وبقيت مصدر تهديد للنظام على مدى سنوات، إلا أنها أخفقت في:

- استقطاب أي تعاطف شعبي طيلة مرحلة المواجهات، بل كان الشعب ينظر إلى المجموعة بكونها انتحارية وعبثية.

- توضيح رسالتها، فالأغلبية الساحقة من السكّان المحليين لا يعلمون ماذا يريد هذا التنظيم المنتسب لـ «القاعدة»، ولماذا يقوم بتلك الأعمال الإرهابية، خصوصاً اقتحام مجمّعات سكنية، باستثناء التبريرات العقدية الرثة.

على أي حال، تبين من رسائل بن لادن المسربة أنه لم يكن على وفاق مع خطة السيارات المفخخة في المجمعات السكنية، الأمر الذي يرجح أن المجموعة كانت تعمل وفق أجندة أخرى، وتوجيهات من قيادة أخرى، والأرجح أن يكون للخطاب الجهادي في العراق كما جسده الزرقاوي تأثير كبير على المجموعة، بحسب ما ظهر في بياناتها حول عمليات الخبر وبنبع.

مهما يكن، فقد نجحت السلطات السعودية في تطويق خطر «القاعدة»، نسبياً على الأقل، ولكن اللجان التي تشكّلت لإعادة تأهيل العناصر

المنضوية في التنظيمات الارهابية مثل «المناصحة» و«السكينة» لم توقف تماماً انخراط الشباب السلفي في عمليات قتالية خارج الحدود.

وكان انغماس النظام السعودي في صراعات المنطقة، وعلى وجه الخصوص في العراق وسوريا ولبنان، دفع بآلاف الشباب للسفر إلى مناطق النزاع، وأن يصبحوا قادة ميدانيين وأمراء شرعيين وممولين كباراً لتنظيمات السلفية الجهادية.

ثمة سؤال جدّي يطرح حول انخراط صغار السن في القتال في سوريا، وعلاقة ذلك بالتعبئة الدينية والاعلامية في الثمانينيات إبان الاحتلال السوفييتي لأفغانستان⁽¹⁵⁾. والحال، أن السؤال لا بد من طرحه في سياق آخر، وهو دور الخطاب التحريضي الذي ينتج محلياً في المدارس والجامعات والمساجد والمخيمات الكشفية، هذا الخطاب المسؤول عن «نفير» وليس «نفور» الشباب إلى القتال في الخارج تحت عنوان الجهاد بشقيه (الدفع والطلب) وتقمّص مواصفات «الطائفة المنصورة» التي تضطلع بالدعوة إلى الحق بالسيف!

ومنذ منتصف العام 2012 بدأت وتيرة هجرة السعوديين إلى سوريا عن طريق تركيا تتسارع، وانخرطوا في تنظيمات «جبهة النصرة» و«أحرار الشام» ثم انتقل كثير منهم إلى «داعش» بما في ذلك قادة عسكريون وأمراء شرعيون، خصوصاً عقب صدور الأمر الملكي في 3 فبراير 2014 بتجريم المقاتلين السعوديين في الخارج.

وثمة ما يدعو للتأمل في خروج عشرات الممنوعين من السفر إلى القتال في سوريا. وبحسب تقرير إعلامي «أن عدداً كبيراً من «الجهاديين» السعوديين الموجودين في سوريا هم في الواقع ممنوعون من السفر..» من بينهم عبد الله بن قاعد العتيبي وبدر بن عجاب المقاطي وعبدالله

(15) عاصم صالح، السعوديون المقاتلون في سوريا.. أسئلة محيرة!، مجلة (المجلة) 11 فبراير 2014

السديري وعقاب ممدوح المرزوقي وعشرات غيرهم ممن وصلوا سوريا رغم منعهم من السفر. مع الإشارة إلى أن هؤلاء خرجوا عن طريق مطار الرياض كما يؤكد معظمهم ممن يغرد على «تويتر»⁽¹⁶⁾. اللافت أن أحد القتلى السعوديين في سوريا عبد الله السبيعي كان قد سافر بجواز سفر شقيقه سليمان وكان ممنوعاً من السفر، ولكن سليمان استصدر جواز سفر جديداً وسافر به إلى سوريا رغم أن السجلات الرسمية المثبتة تفيد أنه مسافر ولم يعد بعد.

خلاصة القول، إن آلاف السعوديين خرجوا للقتال في سوريا والعراق ولا تزال الغالبية منهم في الجبهات إلى جانب مقاتلي «داعش» والقليل منهم في «جبهة النصرة».

وبصورة إجمالية، يمكن تصنيف المقاتلين السعوديين على النحو التالي:

- مقاتلون بهويات مزورة أو أسماء حركية ورمزية وهؤلاء منبثون في صفوف الجماعات المسلحة عموماً، وهم اليوم بين قتل وأسير ومرابط على خط النار.
- مقاتلون حملوا معهم هوياتهم الثبوتية وهم قلة، وقد وردت أسماؤهم في قوائم القتلى سواء لدى السلطات السورية، والتركيا، والعراقية...
- مقاتلون لا يُعرف مصيرهم، فقد انقطعت أخبارهم منذ سنوات بعد انخراطهم في تنظيم القاعدة وفروعه.

ما يعيننا هنا هو بداية النفير الكبير للمقاتلين السعوديين، ورقة انتشارهم على الخريطة السورية. في مطالعة متأنية لقائمة القتلى السعوديين حتى نهاية عام 2013، على أساس العمر، ومكان القتل، وتاريخه، يتبين التالي: إنَّ الغالبية الساحقة من المقاتلين السعوديين الذين جاءوا إلى سوريا كانت

(16) عبد الله سليمان علي، المقاتلون السعوديون في سوريا ... من الخلايا الأولى إلى النفير (السفير)،

في الفترة التي تولى فيها بندر بن سلطان، رئيس الاستخبارات العامة، الملف السوري، أي منذ صيف 2012 وحتى نهاية (17) 2013.

مراسل قناة (العالم) في سوريا حسين مرتضى يستند إلى ثلاث وثلاثين رواية إخبارية عربية وأجنبية (بريطانية وفرنسية على وجه الخصوص)، تقدّر عدد المقاتلين السعوديين في صفوف «داعش» و(النصرة) بالآلاف، من بينهم 300 أسير لدى السلطات السورية. وأورد مرتضى قائمة طويلة بأسماء القتلى السعوديين مع تفاصيل عن الأماكن التي قتلوا فيها⁽¹⁸⁾.

كل ماسبق يفتح الباب على فصل جديد من المخاطر التي يشكّلها المقاتلون السعوديون في الخارج، بعد أن تولى الراعي الرسمي عنهم، أي بندر بن سلطان الذي أعفي من منصبه كرئيس للاستخبارات العامة.

وبالمقارنة مع المجموعة المسلحة التي كانت تقاتل النظام السعودي في عامي 2003 - 2004، ثمة حقائق جديدة في ضوء القتال في سوريا والعراق لا بد من الإضاءة عليها:

- أن أعداد المقاتلين باتت كبيرة جداً ومن المستحيل السيطرة عليها، حتى من المشغّلين الذين أرادوا استخدامهم في مهمة محدّدة: إسقاط النظام السوري، ولكن وجدوا أنفسهم في نهاية المطاف أعجز عن إدارة هذه المجاميع الغفيرة من المقاتلين.

- أن المقاتلين أصبحوا على درجة عالية من التأهيل والكفاءة والخبرة والقدرة على إدارة معارك معقّدة، وتصنيع أسلحة، وعبوات، وتشريك أبنية، والتخطيط لهجمات بالغة الدقة.

- أن هؤلاء المقاتلين باتوا جزءاً من مشروع (دولة الخلافة) ولم يعودوا

(17) فؤاد إبراهيم، رواية يراد دفنها: القتلى السعوديون في سوريا، جريدة (الأخبار)، 3 أبريل 2014

(18) حسين مرتضى، المقاتلون السعوديون في سورية بالآلاف، موقع (العهد) الأخباري، 12 يناير 2013

مجرد مقاتلين تقطعت بهم السبل أو أناساً حائرين لا يملكون من أمرهم شيئاً، فهم يشاركون في إدارة دولة طموحة وتوسعية يقودها خليفة يتحدّر، حسب زعمه، من قریش، ويتطلع بل ويخطط لأن تكون الجزيرة العربية جزءاً حميمياً من ولايته.

- أن الدولة الجديدة التي ينتمي إليها المقاتلون السعودية تحمل «رسالة»، وهي نفس الرسالة التي جاء بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وعلى أساسها قام حكم آل سعود، مع فاروق أن «داعش» تلتزم حرفياً بتلك الرسالة وتطبّقها على الأرض، بينما يستغل الحكّام السعوديون تلك الرسالة لمآربهم السياسية الخاصة، بحسب رؤية الأشدّ التصاقاً بالتعاليم الوهابية الأصلية، الأمر الذي يجعل خيار التصادم بين الدولتين راجحاً.

علاوة على ما سبق، فإن خطورة «داعش» تكمن في أنها مشروع نشأ خارج الحدود، وخارج الرعاية السعودية، على الضد من «القاعدة» التي خضعت في مرحلة النشأة تحت نظر المخابرات السعودية، وبقي الحال كذلك إلى سنوات لاحقة. وعليه، تعرّفت السلطات السعودية على الكثير من أسرار القاعدة، بل ونجحت في اختراقها وتوجيهها نحو أهداف بعيدة، وضد الخصوم.

خلاصات

فوجئت السلطات السعودية بالمنسوب المرتفع من التعاطف مع «دولة الخلافة» وسط القاعدة الشعبية الوهابية، إلى درجة أن حملات الكترونية انطلقت بصورة متزامنة تشيد بإعلان الدولة وتعلن البيعة لأمرها أبي بكر البغدادي..

اكتشفت السعودية أن ثمة مجتمعاً داعشياً ثاوياً وسط المجتمع الوهابي الذي تعتقد أنها تديره وتسيطر عليه. تنبّه آل سعود إلى أن انبعاثاً وهابياً انطلق من خارج الحدود هذه المرة ويمثل أكبر وأخطر تهديد واجهه النظام السعودي منذ نشأته.

خطورة «الدولة الاسلامية» تكمن في اعتناقها ذات العقيدة وتبشّيرها بنفس التعاليم الدينية التي صاغها المؤسس محمد بن عبد الوهاب، وتزيد على ذلك أنها تحمل في طياتها الوعد المؤجل منذ قرنين، أي إقامة دولة الخلافة، وأن تصنع ما أخفق في صنعه مشايخ الوهابية و«الاخوان» و «حركة جهيمان» و«مشايخ الصحو» و«قاعدة الجهاد في جزيرة العرب» وغيرها من المحاولات الفردية والجماعية..

ال سعود الذين حاربوا أنظمة الحكم الدينية بعد اندلاع الربيع العربي، وخصّصوا ميزانيات ضخمة لإسقاط حكم الإخوان في مصر كي لا ينشأ نموذج حكم إسلامي ينافس ويقوّض مشروعية النظام السعودي، برز إليهم من داخل المجال الوهابي من يحمل مشروعاً منافساً ويملك من الأفكار التحريضية، والمبررات الدينية، والقوة العسكرية والبشرية الأمر الذي يجعله بديلاً محتملاً، وسط بيئة بدت كما لو أنها منقسمة على ذاتها، كما يكشف عن ذلك توجيه شباب على مواقع التواصل الاجتماعي دعوة إلى أمير المؤمنين في «الدولة الاسلامية» للقدوم إلى الحجاز لتحرير مكة من آل سعود!

ومنذ إعلان البغدادي عن ضم سوريا إلى الدولة الاسلامية في إبريل 2013

وتغيير إسمها إلى «داعش»، أرسى بذلك أساس مشروع دولة - الخلافة العابر للحدود الجيوسياسية الدولية، وهذا بحد ذاته يمثل أول عنصر تهديد ليس لسوريا والعراق، ولكن أيضاً للسعودية التي سوف تجد نفسها بلا مشروعية دينية، كما ظهر في «خطاب التتويج» الذي ألقاه ابو بكر البغدادي بعد إعلان دولة الخلافة الاسلامية.

وبقدر ما نجح أبو مصعب الزرقاوي في سرقة الأضواء من زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن، إذ كان الزرقاوي يدير المعارك في العراق باسم التنظيم ويتواصل مع فروعه في المنطقة، نجح البغدادي في سحب البساط من أيمن الظواهري، بعد إعلان نفسه خليفة للدولة الإسلامية، الأمر الذي يجعل البغدادي أشد خطراً على السعودية من الظواهري نفسه. وإن مسارعة ابو محمد الجولاني قائد «جبهة النصرة» لإعلان «إمارة الشام» إنما محاولة يائسة من قيادة «القاعدة» لقطع الطريق على «داعش»، بالرغم من أن مشروع الأخير ينطوي على جاذبية أكبر لأنه ينسجم مع المشروع الاممي الذي طرحه الوهابية الاولى..

إذن، ليس مشروع «داعش» شيئاً آخر سوى إعادة إحياء وهابية الجيل المؤسس، الأمر الذي يبعث القلق لدى آل سعود، لأن مشروع إحياء الوهابية الأصلية يتم هذه المرة من خارج الكيان الحاضر لها، ما يجعل القضاء عليه أمراً بالغ الصعوبة.

من الضروري التأكيد على ان منجزات «داعش» الميدانية هي تحقيق لاستراتيجية جرى العمل عليها أعواماً طويلة، وكانت الجماعة تكشف في بياناتها عن أهدافها وخططها وفي بعض الاحيان رموزها. وكانت تصرّ على أن ما تقوم به هو امتثال لقناعات راسخة جانب منها بطبيعة إيمانية عقدية، فرهان الإيمان لم يغيب في حراك عناصر التنظيم، وإن بدا الحديث عن نتائج مادية..

في واقع الأمر، أن الاعلان عن الخلافة في نهاية يونيو 2014 هو امتداد لإعلان سابق في نوفمبر 2007 حين أعلن عن قيام الدولة الاسلامية في العراق. في عقيدة التنظيم يكفي مجرد قطعة أرض يمكن أن يقام عليها شرع الله كيما تنال صفة الدولة، وليس بالضرورة أن تكون الدولة دائمة، فإن أمكن فعل ذلك لمدة ساعة أو يوم فليكن، وهذا ما ينفرد به «داعش» عن غيره من تنظيمات أخرى لم تهضم فكر «القاعدة»، خصوصاً أولئك الذين لم يقرأوا استراتيجية التغيير في مراحلها الثلاث كما صاغها قادة القاعدة ومنظروها (أي النكاية/الانهاك، التوحش، التمكين).

استطاع «داعش» تهديد الأمن في العراق، الأمر الذي أربك الطبقة السياسية، وكان أخطر تطوّر أمني تمثّل في سهولة اختراق التنظيم لكل الاجراءات الامنية وإدخال السيارات المفخّخة وبالعشرات إلى العاصمة بغداد، والاعلان عن ذلك في وقت سابق..

قد يكون احتلال الموصل هو بمثابة تظهير لسيطرة «داعش» على مناطق في العراق في مرحلة سابقة، فيما كان التنظيم يرشّخ وجوده العسكري في الفلوجة قبل ستة أشهر من سقوط الموصل، إلى جانب سيطرته على الرقة ودير الزور في شمال شرق سوريا..

ما يميّز «داعش» عن «جبهة النصرة» أن الأخيرة حاولت أن تعيد الروح إلى «القاعدة» التي دخلت في «موت سريري» منذ نجح «داعش» في السيطرة على مفاصل شبكة «القاعدة» واختطاف منجزاتها، وخلاياها، وتراثها.

ولكن ثمة فارق جوهري بين الطرفين إذ أن «النصرة» مشروع قطري يقتصر نشاطه على سوريا، ويكون جزءاً من خارطة عمل «القاعدة»، وعليه فـ «جبهة النصرة» لا تشكّل خطراً على أي من الدول الأخرى، بينما «داعش» هو مشروع أممي (خلافة) فوق قطري وفوق قومي، وعابر للحدود والدول.. الأمر الذي يبعث الفزع لدى المملكة السعودية..

في نهاية المطاف، «داعش» يعد البديل العملائي لشبكة «القاعدة» التي تخسر فروعها لصالح «الدولة الاسلامية» التي تخطط للتمدد خارج العراق وسوريا، وباتت مفتوحة على أمكنة أخرى، فكل أرض خضعت تحت سيطرة «الدولة» باتت جزءاً من سيادتها..

في المقابل، ثمة تحذيرات بنوية تواجه دولة «داعش» سواء على مستوى التركيبة السكانية غير المتجانسة (مواطنوها ينتمون إلى أكثر من 80 بلداً حول العالم)، وكذلك من الناحية الجيوسياسية، حيث تقع في منطقة محفوفة بدول مخاصمة لها. فليس لها منفذ على البحر، ولا تملك مصادر ثابتة ومضمونة للطاقة، وتفتقر إلى الخبرات الكافية لإدارة مؤسسات دولة، والأهم أنها باقية لأن ثمة تناقضات إقليمية ودولية توفر لها فرصة البقاء على قيد الحياة. ولكن من المؤكد أن هذه الفرصة لن تكون طويلة الأمد، لأن تهديدها لم يعد موجهاً لدولة أو طرف محدد بل هي تشكل خطراً على السلام العالمي (انظر الملحق).

ثمة مصدر خطر آخر يهدد وحدة «الدولة الاسلامية» ويتمثل في سياسة التمييز على أساس قطري (عراقي/سوري/مصري/سعودي/كويتي/تونسي... الخ)، أو قومي (عربي/أجنبي). برزت مؤشرات هذه السياسة في أكثر من محطة: إصرار العراقيين على تعيين عراقي في منصب أمير المؤمنين. وقد أدى الخلاف حول تعيين أبو أيوب المصري (أبو حمزة المهاجر) في منصب أمير «تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين» إلى إسقاط التنظيم نفسه، واستبداله بتنظيم «دولة العراق الاسلامية» وتعيين أبو عمر البغدادي أميراً عليها. تنبه أيمن الظواهري إلى خطورة هذا العنصر في رسالته إلى الزرقاوي، حين سأل عن ردود فعل العراقيين على تعيين غير عراقي على رأس التنظيم. وكما يبدو، لم يشأ العراقيون في بدايات التشكل التنظيمي الخوض في هذه المسألة، بانتظار رسوخ التنظيم وصلابته. في إحدى الرسائل التي وصلت إلى بن لادن من «المجاهدين القدامى» من المملكة السعودية ثمة إشارة إلى

تجاذبات داخل «القاعدة» على أساس قطري. فهناك من كان يرجّح إقحام السعودية ضمن دائرة عمليات التنظيم، فيما تلفت الرسالة إلى معارضة صاحبها مرجعاً ذلك إلى «الحسد».

هناك من تساءل مستنكراً حول السبب الذي يجعل المناصب القيادية في «داعش» مقتصرة على العراقيين، فيما يختص السعوديون بالعمليات الانتحارية، بدعوى أنهم «لا يهابون الموت». والحال، أن التفسير الشائع وسط السعوديين أن ثمة تراتبية في التنظيم على أساس قطري/طبقي تجعل من العراقي في موقع القيادة والسعودي والى حد ما الكويتي للعمليات الانتحارية.

في المحصلة، أن مدّة «نجاح» التجربة الداعشية لن تكون طويلة، بل هي تأتي في سياق تحوّل في الميول الشعبية، أو بالأحرى مرحلة اختبار لخيارات جديدة أو قديمة يراد تطويرها بما ينسجم مع الزمن. ويبقى الأمل في «الطريق الثالث» الذي يشق طريقه بين القوى السياسية التقليدية والأنظمة التسلطية، ولكن هذا الطريق لم يتبلور في مشروع حتى الآن مع أنه نجح في قيادة الشارع في مصر وتونس ولكنه خسر الدولة.

في كل الأحوال، يبقى أن «داعش» هو مشروع لقطاع واسع من الشباب أصيب باحباط شديد على مستويات عدّة اقتصادية/معيشية، وثقافية، وسياسية، واجتماعية. وإن جاذبية التنظيم تكمن في بزوغه في لحظة تاريخية مفصلية، منحه فرصة استيعاب الاحتياطي البشري الذي تراكم على هامش الدول، حيث أخفقت في ادماجه ضمن مشاريع تنموية حقيقية.

وبفعل عوامل محلية إيديولوجية وسياسية واقتصادية وثقافية، فإن المملكة السعودية، ومنطقة نجد على وجه الخصوص، مرشحة لأن تكون مسرحاً للتجاذب بين نموذجين: الوهابية المعدلة والوهابية الأصلية.

ثبت المصادر

- باتريك كوكبيرن، داعش.. عودة الجهاديين، دار الساقى بيروت 2014
- خير الدين الزركيلي، الاعلام قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، مايو 1980
- الدرر السننية في الاجوبة النجدية، جمع عبد الرحمن بن محمد النجدي، الطبعة السابعة، 2004
- سانت جون فيلبي، بعثة إلى نجد 1917-1918، ترجمة وتعليق عبد الله الصالح العثمين، الرياض، ط2 سنة 1992
- أمين الريحاني، ملوك العرب، دار الجيل بيروت 1987
- أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث وملحقاته، الطبعة الأولى، بيروت 1928
- أحمد عبد الغفور عطار، صقر الجزيرة، مطبعة الحرية، بيروت، الطبعة الثالثة، 1972
- سليمان بن سحمان النجدي، الهدية السننية والتحفة الوهابية النجدية، مطبعة المنار، مصر، سنة 1342هـ
- الشيخ سليمان بن سحمان، منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع، تحقيق عبد السلام بن برجس العبد الكريم، مكتبة الفرقان، عجمان، الطبعة الأولى 1417هـ
- جون س. حبيب، الاخوان السعوديون في عقدين 1910 - 1930، ترجمة الدكتور صبري محمد حسن، دار المريخ للنشر، الرياض، 1998
- ناصر الحزمي، أيام مع جهيمان..كنت مع «الجماعة السلفية المحتسبة»، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت الطبعة الثانية 2011
- ناصر الحزمي، (ذكرياتي مع جهيمان العتيبي قائد المحتلين للمسجد الحرام) من كتاب (قصة وفكر المحتلين للمسجد الحرام)، مركز المسبار للدراسات والبحوث في دبي، شباط (فبراير) سنة 2011
- مقبل بن هادي الوادعي، المخرج من الفتنة، مكتبة صنعاء الأثرية، الطبعة الاولى سنة 2002
- رسائل جهيمان العتيبي:
- رسالة الإمارة والبيعة والطاعة، طبع خاص، د.ت

- الميزان في حياة الإنسان، طبع خاص، د.ت
- رفع الالتباس عن ملة من جعله الله إماما للناس، طبع خاص، د.ت
- الفتى وأخبار المهدي.. ونزول عيسى عليه السلام وأشراف الساعة
- حمود بن عقلا التويجري، إتحاف الجماعة، مطبعة المدينة الرياض، 1396/1976
- مجموع فتاوى ابن تيمية، تقي الدين ابن تيمية، مجمع الملك فهد، 1995م
- مجموع فتاوى الشيخ عبد العزيز بن باز، موقعه الرسمي على الشبكة
- علي الوردى، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، قم - إيران، 1413 - 1992
- رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، (د.ت)
- الرسائل الشخصية، التصحيح والمقابلة على النسخ الخطية والمطبوعة صالح بن فوزان الفوزان محمد بن صالح العليقي، المجلد السابع من مؤلفات الامام محمد بن عبد الوهاب
- شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي، الأصول الثلاثة وأدلتها.. من مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والارشاد، على نفقة مؤسسة الحرمين الخيرية، وبإشراف وكالة شؤون المطبوعات الفنية بالوزارة، الرياض، الطبعة العاشرة 1420هـ
- مجموع فتاوى ابن تيمية، تقي الدين ابن تيمية، مجمع الملك فهد، 1995م
- أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار ابن حزم، 1999م
- أبي بكر ناجي، إدارة التوحش... أخطر مرحلة ستمر بها الأمة، مركز البحوث والدراسات والبحوث الإسلامية، د.ت
- الشيخ أبي بكر ناجي، طريق التمكين، سلسلة مقالات في فقه التغيير، الحلقة الثانية، من سلسلة تحفة الموحدين في طريق التمكين، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية
- أمين معلوف، الهويات القاتلة، دمشق، 1999
- سفر الحوالي، العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، صنعاء، 1982
- الشيخ الدكتور سفر بن عبد الرحمن الحوالي، الأشاعة عرض ونقد، سلسلة كتاب

- البيان 113، سلسلة تصدر عن مركز البحوث والدراسات، مجلة البيان 1430هـ - سفر بن عبد الرحمن الحوالي، ظاهرة الارجاء في الفكر الاسلامي، دار الحكمة للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى 1999
- فؤاد ابراهيم، السلفية الجهادية في السعودية، دار الساقى، بيروت، 2009
- محمود شكري الألوسي، تاريخ نجد، عنى بتحقيقه والتعليق عليه محمد بهجة الأثري، الطبعة الثالثة ، 1415هـ (د.ط)
- ياسين أفندي بن خير الله الخطيب العمري، الدر المكنون في المآثر الماضية من القرون، نشر معاوية أحمد ناظم العمري، مخطوط
- محمد بو هلال، خطاب الصحة السعودية..مقاربة لموقفها من العلمانية والديمقراطية والمخالف الفقهي والعقدي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2014
- ستيفان لأكروا، زمن الصحة..الحركات الإسلامية المعاصرة في السعودية، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2012 ص 63
- أسامة بن منقذ، كتاب الاعتبار، حرّره فيليب حتي د. ف، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (د.ت)
- أبو حمزة المهاجر، الدولة النبوية، تقديم وتعليق ابو الغيداء الأردني، كتيبة الكواشف الاعلامية الجهادية 2008
- إعداد د. هيثم مناع، خلافة داعش من هجرات الوهم إلى بحيرات الدم، إصدارات المعهد الاسكندنافي لحقوق الإنسان آب أغسطس 2014
- الرسائل الشخصية، التصحيح والمقابلة على النسخ الخطية والمطبوعة صالح بن فوزان الفوزان محمد بن صالح العليقي، المجلد السابع من مؤلفات الامام محمد بن عبد الوهاب
- أبو قتادة الفلسطيني، جؤونة المطيبين، مقدّمة أبو محمد المقدسي، طبع خاص
- ابو مصعب السوري، مختصر شهادتي على الجهاد في الجزائر، الحلقة السادسة من (سلسلة قضايا الظاهرين على الحق)، (د.ت)
- النبع الفياض في تأييد الجهاد في الرياض، جمع صالح بن سعد الحسن، من إصدارات (صوت الجهاد في جزيرة العرب)
- الشيخ أبو بصير الطرطوسي (سؤال وجواب عن حكم النظام السعودي) من كتاب

(شهادة الثقات..آل سعود في ميزان أهل السنة)، جمع صالح بن سعد المحسن، نشر خاص، 2003

- الشيخ أبو قتادة الفلسطيني، من شوكة التكاية إلى شوكة التمكين، من كتاب «مقالات بين منهجين»

- عبد المجيد المنيع، عقيدة الطائفة المنصورة، صوت الجهاد، شبكة القلمون الاسلامية، (د.ت)

- محمد المقدسي، وقفات مع ثمرات الجهاد..بين الجهل بالشرع والجهل بالواقع، منبر التوحيد والجهاد، 2007

- حسام تمام، تسلّف الإخوان.. تآكل الأطروحة الإخوانية وصعود السلفية في جماعة الإخوان المسلمين، الاسكندرية، مصر: مكتبة الاسكندرية، وحدة الدراسات المستقبلية، 2010

- محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وأثرها السيء في الأمة، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى 1425هـ

- الشيخ ابراهيم بن سليمان الرييش، د. سلمان العودة خلال عشرين عاماً، نشر خاص، 12 أكتوبر 2009

- يوسف العييري، مناصحة سلمان العودة بعد تغيير منهجه، عن منبر التوحيد والجهاد: أبو محمد المقدسي، 15 أغسطس 2000

- يوسف العييري، الحملة العالمية؛ زيف وخداع وشعارات كاذبة، منبر التوحيد والجهاد، 7 يونيو 2003

- يحيى بن علي الغامدي، سنوات خداعة.. دراسة لواقع دعاة الصحو، منقول من مجلة (صوت الجهاد)، الناطعة باسم تنظيم القاعدة في جزيرة العرب، الأعداد من 5 إلى 10، الجبهة الإعلامية الإسلامية العالمية

- إبراهيم فاعور الشرعة، حركة فيصل الدويش في نجد بين عامي (1927 - 1930)، مؤتة للبحوث والدراسات، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد السادس والعشرون، العدد الرابع، 2011

الكلمات الصوتية لقادة «داعش»

- ابو أسامة العراقي، محطات من جهاد الأمير أبو عمر البغدادي، منتديات (منبر الاعلام الجهادي)، 6 سبتمبر 2012

- كلمة أبي بكر البغدادي «باقية في العراق والشام»، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، منتديات المنبر الاعلامي الجهادي، 15 يونيو 2013

- كلمة أبي بكر البغدادي (ولو كره الكافرون)، مؤسسة الفرقان للإنتاج الاعلامي، 13 نوفمبر 2014

- أبي إبراهيم الموصللي نشر في «منتدى المنبر الإعلامي الجهادي» بعنوان «رسالة الدولة الإسلامية في العراق والشام إلى تنظيم قاعدة الجهاد، قولنا الصاعق الحارق إلى المتشنج المارق إلى أيمن الظواهري»، 8 أبريل 2014

- الشيخ أبي محمد العدناني، إن دولة الاسلام باقية، الصادرة عن مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي 7 أغسطس 2011

- أبو محمد العدناني، «لن يُضْرَوكُم إلّا أذى»، مؤسسة الفرقان للإنتاج الاعلامي، 30 يوليو 2013

- ابو محمد العدناني الشامي، كلمة صوتية بعنوان (لك الله أيتها الدولة المظلومة) مؤسسة الفرقان للإنتاج الاعلامي، 30 سبتمبر 2013

- أبو محمد العدناني، الناطق باسم الدولة الاسلامية، «السلمية دين من؟»، مؤسسة الفرقان للإنتاج الاعلامي، موقع الملاحم والفتن، 31 أغسطس 2013

- أبو محمد العدناني، كلمة «فذرهم وما يفترون»، المنبر الاعلامي الجهادي، مؤسسة الفرقان للإنتاج الاعلامي، بتاريخ 9 إبريل 2013

- أبي محمد العدناني الشامي، المتحدث الرسمي للدولة الاسلامية في العراق والشام، عذراً أمير القاعدة، مؤسسة الفرقان عن وكالة الأنباء الإسلامية - حق، 12 مايو 2014

- أبو محمد العدناني، العراق العراق يا أهل السنة، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، 24 فبراير 2012

- أبو عمر البغدادي، جريمة الانتخابات الشرعية والسياسية.. وواجبنا نحوها، نخبة الاعلام الجهادي، قسم التفرغ والنشر، 12 فبراير 2010

- أبو عمر البغدادي، (فأما الزبد فيذهب جفاءً)، موقع النخبة، بتاريخ 4 ديسمبر 2007

- الشيخ ابو عمر البغدادي: (قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي)، مؤسسة الفرقان للإنتاج الاعلامي، 13 مارس 2007
- الشيخ/ أبو عمر البغدادي، كلمة (أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ)، مؤسسة النخبة 22 ديسمبر 2007
- أبو عمر البغدادي، حَصَادُ الْخَيْرِ (سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ)، مؤسسة النخبة على الشبكة، 17 مارس 2009
- أمير المؤمنين أبو عمر البغدادي، حصاد السنين بدولة الموحدين، مؤسسة الفرقان للإنتاج الاعلامي، دولة العراق الاسلامية، وزارة الاعلام، 16 إبريل 2007
- أبي حمزة المهاجر، وزير الحرب بدولة العراق الإسلامية، اللقاء الصوتي الأول، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، 24 أكتوبر 2008

وكالات أنباء

- وكالة الأنباء الفرنسية
- صحف ومجلات
- صحيفة (النهار) اللبنانية
- جريدة (الرياض) السعودية
- مجلة (الجزيرة العربية)، لندن، الناطقة باسم الحركة الاصلاحية
- جريدة (السفير) اللبنانية
- الجزيرة نت
- صحيفة (القدس العربي) لندن
- صحيفة (الحياة) السعودية
- صحيفة (الشرق الأوسط) السعودية
- مجلة (المجلة) السعودية
- جريدة (الاخبار) اللبنانية
- صحيفة (واشنطن بوست)

مواقع الكترونية

- موقع «العربية».

- موقع (رأي اليوم) لندن

- موقع «سبر»

- موقع «النخبة»

- منبر التوحيد والجهاد

- موقع (العهد) الإلكتروني

- شبكة مشكاة الإسلامية

- موقع موسوعة الإخوان

www.ikhwanwiki.com

- موقع الشيخ عبد العزيز بن باز، المفتي العام السابق في المملكة

- موقع الشيخ عبد الرحمن البراك، قسم الفتاوى

- يوتيوب

- تويتر

مدونات

- محمد أبو رمان، السلفية في المشرق العربي من كتاب «الحركات الإسلامية في الوطن العربي» 3 أكتوبر 2013 - مدونة محمد أبو رمان

- غلو أبو قتادة الفلسطيني في الإرجاء والتجهيم، مدونة الخلافة، بتاريخ 2 مارس 2014

تقارير

-Richard Barret, Foreign Fighters in Syria. Issued by The Soufan Group, June 2014, New York

- Joseph A. Carter, Shiraz Maher & Peter R. Neumana (eds), #Greenbirds: Measuring Importance and Influence in Syrian Foreign Fighter Network, issued by International Centre For The Study of Radicalisation and Political Violence, ICSR, Kings College London, 2014

- Curtin Winsor, Jr, Saudi Arabia, Wahhabism and the spread of Sunni theofascism; Mideast Monitor Volume 2 No I, June/July 2007

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

- أحمد الصراف: 257، 258
 أحمد عبد الغفور عطاء: 33
 أحمد العلي (اسم على تويتر): 244
 أحمد فاضل الخلايلة = أبو مصعب الزرقاوي
 أحمد ياسين (مؤسس حركة حماس): 210
 الأحواز: 164
 الإخوان (في السعودية) = إخوان من أطاع الله
 إخوان الترابي = تيار إخوان الترابي
 الإخوان المسلمون (في سوريا): 214
 الإخوان المسلمون (في مصر): 16، 56، 78، 79، 138، 139
 إخوان من أطاع الله: 26 - 47، 50 - 73
 إدارة التوحش = جهاد التوحش (عند داعش)
 إدلب (في سوريا): 124، 222
 الإرجاء: 86
 الأردن: 43، 81، 150، 156، 179، 182، 232، 238
 الأرطاوية (في الحجاز): 40
 الأزمة السورية: 17
 أبو أسامة العراقي (خالد عثمان): 118 - 121
 أسامة بن لادن (زعيم القاعدة): 97، 98، 120، 123، 168، 179 - 230، 262، 263، 271، 273
 أسامة بن مرشد الكنانى = أسامة بن منقذ
 أسامة بن منقذ: 151، 152
 أبو إسحاق الجبوري: 205
 إسرائيل: 17
 الأسرة المالكة في الجزيرة العربية: 9
 الأسماء والصفات (من أركان عقيدة التوحيد):
 50
 الإسماعيلية: 151
 الأشاعرة: 51، 86، 180، 181
 الاعتدال السني: 16
 الاعتصام (مؤسسة تابعة لداعش): 128
 الأعراب: 34
- أ
 آسيا: 210
 آل الرشيد: 27، 32
 آل سعود: موجود في معظم صفحات الكتاب
 آل سلول: 236
 الأباضية: 136
 إبراهيم الجنابي (العميد): 13
 إبراهيم الراوي: 108
 إبراهيم الريش (الشيخ) = إبراهيم بن سليمان الريش
 إبراهيم السكران: 79
 إبراهيم بن سليمان الريش: 90، 96، 97
 إبراهيم بن عواد البدرى = أبو بكر البغدادي
 إبراهيم الفارس: 247
 إبراهيم فاعور الشرعة: 31
 إبراهيم بن محمد علي باشا: 23
 أبو إبراهيم الموصلي: 124
 أبها (في السعودية): 80
 أبو غريب (في العراق): 189
 الاتحاد الوطني الكردستاني: 115
 الأتراك: 31، 32، 71
 اتفاقية سايكس بيكو: 153، 155
 ابن الأثير الجزري: 71
 احتلال العراق للكويت (سنة 1990): 18
 الاحتلال العسكري للأميري للعراق (سنة 2003):
 18
 أحرار الشام: 242
 الأحساء (في السعودية): 27، 43، 62، 242
 أحمد الله تعالى (اسم كاتب): 170
 أبو أحمد الجنابي: 201
 أحمد بن حنبل (الإمام): 252
 أحمد حسن البكر (رئيس العراق السابق): 110
 أحمد الخالدي: 103

- الأعظمية (في العراق): 189
الإفرنج: 31، 151
الأفغان: 233
الأفغان العرب: 178
أفغانستان: 102، 125، 148، 155، 164، 174، 196، 197، 216، 264
أفلاطون العرب (اسم على تويتر): 244
الأكاديمية العسكرية الأميركية: 207
الأكرد: 112، 174، 187
الألباني = ناصر الدين الألباني
ألكس الكسييف: 76
الألوهية (من أركان عقيدة التوحيد): 50
الإمارات العربية المتحدة: 15
الإمارة العامة لجهة النصرة في القلمون: 142
أمراء آل سعود = الأمراء السعوديون
الأمراء السعوديون: 22، 23، 66، 88
أميركا = الولايات المتحدة الأميركية
الأميركيون: 176، 188، 191، 192
أمين الجنابي: 115
أمين الحلواني: 23
أمين الريحاني: 24، 27، 39
أمين معلوف: 135
الأنبار (في العراق): 112، 118، 157
انتفاضة الأقصى: 11
الانتفاضة الشعبانية (في العراق): 111
الإنجليز = البريطانيون
انجومان حيدري = منظمة انجومان حيدري (سلفية هندية)
أندونيسيا: 154، 210
أبو أنس الشامي (عمر يوسف جمعة صالح): 94، 119، 182، 183
أنصار الإسلام (في العراق): 113، 114
أنصار الإسلام = جماعة أنصار الإسلام (سلفية كردية)
أنصار السنة (في العراق): 110، 114
أهل البوادي: 138
- أهل ساجر: 56
أهل السنة والجماعة = السنة
أهل الطائف: 145
أهل الكتاب: 85
أهل الكويت: 41
أهل نجد: 23، 37، 71
أهل النجف: 107
الأوزاعي (الإمام): 145
أياد علاوي: 140، 189
إيران: 164
الأيزيدية: 152
إيطاليا: 154
إيمان البغا (الدكورة): 259
أمن الظواهري: 123، 124، 190، 191، 192، 207، 220، 221 - 230، 262، 263، 271، 272
أبو أيوب المصري (أبو حمزة المهاجر)
- ب**
بابل (في العراق): 157
باتريك كوكيرين: 12
باكستان: 148، 155، 156، 164، 210، 217، 232
بالي (منطقة): 147
بدر بن عجاب المقاطي: 264
بديع الدين الراشدي: 47
البراء: 86
ابن برجيس البغدادي: 109
برغش بن طوالة: 232، 234
برمنجهام (مدينة بريطانية): 80
برنارد هيكال: 226، 227
بريان فيشمان: 226
بريدة (في السعودية): 78، 80
بريطانيا: 46، 80، 150
البريطانيون: 41، 44، 45، 155
أبو بشار الحجازي: 232
ابن بشر: 121
بشير النجدي (الشيخ): 232

- البصرة: 106، 189
 أبو بصير = عبد الكريم الوحيشي
 أبو بصير الطرطوسي: 234
 البعثية (نسبة لحزب البعث): 140
 بغداد: 10، 11، 107، 119، 157، 174، 189
 البغدادي = أبو بكر البغدادي
 البغدادي = أبو عمر البغدادي
 أبو بكر البغدادي: 9، 117، 122، 124، 157 - 171، 235، 236، 237، 260، 270، 271، 272، 273
 أبو بكر الجبوري: 201
 أبو بكر الجزائري: 62
 أبو بكر الصديق: 153
 أبو بكر ناجي (سيف العدل): 147، 148 - 156، 232، 235
 بلاد الرافدين = العراق
 بلاد المغرب: 156
 البلاط النوري (في دمشق): 151
 بندر بن سلطان آل سعود: 266
 بندر القحطاني (اسم على تويت): 244
 بندر قدير (اسم على تويت): 245
 بنش (قرية في ريف إدلب): 138
 البوسنة: 96، 102، 197
 بول برير (الحاكم المدني الأميري في العراق): 12
 بول جونسون: 193
 البيرة (منطقة): 113
 بيت الإخوان السلفيين (في مكة): 53
 بيت الله الحرام: 33، 72
 بيرسي كوكس (الحاكم السياسي البريطاني): 35، 108
 بيروت: 99، 151
 بيعة الملح: 259
 ت
 تابعو التابعين: 50
 التابعون: 50
 التبليغ = جماعة التبليغ
- تبوك: 71، 73، 243
 ترانيم (اسم على تويت): 246
 تربة (واد) = وادي تربة
 الترك = الأتراك
 تركي الحمد (كاتب سعودي): 179
 تركي بن سعود آل سعود: 23، 24
 تركي بن عبد العزيز (اسم على تويت): 244
 تركيا: 147، 151، 264
 تشالز شومر (سيناتور أمريكي): 76
 التكفير (في العقيدة الوهابية): 22
 التكفير والهجرة = جماعة التكفير والهجرة
 تكية الخالدي (في بغداد): 108
 التمكّن (عند داعش): 171، 232
 بنو تميم: 31
 تنظيم بيعة الإمام: 179
 تنظيم القاعدة في جزيرة العرب: 193، 262
 تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين: 125، 200
 التوحش = جهاد التوحش (عند داعش)
 التوحيد = جماعة التوحيد
 التوحيد = حركة التوحيد
 التوحيد والجهاد = جماعة التوحيد والجهاد
 التوحيد والجهاد في بلاد الرافدين = جماعة
 التوحيد والجهاد في بلاد الرافدين
 تورا بورا (منطقة): 197
 تونس: 17، 147، 164، 198، 238، 242، 274
 تيار إخوان الترابي: 148
 تيار الجهاد الشعبي: 148
 تيار السلفية الجهادية (القاعدة، داعش): 148
 تيار سلفية الصحوة: 148
 تيار الصحوة: 78، 79 - 104
 التيار الصدري (نسبة لمقتدى الصدر): 188
 التيار العلماني (في تونس): 17
 التيار الوهابي = الوهابية
 ابن تيمية: 36، 50، 51، 65، 79، 126، 139، 159، 169، 228، 232، 252
 التيولوجيون الإسلاميون: 9

ث

ثامر الريشاوي: 185

ثناء الإمام (إعلامية سورية): 10، 11

ثورات الربيع العربي: 209

الثور الإسلامية في إيران: 76

الثورة الفرنسية: 65

ج

جاسر الخربش: 258

الجامع الأزهر (في مصر): 58

جامع أم القري: 171

جامع الإمام أحمد بن حنبل: 122

جامع الأمير متعب بن عبد العزيز آل سعود (في

الرياض): 52

جامع براثا (في بغداد): 171

جامع سامراء: 248

جامع السوق المركزي: 96

جامع العساف (في بغداد): 119

الجامع الكبير (في الرياض): 61

الجامعة الإسلامية (في المدينة المنورة): 52، 58

جامعة أم القري: 58، 245

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (في

السعودية): 58، 129

جامعة الدمام: 259

جامعة صدام للعلوم الإسلامية: 122

جامعة الملك سعود (في الرياض): 58

الجامعي = محمد بن أمان الجامي

الجامية (نسبة لمحمد بن أمان الجامي): 114

الجبرية: 81

جبل عرفات (في مكة): 239

الجهة الإسلامية (في سوريا): 15، 142

جبهة تحرير مورور: 148، 155

جبهة النصرة (في سوريا): 13، 15، 123، 142،

242، 221

الجبور (قبيلة): 158

جدة: 55، 62، 80

جرباب (منطقة في السعودية): 27

جربة (في تونس): 147

جريدة السفير البيروتية: 61

الجزائر: 148، 155، 164، 181

الجزراوي (من انتحاري داعش): 243

الجزيرة (صحيفة سعودية): 9

الجزيرة العربية: موجودة في معظم صفحات

الكتاب

الجزيري (اسم على تويت): 244

الجعفري: 140

الجماعة الإسلامية (في مصر): 155

الجماعة الإسلامية (بقيادة الشيخ عمر عبد

الرحمن): 60

جماعة أنصار الإسلام (سلفية كردية): 183

جماعة أنصار السنة: 184

جماعة بوكو حرام (في نيجيريا): 15

جماعة التبليغ (في السعودية): 52

جماعة التكفير والهجرة (في مصر): 56، 60

جماعة التوحيد (في العراق): 110

جماعة التوحيد (في السعودية): 53، 94

جماعة التوحيد والجهاد: 114، 182، 183، 185

جماعة التوحيد والجهاد في بلاد الرافدين: 185

جماعة جند الإسلام: 184

جماعة جهيمان العتيبي: 47، 50 - 73

جماعة الدعوة والهجرة = جماعة التكفير

والهجرة

جماعة السلفية المحتسبة: 50 - 73

جماعة فائز الزيدي: 112

جماعة المسلمين (في مصر): 56

الجماعة المقاتلة (في ليبيا): 155

جماعة يعقوبي: 65

جمال عبد الناصر (رئيس مصر السابق): 57، 58،

59، 78

جمال معروف: 124

جند الإسلام (في العراق): 113

جند الإسلام = جماعة جند الإسلام

- جند الأقصى: 123
جند الصحابة (في العراق): 116
الجهاد (في العقيدة الوهابية): 22
الجهاد الإسلامي = حركة الجهاد الإسلامي
جهاد التوحش (عند داعش): 147 - 156، 232
جهاد دفع: 145
الجهاد الشعبي = تيار الجهاد الشعبي
جهاد طلب: 145
جهاد النكاية (عند داعش): 144، 145
الجهاديون الجزائريون: 181
الجهمية: 181
جهيمان العتيبي: 47، 50 - 73، 92
جهيمان بن محمد بن سيف العتيبي = جهيمان العتيبي
الجوف (منطقة في السعودية): 243
جون . س . حبيب: 28، 29، 30، 39، 43، 45
جون فيلبي: 33
الجويني (أبو المعالي): 170
جيش إخوان من أطاع الله: 19، 20
الجيش الإسلامي (سلفي وهايي): 110، 178
جيش أنصار السنة: 114
جيش أنصار السنة - الهيئة التشريعية: 114
الجيش الحر (في سوريا): 15، 142
جيش الطائفة المنصورة: 200
جيش الفاتحين (في العراق): 116
جيش القدس (في العراق): 11
جيش المجاهدين (في العراق): 114، 122، 178
جيش المهدي (بقيادة مقتدى الصدر): 188
- ح
حارث الضاري: 171، 178
الحاكمية (في فكر سيد قطب): 59
حامد داود محمد خليل الزاوي = أبو عمر البغدادي
حامد الزاوي = أبو عمر البغدادي
حائل (في السعودية): 62، 247
- الحجاج الشاميون: 23
الحجاج المصريون: 23
الحجاز: 23، 33، 40، 66، 234
الحجرة النبوية: 23
حجي بكر (العقيد): 13، 121
الحدادة: 86
حدائق شبرا (في الطائف): 34
حديثه (مدينة في العراق): 118
حرب أكتوبر (سنة 1973): 53
الحرب الأمريكية على العراق (سنة 2003): 10
الحرب العالمية الثانية: 155
الحرب العراقية الإيرانية: 111
الحرس الوطني (في السعودية): 61
الحرة الشرقية (في المدينة المنورة): 56
حركة التوحيد (في العراق): 113
حركة الجهاد الإسلامي (في فلسطين): 155
حركة حماس (في فلسطين): 148، 155، 210
حركة حماس الكردية: 113
حركة الشباب المجاهدين (في الصومال): 155
حركة طالبان (في أفغانستان): 114، 179، 180 - 183
حركة فتح الفلسطينية: 210
الحرمان الشريفان: 23، 234، 254
الحروب الصليبية: 96
الحزب الإسلامي (في العراق): 140
حزب الله (في لبنان): 17
حزب البعث العراقي: 110
الحزب الشيوعي السوفييتي: 77
حزب النور السلفي (في مصر): 139
حسام تمام: 79
الحسكة (في سوريا): 222
حسن (الشيخ فريد محمد بن عبد الوهاب): 22
أبو الحسن الأزدي: 95، 127، 170
الحسن بن محمود (أبو عبد الله): 115
حسن نصر الله (أمين عام حزب الله في لبنان): 17
حسني مبارك (رئيس مصر السابق): 139

حسين (اسم على توثيق): 245
 حسين بك (قائد الجيش المصري في السعودية): 23
 حسين بن محمود (الشيخ): 232
 حسين مرتضى (مراسل قناة العالم الفضائية): 266
 حصن كيفا: 151
 الحكم العراقي: 9
 حكومة طالبان: 114

د

الدار الأتابكية (في الموصل): 151
 دار الإفشاء المصرية: 260
 دار الحديث (تابعة للجامعة الإسلامية في
 السعودية): 56
 داعش: موجود في معظم صفحات الكتاب
 الدالوة (قرية): 242
 داود (الشيخ): 108
 الدجال (المسيح): 70
 دجلة (نهر): 151
 الدرعية (مدينة في السعودية): 23، 148، 166
 الدعوة والهجرة = جماعة الدعوة والهجرة
 الدمام (في السعودية): 80، 240
 دمشق: 151، 222
 الدورة (منطقة في العراق): 189
 الدولة الإسلامية في العراق والشام = داعش
 الدولة السعودية = المملكة العربية السعودية
 الدولة السعودية الأولى: 22، 24
 الدولة السعودية الثانية = المملكة العربية
 السعودية
 الدولة العثمانية: 31، 32
 ديبالي (في العراق): 157
 دير الزور (في سوريا): 15، 137، 222
 ديك تشيني (نائب الرئيس الأمريكي): 194
 ديكسون: 28
 الديوبندية (عقيدة طالبان): 180

ر

الراشد البغدادي (أبو عبد الله): 117
 الراعي = محمد الندي الجبوري (العميد)

حلب (في سوريا): 125، 222
 حماس = حركة حماس (في فلسطين)
 حماس الكردية = حركة حماس الكردية
 حماه: 151، 222
 أبو حمزة المصري: 168
 حمص: 222
 أبو حمزة المهاجر: 116، 117، 120، 153، 157،
 158، 159، 201، 202، 206، 207، 273
 حمود صالح العقيل: 52
 حمود بن عقلا التويجري: 71، 97، 102، 178
 الحنفية (نسبة لأبي حنيفة الإمام): 106
 الحنبلية (المذهب الحنبلي ، نسبة للإمام أحمد
 بن حنبل): 29
 حي الجامعة (في العراق): 189
 حي العدل والحرية (في العراق): 189
 حي المونسية (في الرياض): 193
 الحياة (مؤسسة تابعة لداعش): 128

خ

خالد أبو يوسف بشر: 165
 أبو خالد السوري: 125، 204
 خالد بن سلطان آل سعود: 239
 خالد عثمان = أبو أسامة العراقي
 خالد بن لؤي: 33
 خالد النقشبندی: 109
 الخبر (في السعودية): 193
 خراسان: 160
 الخلافة الإسلامية: 8
 ابن خلدون: 9

- الرافضة (الروافض): 43، 236، 247
رائد خريسات: 182
الربوبية (من أركان عقيدة التوحيد): 50
الربيع العربي: 17، 19
ابن رجب الحنبلي: 36
رسول الله (ص): 14، 64، 70، 90، 122، 144، 157، 158، 226
ابن رشد (أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي):
144، 145
الرشيد = آل الرشيد
رشيد دستم: 219
رشيد رضا (الشيخ): 35
الرقعة (في سوريا): 15، 222
ركين (موقع الكتروني سعودي): 241
الرمادي (في العراق): 185
الروافض = الرافضة
روبرت بيت: 252
الرياض (عاصمة السعودية): 9، 33، 39، 52، 55، 62، 76، 80، 129، 232، 261
ريتا نابليون: 188
ريتشارد باريت: 242
ريف إدلب: 138
ريف حلب: 121
ريف دمشق: 222، 243
ريف اللاذقية: 222
ريم الصالح (اسم على تويتر): 246
- ز
الزاوية (قرية في العراق): 118
زايد بن فايد (اسم على تويتر): 246
الزبير (مدينة في العراق): 106
الزرقاء (مدينة في الأردن): 178
الزرقاوي = أبو مصعب الزرقاوي
زين العابدين بن علي (رئيس تونس السابق):
139
- س
ساجر (مدينة في السعودية): 56
سامراء: 122، 248
سانت جون فيليب: 27
السبلة (منطقة): 44، 45، 46
السيثية (نسبة لعبد الله بن سبأ): 187
ستيفان لأكروا: 58
سجن أبو غريب: 113
سجن بوكا (في العراق): 113
سجن مطار بغداد: 113
سرايا أنصار التوحيد: 200
سرايا الأهوال: 200
سرايا الجهاد الإسلامي: 200
سرايا الغرباء: 200
سرداب جامع سامراء: 248
السروريون (نسبة لمحمد بن سرور زين
العابدين، رجل الدين السوري): 78، 114
سرية الفلوجة: 193
سرية القدس: 193
سعد التميمي: 52
سعد الحميد: 205
سعد بن طفلة العجمي (وزير الإعلام الكويتي
السابق): 257
سعدون القاضي: 110، 114
سعود بن عبد العزيز بن محمد آل سعود: 25، 41، 47، 90، 223
سعود الفيصل (وزير خارجية السعودية): 24
السعودية = المملكة العربية السعودية
السعوديون: 52، 115
السفارة التركية في بغداد: 115
سفر الحوالي: 51، 78، 80، 81، 85، 92، 94 -
104، 114، 148، 181
سكان نجد = أهل نجد
سلطان بن بجاد: 34، 41، 56
سلطان الدين السعودي: 34
سلطان بن عيسى العطوي: 243

- سلفية أحمد بن حنبل: 252
 سلفية ابن تيمية: 252
 السلفية الجهادية = تيار السلفية الجهادية
 سلفية الصحوه = تيار سلفية الصحوه
 السلفية المحتسبة = جماعة السلفية المحتسبة
 سلفيو الأردن: 251
 سلفيو العراق: 112، 113
 السلفية الجهادية: 9، 62، 76 - 104
 السلفية الوهابية: 51
 سلمان بن فهد العودة (الشيخ الصحوي): 9، 51، 78، 80، 83، 91، 94، 95، 96، 97، 114، 148، 175، 176
 سليمان بن أحمد الغنيم = أبو الليث النجدي
 سليمان بوغيث: 223
 سليمان بن سحمان: 35 - 39، 42، 43، 130
 سليمان السبيعي: 265
 سليمان بن شتيوي: 52
 أبو سليمان العثيبي (محمد الثبتي): 202، 203، 204، 205، 206
 السليمانية (في كردستان العراق): 113
 سمير الخليفاوي = حجي بكر (العقيد)
 سمير عبد حمد العبيدي الديلمي = حجي بكر
 سنجار: 198
 ابن سند البصري: 23، 134
 السنة (المسلمون): موجود في معظم صفحات الكتاب
 سنة العراق: 8، 12
 السودان: 210
 سوريا: 15، 116، 128، 142، 148 - 154، 184، 238، 240، 242، 264، 265، 266، 267
 سوزان جلاسر (صحافية أميركية): 116
 أبو سيف (زعيم حركة سلفية): 155
 سيد سابق: 59
 سيد قطب: 58، 59، 79، 80، 112، 227
 السيدة (في العراق): 189
 السيسي (رئيس مصر): 229
- ش
 شادية خزندار (اسم على تويتر): 246
 الشافعي (الإمام): 145
 الشافعي (نسبة للإمام الشافعي): 106
 الشام: 71، 106، 123، 151، 154، 164
 شاه إيران: 17
 الشباب المجاهدون = حركة الشباب المجاهدين
 شتيوي الغيثي: 252
 الشرق الأوسط: 18
 شركة هيلبرتون: 194
 شريف مكة: 32
 الشعوب السنية: 19
 شكسير (نقيب إنكليزي): 27
 الشنقيطي = محمد الأمين بن محمد بن المختار الشنقيطي
 الشيخ طنف (اسم على تويتر): 245
 شيزر (مدينة): 151
 الشيشان: 102، 216، 233
 الشيعة (المسلمون): 12، 15، 42، 51، 79، 81، 86، 108، 109، 136، 171، 174، 187
 شيعة الأحساء: 27، 41
 شيعة العراق: 111
 شيعة القطيف: 27، 41
 شيوخ الوهابية: 22
 الشيوعية: 140
- ص
 صالح بن سعد الحسن: 232، 233
 صالح بن عبد الله العبود: 130
 صالح بن عبد العزيز آل شيخ: 239، 240
 صالح الفوزان: 83، 180
 صالح المطلق: 140
 صبحي السامرائي: 109
 الصحابة: 50، 64
 صحاري الجزيرة العربي: 24
 الصحوه = تيار الصحوه

- صدام حسين (رئيس العراق السابق): 10، 13، 110، 111، 113، 180، 236
 صلاح الدين (مدينة في العراق): 112، 157
 صلاح الدين الأيوبي: 150
 الصليبيون: 142، 150، 174، 192
 صنعاء: 241
 الصوفية: 51، 86، 109، 136
 الصومال: 155، 164، 211
 الصين: 164
- ط
- طارق الدليمي: 110، 111
 طارق الهاشمي: 140
 طالبان (في أفغانستان): 114، 262
 الطائف: 33، 62
 الطائفة المنصورة: 86، 117
 الطبري: 36
 طرطوس (في سوريا): 234
 الطرطوسي (أبو بصير): 234
 طه صبحي (أبو محمد العدناني)= أبو محمد العدناني
 الطويلة (منطقة): 113
- ظ
- الظفير (قبيلة): 107
 الظواهري (أيمن) = أيمن الظواهري
- ع
- عادل الكلبناني: 78
 العاصي (نهر): 151
 عاصي العبيدي (العقيد): 13
 العامرية (في العراق): 189
 عانة (بلدة في الشام): 106
 العانيون (نسبة إلى بلدة عانة): 106
 عايش بن درميح: 53
 عايش القرني: 78، 80، 96
- عبد الله بن جبرين: 176
 أبو عبد الله الجبوري: 200
 عبد الله الحربي: 53
 أبو عبد الله الدوسري: 115
 عبد الله الرشود: 199
 أبو عبد الله الزيدي: 201
 عبد الله بن سبأ: 187
 عبد الله السبيعي: 265
 عبد الله السديري: 264، 265
 عبد الله السعد: 205
 أبو عبد الله الشافعي: 184
 عبد الله الصالح العثيمين: 27، 93
 عبد الله بن عبد الرحمن البسام: 23
 عبد الله بن عبد العزيز آل سعود: 239
 عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ: 24، 66
 عبد الله عزام: 154، 178
 عبد الله العقيل: 58
 عبد الله بن قاعد العتيبي: 264
 عبد الله بن محمد بن راشد بن محمود الرشود السبيعي = عبد الله الرشود
 أبو عبد الله المنصور (أمير الجيش الإسلامي): 118
 أبو عبد الله المهاجر: 232
 عبد الله الموحد: 179
 عبد الله بن ناصر الرشيد: 232
 عبد الباري عطوان: 238
 أبو عبد الجبار الجنائي: 201
 عبد الجليل: 139
 عبد الجليل إبراهيم: 108
 عبد الحميد نادر : 109، 110
 عبد الرحمن البراك: 143، 177، 205
 أبو عبد الرحمن البيلوي (العقيد): 13
 عبد الرحمن الحبيب: 252 - 256
 عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: 25، 26
 عبد الرحمن السويدي: 109، 131
 عبد الرحمن عبد الخالق: 82
 أبو عبد الرحمن الفلاح: 201، 202

- عبد السلام بن برجس العبد الكريم: 36، 42، 43
عبد السلام الشواف: 109
عبد السلام عارف (رئيس العراق السابق): 59
عبد السلام الوائل: 249، 250، 251
عبد العزيز آل الشيخ: 61، 259، 260
عبد العزيز آل عبد اللطيف: 95
عبد العزيز بن باز: 47، 52، 53، 62، 63، 66، 68، 91، 93، 112، 130، 131
عبد العزيز الخوجة (وزير الإعلام السعودي): 242
عبد العزيز الراجحي: 205
عبد العزيز الرنتيسي: 210
عبد العزيز بن سعود آل سعود (الملك): 20، 24، 26، 27 - 47، 61، 66، 67، 70، 108، 109، 136
عبد العزيز بن فهد آل سعود: 241
أبو عبد العزيز القطري (قائد جند الأقصى): 123
عبد العزيز المقرن (أبو هاجر) = أبو هاجر
عبد الفتاح السيسي (رئيس مصر): 229
أبو عبد القادر العيساوي: 201
عبد الكريم الوحيشي (أبو بصير): 97
عبد اللطيف بن حسن بن حسن آل الشيخ: 109
عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: 31، 38
عبد اللطيف الهميم: 111
عبد المجيد بن محمد المنيع: 129، 140
عبد المنعم عز الدين علي البدوي = أبو حمزة المهاجر
عبد المنعم مصطفى حليلة = أبو بصير الطرطوسي
عبد الوهاب النائب: 108
بنو عتيبة: 41
أبو عثمان التميمي: 202
عثمان بن عبد الحمم التميمي: 167
العثمانيون: 23، 31
ابن عثيمين = عبد الله الصالح العثيمين
العجمان (قبيلة): 32، 41
- عدنان إسماعيل نجم = أبو عبد الرحمن البيلوي (العقيد)
عدنان الدليمي: 140
عدنان لطيف السويدي (أبو مهند العقيد): 13
العدناني = أبو محمد العدناني الشامي
العدوان الإسرائيلي على غزة (سنة 2014): 142
العراق: موجود في معظم صفحات الكتاب
العراقيون: 11، 174
عرب جبور: 158
عرفات (جبل في مكة): 239
العز بن عبد السلام: 96
عساف مقدم: 226
عصام البرقاوي (أبو محمد المقدسي): 62
عقاب ممدوح المرزوقي/ 265
عقيدة التوحيد: 50
عقيدة الجهاد: 145
العقيدة الوهابية = الوهابية
العقير: 108
علاوي (أباد): 140، 189
علماء الشيعة: 171
علماء العراق السنة: 108
علماء العراق الشيعة: 108
علماء الوهابية: 32، 38، 66، 68، 143
العلمانية: 86، 140
علي خضير الخضير: 103
علي عبد الله صالح (رئيس اليمن السابق): 212، 213
علي الوردي: 107، 134، 135
أبو عمر البغدادي: 116، 117، 118 - 125، 131، 132، 137، 138، 140، 141، 142، 143، 152، 153، 157 - 200، 273
عمر الجبوري: 14
عمر حديد: 197
عمر بن الخطاب: 153
عمر عبد الحكيم = أبو مصعب السوري
عمر عبد الحمم (قائد الجماعة الإسلامية في

مصر): 60

77، 93

عمر محمود أبو عمر = أبو قتادة الفلسطيني
عمر يوسف جمعة صالح = أبو أنس الشامي
العومة: 19

العتساوي (أبو عبد الله) = محمد المنصور (أبو
عبد الله العتساوي)

عيسى ابن مريم عليه السلام: 70

عين العرب (في سوريا): 243

العينة (منطقة): 166

غ

أبو الغادية السوري (الشامي): 184، 199

غازي القصيبي: 92

الغزالي (محمد) = محمد الغزالي

الغزالية (في العراق): 189

غزة (في فلسطين): 142

غزو نظام صدام حسين للكويت (سنة 1990):

78

ابن غنام: 121

الغنوشي: 139

الغوطة الشرقية (في ريف دمشق): 243

ف

فاتح كريكار (الملا) = الملا فاتح كريكار

فاضل عبد الله العفري (أبو مسلم العقيد): 13

فاضل العيثاوي (أبو إلياس العقيد): 13

فائز الزيدي: 112

فتح = حركة فتح

الفراء الحنبلي (أبو يعلى): 9

الفرات (نهر): 106

الفرقان (مؤسسة تابعة لداعش): 128

فرنسا: 154

الفلبين: 155، 164

فلسطين: 99، 147، 164، 216

الفلوجة (في العراق): 112، 185، 186، 188

فهد بن عبد العزيز آل سعود (الملك): 61، 76

فؤاد إبراهيم: 198

فواز بن محمد النشمي: 193، 194، 195، 196

فيصل بن تركي آل سعود: 25، 26

فيصل الدويش (من قادة الإخوان في السعودية):

30، 31، 32

فيصل الرويلي: 243

فيصل بن عبد الرحمن الدخيل: 193

فيصل بن عبد العزيز آل سعود (الملك): 24، 41،

47، 52، 57، 78

فيليب حتي: 151

فيتنام: 175

ق

القاعدة (تنظيم سلفي): 9، 13، 14، 16، 18،

56، 63، 73، 93، 94، 104، 113، 129، 143،

148، 149، 157، 174 - 230

القاهرة: 151

قبائل شرق الأردن: 41

القبائل الشيعية العراقية: 42

قبائل العراق: 41

أبو قتادة الفلسطيني (عمر محمود أبو عمر):

150، 180، 181، 235

قتال التمكين: 146

قتال النكاية: 146

القدرية: 81

القذافي (معمر): 95، 139

القرطبي (أبو الوليد ابن رشد) = ابن رشد (أبو

الوليد محمد بن أحمد القرطبي)

قرقوش (مدينة في العراق): 153

قصر الخليفة الفاطمي (في القاهرة): 151

القصيم (في السعودية): 78، 240

قطر: 15، 217

القطيف (في السعودية): 27

قلعة الرياض: 23

القلمون (في سوريا): 142

قناة وصال التلفزيونية (في الرياض): 242
 القنصلية الأميركية في جدة: 262
 القوات الأميركية في العراق: 15
 قوات العاصفة الألمانية: 29
 القوقاز: 164
 القومية: 140
 ابن قيم الجوزية: 9، 36

ك

الكاظمية (في العراق): 185
 كبيسة (بلدة في الشام): 106
 كتائب أنصار التوحيد والسنة (في العراق): 116
 كتائب ثورة العشرين: 110، 178
 ابن كثير: 36
 كربلاء (في العراق): 107، 108، 185، 189
 كردستان: 182، 183، 184
 كردستان العراق: 113، 114
 كركوك (في العراق): 157
 كرومويل: 29
 كشمير: 155
 الكعبة المشرفة = البيت الحرام
 كلية الشريعة (في الرياض): 58
 الكلية العسكرية (في العراق): 13
 كلية اللغة العربية (في الرياض): 58
 كوبياني (في سوريا): 243
 كوستاريكا: 77
 الكويت: 15، 28، 41، 43، 78، 111، 217، 223
 الكوبيتيون: 60
 كيرتن ويندزور (سفير أميركا في كوستاريكا): 77
 كينغس كولج (في لندن): 238

ل

اللاذقية (في سوريا): 222
 لبنان: 148، 156، 238، 264
 اللطيفية (منطقة في العراق): 189
 لندن: 41، 238

لويس عطية: 94
 الليبرالية: 86
 ليبيا: 17، 155، 164، 198، 238
 أبو الليث النجدي: 199

م

الماتريديّة: 180، 181
 المارد (اسم على تويتر): 244
 أبو ماريّا القحطاني = ميسر علي موسى عبد الله
 الجبوري (المقدم)
 مازن حمزي (اسم على تويتر): 345
 مازن نهير (العقيد): 13
 مالك بن أنس (الإمام): 145
 مالك بن نبي: 258
 ماليزيا: 210
 ماهر أبو عبيدة: 240
 مبارك (حسني رئيس مصر): 139
 متعب بن عبد العزيز آل سعود: 52
 متمنطق (اسم على تويتر): 245
 مثنى حارث الضاري: 220
 مجاهد خراساني: 204، 205
 مجلس شوري المجاهدين: 116، 117، 200
 مجلة راية الإسلام: 90
 مجلة السنة: 80
 مجلة لواء الإسلام: 90
 مجمع الحزام الذهبي (في مدينة الخبر): 195
 مجمع الحمراء السكني (في الرياض): 261
 مجمع درة الجداول السكني (في الرياض): 261
 مجمع شركة فينيل السكني (في الرياض): 261
 مجمع شركة ينبت للبتروكيماويات (في ينبع): 196
 مجمع المحيا السكني (في الرياض): 262
 مجموعة سوفان للأبحاث: 242
 محارب الجبوري (أبو عبد الله): 157
 محارب عبد اللطيف الجبوري: 200
 محمد بن إبراهيم آل الشيخ: 47، 52، 59، 72،
 90، 92، 227

محمد أبو رمان: 112
 محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (أبو الوليد):
 144
 محمد بن أمان الجامي: 114
 محمد الأمين بن محمد بن المختار الشنقيطي: 68
 محمد البراك: 245
 محمد بشار الفيضي: 220
 محمد بهجة الأثري: 109
 محمد بوهلال: 80، 81
 محمد تقي الدين الهلالي: 109
 محمد الثبتي = أبو سليمان العتيبي
 أبو محمد الجولاني (قائد جبهة النص): 123،
 271، 221
 محمد حردان العيساوي: 114
 محمد حسين الجبوري: 114
 محمد خضير أبو منار: 114
 محمد السبيعي (اسم على توتير): 244
 محمد بن سرور زين العابدين: 78، 79، 80، 167
 محمد بن سعود آل سعود: 22
 محمد بن صالح العثيمين: 181
 محمد الصحاف (وزير الإعلام العراقي السابق):
 194
 محمد بن عبد الله (ص) = رسول الله (ص)
 محمد بن عبد الله القحطاني: 71، 72، 73
 محمد بن عبد الوهاب (مؤسس الوهابية): 19،
 22، 24، 25، 28، 29، 30، 38، 42، 50، 55، 87،
 109، 126، 128، 134، 137، 138، 148، 163،
 166، 251، 267، 270
 أبو محمد العدناني الشامي: 117، 132، 138،
 139، 152 - 154، 159 - 162، 222 - 225،
 228، 229
 محمد علي باشا (حاكم مصر): 23
 محمد علي المحمود: 245
 محمد الغزالي (الشيخ): 59، 83
 محمد قطب: 58، 59، 80
 أبو محمد اللبناني: 119

محمد المبارك: 58، 59
 محمد محمود الحياي (أبو بلال المقدم): 13
 محمد مرسي (رئيس مصر السابق): 18، 139، 229
 أبو محمد المشهداني: 201
 أبو محمد المقدسي (عصام البرقاوي): 56، 57، 62،
 91، 102، 103، 145، 146، 168، 169، 178، 179،
 182، 183، 184، 185، 209، 224، 225، 251
 محمد المنصور (أبو عبد الله العيساوي أمير
 جيش المجاهدين): 122، 123، 167، 168، 169،
 170، 171
 محمد ناصر الدين الألباني = ناصر الدين الألباني
 محمد بن نايف آل سعود: 97
 محمد الندي الجبوري (العميد): 13
 محمد يوسف (الجزائر): 219
 محمد يوسف عثمان = أبو عبد العزيز القطري
 محمود شكرى الألوسي: 109
 محمود عطية: 207
 محمود المشهداني: 111، 114
 المحيا (في الرياض): 147
 المخابرات البريطانية: 184
 مخيم سنجار: 198
 مدرسة الحديث (في الفقه الإسلامي): 106
 مدرسة الرأي (في الفقه الإسلامي): 106
 المدنية: 86
 المدينة المنورة: 41، 84، 52، 106، 157، 166
 المذهب الحنبلي: 29
 المرجئة: 81
 المركز الدولي لدراسة التطرف (في لندن): 238
 مركز مكافحة الإرهاب الأميري: 207
 مزمجر الشام (موقع الكتروني): 238، 246
 المسجد الحرام: 23، 72
 المسجد الكبير (في الموصل): 163
 المسلمون السنة = السنة
 المسيح الدجال: 70
 المسيحيون: 174
 مشاري الذائدي: 79

- مشاري بن سعود آل سعود: 23
المشاهدة (في العراق): 189
مشايخ الوهابيين: 15
مصر: 16، 17، 23، 41، 57، 58، 151، 154، 274
المصريون: 60، 71
مصطفى الأعرجي: 201
مصطفى الأنصاري: 196، 197
مصطفى شكري (رئيس جماعة المسلمين في مصر): 56
مصطفى عبد القادر عابد الأنصاري: 197
مصطفى كامل: 58
أبو مصعب الزرقاوي: 12، 19، 114، 117 - 125، 167، 168، 170، 178، 230 - 271، 272، 273
أبو مصعب السوري (عمر عبد الحكيم): 181
مطابع الثقافة (في مكة): 90
مطار بغداد: 113
مطار الرياض: 265
مطبعة المنار (في مصر): 35
مطر السامرائي: 141
بنو مطير: 32، 41
المطيري (من داعش): 240
أبو معاذ (اسم على تويتر): 244
أبو المعالي الجويني: 170
معامل بقيق النفطية: 262
معاهدة حلف المطيبين: 116
معاهدة العقير: 108
المعتزلة: 81، 106، 181
معركة جراب: 27
معركة السبلة: 44، 45، 46
المعسكر الاشتراكي: 77
المعسكر الرأسمالي: 77
معمر القذافي = القذافي (معمر)
المعهد العالي للقضاء (في السعودية): 58
المعهد العلمي (في بريدة): 78
مهد مركز السياسات الأمنية (في واشنطن): 76
المغامسي (من داعش): 240
- المغرب: 71، 156، 211، 232
المقاومة الفلسطينية: 210
مقبل الوادعي (داعية وهابي): 47، 55
مقتدى الصدر (زعيم شيعي في العراق): 188
مقديشو: 99
مكة المكرمة: 32، 41، 53، 54، 62، 166
الملا فاتح كريكار: 113، 184
الملا محمد عمر (زعيم طالبان في أفغانستان): 165، 191
الملك الجبري (في خطاب جهيمان العتيبي): 64، 65
المملكة العربية السعودية: موجودة في معظم صفحات الكتاب
مناع خليل القطان: 58، 59
المنتفق (في العراق): 107، 108
المنتفق (قبيلة): 45، 107
منصور التركي (المتحدث باسم وزارة الداخلية السعودية): 240، 241
منصور النقيدان: 60، 61، 62، 258
منظمة أنجومان حيدري (سلفية هندية): 248
منير الغضبان: 8
المهدي المنتظر: 70، 71، 72، 73، 203
مؤيد الدولة أبو مظفر أسامة بن مرشد الكتاني
الشيزري = أسامة بن منقذ
موسى الغنامي (اسم على تويتر): 246
الموصل (محافظة في العراق): 8، 9، 13، 151، 152، 153، 272
ميسر علي موسى عبد الله الجبوري (المقدم): 13
ميشيل عقلق: 14
- ن
ناجي (أبو بكر) = أبو بكر ناجي (سيف العدل)
ناصر الحزيمي: 52 - 55، 60، 61
ناصر بن حسين العمري الحربي: 52
ناصر الدين الألباني: 47، 54، 56، 81، 82
ناصر العمر: 78، 80، 81، 82، 88، 94، 104، 205

أبو هاجر (عبد العزيز المقرن): 194، 204

الهجرة (في العقيدة الوهابية): 22

هجرة ساجر: 56

الهرسك: 96

الهفوف (منطقة في السعودية): 240

الهند: 155، 164

الهندوس: 195

هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (في

السعودية): 46

هيئة الأمم المتحدة: 140

هيئة علماء المسلمين: 171

هيثم مناع: 13، 160

و

وادي تربة (في الطائف): 33

واسط (في العراق): 157

واشنطن (عاصمة الولايات المتحدة الأمريكية):

76

وائل عصام: 14

وست بوينب (في أميركا): 207

الوطنية: 14

الولاء: 86

الولايات المتحدة الأمريكية: 18، 46، 60، 94، 139،

208، 213، 220

الوهابية: موجودة في معظم صفحات الكتاب

الوهابية الدينية: 27

الوهابية السياسية: 27

ي

ياسر عرفات (رئيس منظمة التحرير

الفلسطينية): 180

ياسين بن خير الله الخطيب العمري = ياسين

العمري

ياسين العمري: 106

يحيى بن علي الغامدي: 98، 99، 100

ناصر الوحيشي: 207

الناصرية (نسبة لجمال عبد الناصر): 58

الناصرية (منطقة في العراق): 189

نايف بن عبد العزيز آل سعود: 60، 94

نبيل عريبي المعيني (أبو عفيف المقدم): 13

نجد: 23، 24، 32، 39، 106، 166

النجديون: 24

النجف (في العراق): 107، 108، 188

نجم الدين فرج = الملا فاتح كريكار

النخبة (مؤسسة تابعة لداعش): 128

النخبة السياسية السنية (في العراق): 12

النخبة العسكرية السنية (في العراق): 12

النرويج: 113، 184

النصارى: 67، 140، 234، 247

النصرية: 247

نظام آل سعود = النظام السعودي

النظام السعودي: 18، 235

النظام السوري: 15، 142

نظام صدام حسين: 11، 78، 101، 206

النظام الليبي: 95

النظام اليمني: 213

نعمان الأعظمي: 109

نمر البقمي: 195

النهار (صحيفة بيروتية): 11

نهر دجلة: 151

نهر العاصي: 151

نهر الفرات: 106، 107

نور الدين زنكي: 150

نوري المالكي (رئيس وزراء العراق السابق): 115

نيكولاس بيرغ: 195

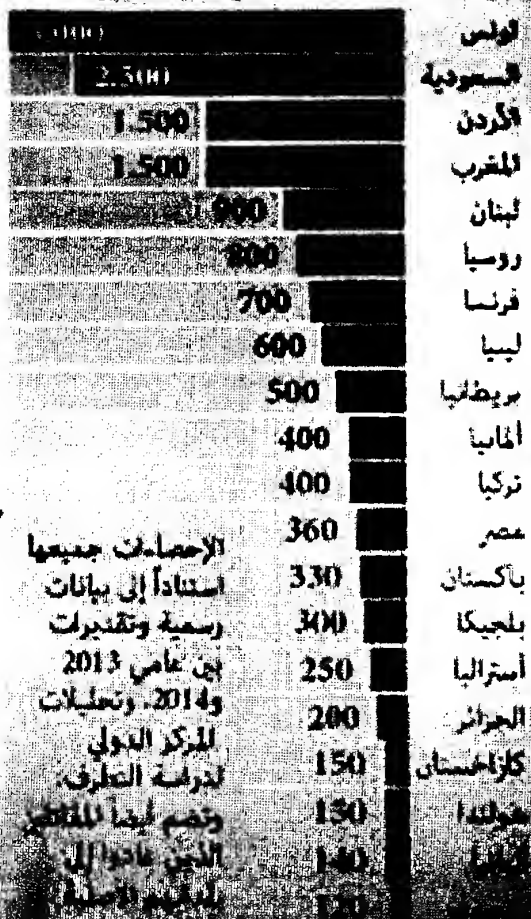
نينوى (في العراق): 157

نيجيريا: 155، 156، 232

نيويورك: 76

يحيى الكبيسي: 112
 أبو يحيى الليبي: 207، 223
 اليرموك (في العراق): 189
 أبو يعلى الفراء الحنبلي = الفراء الحنبلي
 اليمن: 71، 148، 156، 198، 211، 212،
 232
 ينبع (في السعودية): 194، 196
 اليهود: 140، 211، 247
 يوجين أرمسترونج : 197
 يوسف أبا الخيل: 245
 يوسف العيري: 100، 101، 232، 233
 يوسف القرضاوي: 83
 يوغوسلافيا: 96

جنسيات المقاتلين مقاتلون من الدول العربية



الإحصاءات جميعها استناداً إلى بيانات رسمية وتقديرات بين عامي 2013 و2014، وتحليلات المركز الدولي لدراسة التطرف، وتضم أيضاً المقاتلين الذين عادوا إلى بلدانهم الأصلية.



« بيان بشأن التحالف الصليبي »

الحمد لله العائل: «ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استنعوا». والصلاة والسلام على الصادق
الصدوق المبعوث بالسيف بين يدي الساعة صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان.

أما بعد،

فضمن الحرب الصليبية على الإسلام قام التحالف العنصري بحملة لمحنة على المجاهدين في العراق والشام خصوصاً
على إخواننا في الدولة الإسلامية، كان فيها القصف والقتل، دون مراعاة للحرمات، ولإسراي الأعداء أن الحملات الجوية
إن تجدي عنهم -بإذن الله- بدأوا بالحديث عن حملات برية يريدون ليطلقوا نور الله بالموالمة لهم.

وفي هذه المناسبة نؤكد نصرتنا لإخواننا ضد الحملة الصليبية العنصرية، وأننا في عدولهم ضد هذه الحملة، كما نؤكد
على حصة المشاركة في حربهم تحت دعوى أنهم حوارج، وليسوا كذلك، ونوهي جميع المجاهدين أن ينصروا
خلافاتهم وأن يوقفوا الاقتتال فيما بينهم، وأن يجتهدوا في دفع الحملة الصليبية التي تستهدف الجميع
إن هذه الحملة -حملة صليبية ضد الإسلام، ضد تحكيم شرع الله- حملة يراة منها أن يفسى المسلمون تبعاً
لأعدائهم ليس لهم من أمر أنفسهم شيء، ولأجل هذا تولطنا على هذه الحملة الانتصاري والمجوس والحكام الخونة
المردون.

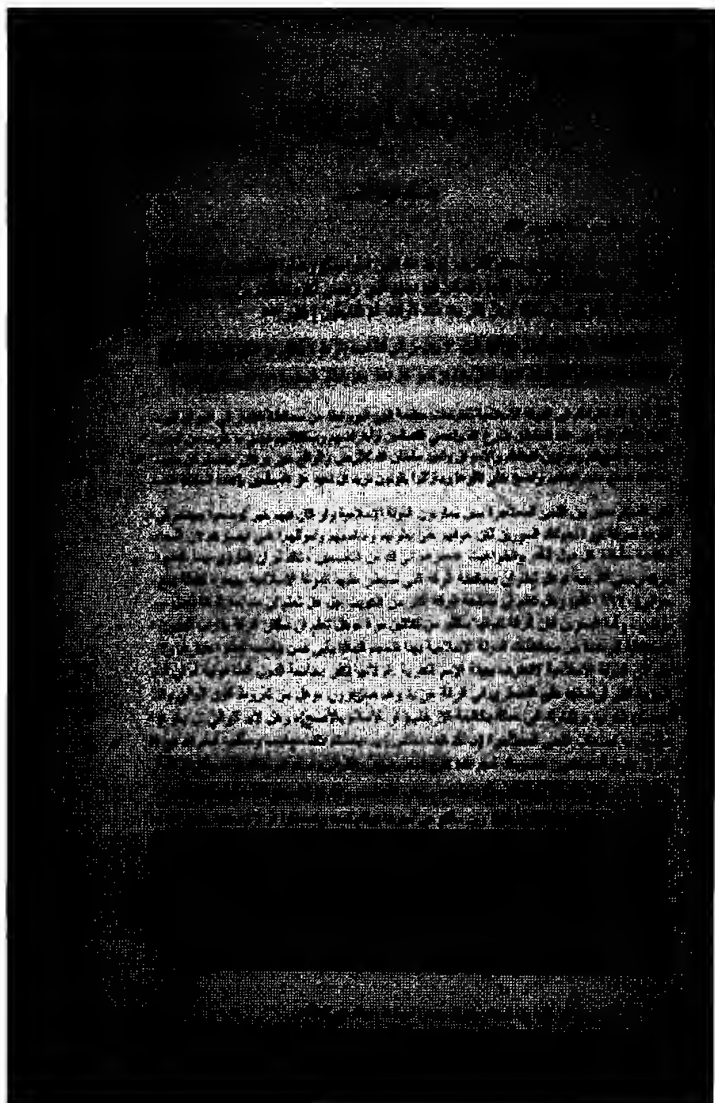
إن نصره المسلم واجب على أخيه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله
رواه مسلم ولاجل ذلك ندعو جميع المسلمين أن يجتهدوا في نصرته إخوانهم ضد الصليبيين بما يستطيعون بالنفس
والمال واللسان.

كما نؤكد الدعوة لكل من يستطيع الإنسان في الأمريكان أن يجتهد بالإلحاح فيهم عسكريا واقتصاديا وإعلاميا،
لهم قادة هذه الحرب، وأساس هذه الحملة.

والعاقبة للمتقين، وصل اللهم على عبدك ورسولك محمد بن عبد الله وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

قاعدة الجهاد في جزيرة العرب

الجمعة عاشر والعشرون من ذي الحجة ١٤٢٥هـ
السابع عشر من أكتوبر ٢٠١٤م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



إعلان

الدولة الإسلامية
خلافة على منهاج النبوة
ديوان التعليم - ولاية الرقة

يعلن ديوان التعليم في ولاية الرقة عن دورة شرعية
لكافة مدراء ومعلمي المدارس ذكورا وإناثا
وذلك يوم السبت المصادف في 5 ذو القعدة 1435 هـ
والموافق 30 / 8 / 2014 م مدة الدورة : اسبوع
مكان الدورة : المذكور في مدرج كلية التربية والآداب
بعد الظهر الساعة الرابعة

الإناث : في معهد عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها
(المركز الثقافي سابقا) صباحاً الساعة التاسعة .

ملحوظة : يمنع أي مدرس أو مدرسة داخل أو خارج الملاك من التفرس
في مدارس الولاية إلا بعد الخضوع للدورة
تحت مظلة المسائلة الشرعية

ديوان التعليم

وقل رب زدني علما

التاريخ المبرور: ١٤٣٥

رقم التعميم: ٠٠٠٠١

الدولة الإسلامية

خلافة على منهاج النبوة



مديرية المناهج في الدولة الإسلامية

تعميم إلى مكافئة المؤسسات التربوية والتعليمية

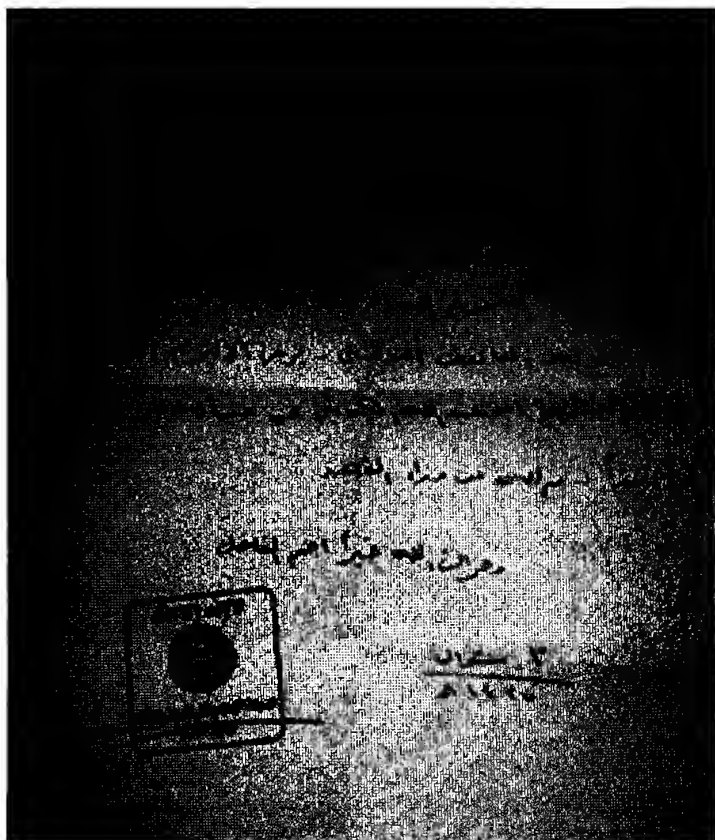
١. تلغى من المناهج الدراسية المواد التالية بشكل نهائي: التربية الفنية، الموسيقى، التربية الوطنية، دراسات اجتماعية، التاريخ، التربية الفنية التشكيلية، الرياضة، قضايا فلسفية واجتماعية ونفسية، التربية الدينية الإسلامية، التربية الدينية المسيحية، على أن تصنف مواد تمويضية من مديرية المناهج في الدولة الإسلامية.
٢. شطب جملة الجمهورية العربية السورية لأنها وجدت واستبدلتها بالدولة الإسلامية.
٣. شطب جملة وزارة التربية واستبدلتها بوزارة التربية والتعليم.
٤. طمس جميع الصور التي لا توفق الشريعة الإسلامية.
٥. حذف النشيد العربي السوري أينما وجد.
٦. عدم تدريس مفهوم الوطنية والقومية وإنما الانتماء للإسلام وأمنه والبراءة من الشرك وأهله إن بلادنا مسلمة هي البلاد التي يحكم فيها شرع الله.
٧. يسد المعلم نواح النقص بالنسبة مادة قواعد اللغة العربية، التفرقة على الحذف باستثناء ما يتعارض مع الشريعة الإسلامية.
٨. تستبدل كلمة الوطن أو وطنه أو سوريا أو وطني أينما وجدت بالدولة الإسلامية أو دولته الإسلامية أو بلاد المسلمين أو الدولة الإسلامية أو ولاية الشام... الخ.
٩. حذف أي مثال في مادة الرياضيات يدل على الربا أو الفوائد الربوية أو الديمقراطية أو الانتخابية.
١٠. حذف من مادة العلوم كل شيء يتعلق بنظرية دارون أو رد الخلق للطبيعة أو خلق من عدم ورد شكل الخلق لله سبحانه وتعالى.
١١. يقوم المعلم بتنبيه الطلاب دائماً إلى أن قوانين الفيزياء والحكمية هي قوانين الله في الخلق.
١٢. يعتبر هذا التعميم ملزماً ويستوجب على المخالفات المعاسية.

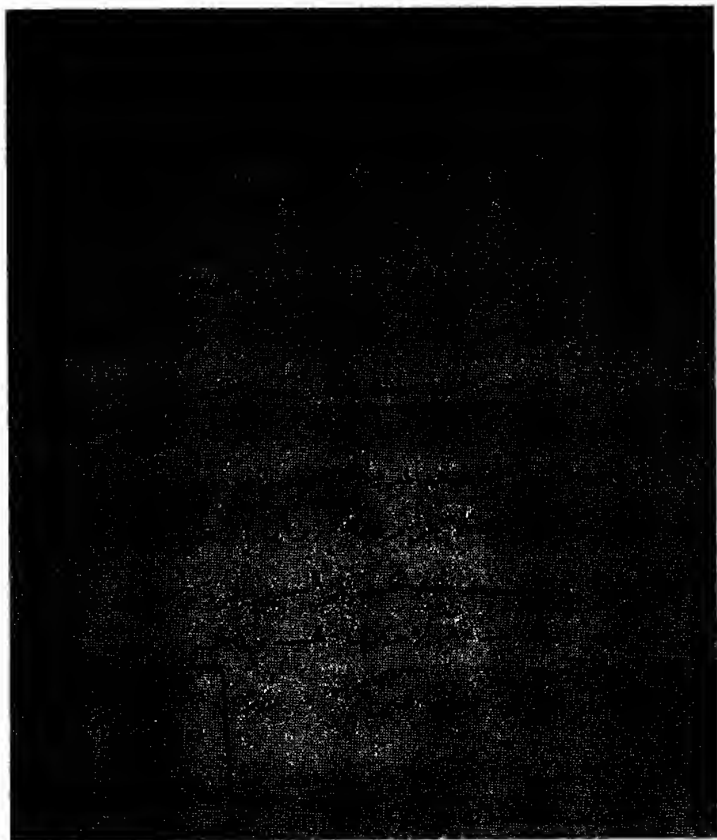
والله لأوفق

مسؤول المناهج

الإبراهيمي

مسؤول ديوان التعليم
ديوان التعليم
الإسلامية
١٤٣٥





The House of Saud fought the religious regimes that emerged after the Arab Spring. They allocated a huge budget to overthrow the Muslim Brotherhood rule in Egypt in order to prevent the emergence of a model of Islamic rule that competes with and undermines the legitimacy of the Saudi regime. But there appeared from within the Wahhabi arena people who carry a competing project and who have inflammatory ideas, religious justifications, military and human power that make them a potential alternative in a divided environment. This was revealed by the calls made by young people on social networking sites to the Prince of the Faithful of the Islamic State to come to the Hijaz and liberate Mecca from the House of Saud.

EVENTUALLY, Dai'sh appears to have touched the hidden nerve in the Sunni community as a whole, namely the dream of the return to the reign of the caliphate, which it claimed that it will fulfill. Such claims undermine the legitimacy of the Saudi rule, and at the same time it bestows more credibility on Dai'sh. Although, to replace the Saudi rule is not an easy task as there are geopolitical factors regionally and internationally involved in such a game, the growing popularity of Dai'sh in the Islamic world makes it a main player in the regional politics. More importantly Dai'sh could represent a real threat to the future of the Saudi rule.

A lot of people close to the Saudi regime rejoiced over ISIS' control of Mosul and its expansion into other Iraqi provinces. Some of them went as far as to describe ISIS' fighters as "revolutionaries" and to consider what ISIS did as a "liberation movement". Suddenly, however, the public mood changed dramatically once IS was announced and there was talk of its expansion into the south where the Arabian Peninsula is.

The Saudi authorities were surprised by the level of support for IS among the popular Wahhabi base, to the extent that electronic campaigns were simultaneously launched that praised the State and pledged allegiance to its leader Abu Bakr al-Baghdadi.

Saudi Arabia discovered that there is an ISIS society dwelling in the midst of the Wahhabi society that it thought it had managed and controlled. The House of Saud noted that a Wahhabi resurgence was launched from outside the border this time and it represents the biggest and most dangerous threat faced by the Saudi regime since its inception.

The danger of IS stems from the fact that it embraces the same doctrinal claims and it preaches the same religious teachings formulated by the founder Mohammad ibn Abdel Wahhab. In addition, it carries within its folds a promise delayed for two centuries, namely, establishing an Islamic state and succeeding at a time when the clerics of Wahhabism and the Ikhwan, the Juhayman movement, the Awakening clerics, al-Qaeda in the Arabian Peninsula and other individual and collective efforts failed.

enough to uncover a doctrinal truth about Baghdadi and his followers. The mere fact of calling for migration means that there is a land of polytheists that one should migrate from to another place like the Prophet's migration from Mecca to the Medina. For migration to be obligatory means that religious legitimacy is restricted to the geographical scope of the IS governed by Baghdadi. Here, we recall Sheikh Mohammed ibn Abdel Wahhab's experience when he moved from al-Ayinah to al-Dariah in the center of Najd and called on his supporters to emigrate to al-Dariah considering it the home of Islam and emigration to it therefore obligatory. Everywhere else automatically becomes the home of disbelief.

Saudi Arabia within the target range of Dai'sh

Saudi Arabia became part of a group of countries – that includes Jordan, the countries of North Africa, Nigeria, Pakistan and Yemen – nominated to fall within the scope of savagery. They have geographical depth and the kind of topography that allows the establishment of areas governed by the management of savagery. In addition to factors like a weak ruling regime, weak military presence in remote areas, a promising Jihadi Islamist presence, the nature of the people in these areas and the ubiquitous presence of weapons among people. (A. Naji, *The Way of Empowerment*, ibid pp.89-).

It is important to point out that the stage of managing savagery paves the way for the stage of empowerment. Including Saudi Arabia within the strategy of change means that ISIS is preparing to fulfill the deferred Wahhabi promise of establishing the caliphate.

al-Baghdadi, in the context of outlining the gains of the state's mujahideen four years after its birth. He said: "In a record period, a generation of young men were trained based on the forgotten doctrine of loyalty and disavowal." This doctrine can not be implemented except in the presence of a group. The justification is that "the group is the practical embodiment of the reality of loyalty and disavowal in Islam. The association of believers with one group after their association with monotheism embodies this faith in real life." The Islamic state then is a proselytizing state that has nothing to do with the concept of the state as we know it.

In light of this hyper ideologization of the state, we encounter the pure Wahhabi vision devised by Mohammed ibn Abdel Wahhab, as he established a religious principality to serve as a basis to launch the Islamic caliphate built on monotheism, loyalty, disavowal, exile and jihad.

There is a great deal of significance in the call that IS leader Abu Bakr al-Baghdadi made in his sermon at the Great Mosque in Mosul on 4th July 2014 to all Muslims to join the IS and emigrate to it: "O Muslims everywhere, whoever is capable of performing migration (hijrah) to the Islamic State, then let him do so, because emigration to the land of Islam is obligatory... So rush, O Muslims, with your religion to God as emigrants (muhajirin)."

The mere fact of calling for migration means that there is a land of polytheists that one should migrate from to another place like the Prophet's migration from Mecca to the Medina. The phrase "migration to the land of Islam is obligatory.." is

The establishment of an Islamic state according to the Wahhabi doctrinal vision represents a serious threat to Saudi Arabia that seeks to undermine any internationalist project that might reach within its borders. As a matter of fact, ISIS is the operational alternative to the al-Qaeda network, which is losing its branches in favor of the Islamic State. The latter is no longer restricted to Iraq and Syria but is rather geographically open. Every place that falls under its control becomes part of its sovereignty.

Abu Mohammed al-Adanani gives a special definition of the state saying: "The Islamic state did not exist in the past or in modern times except to achieve this goal, namely, prompting all people to become monotheists and appealing to God's law for adjudication in order to become one nation..."

In other words the Islamic State is a state of war. It derives its existence and legitimacy from an ideology of conquest, that is, in conflict with other countries. With feud and hostility between them, the Islamic State wants to rule by the sword to implement Islamic law.

That is why we notice how the project of IS developed from being only for Iraq, and specifically for the Sunnis of Iraq, when the Islamic State of Iraq was declared in October 2006. Then it expanded to include Iraq and Syria (ISIS) in April 9, 2013 and finally it became an Islamic caliphate, which is geographically open, adopting the name the Islamic State in June 29, 2014.

To understand the IS' goals, we must go back to the speech of the previous leader of the Islamic State in Iraq, Abu Omar

monotheism and jihad..." (Abi Bakr Naji, Management of Savagery, a series of articles in the jurisprudence of change, the first part of the series The Masterpiece of the Monotheists on the Way to Empowerment, The Center of Islamic Studies and Research, p. 47).

In the end, the strategy of jihadi salafism is based on a doctrinal vision and this is reflected in its conception of the battle. "Our battle is a battle of monotheism against disbelief and faith against polytheism. It is not an economic, political or social battle..." (A. Naji, Management of Savagery, *ibid* P. 112).

Abi Bakr Naji draws an idealistic image of the obligations of the management of savagery including, establishing Islamic courts among those living in the areas of savagery and disseminating the science of Islamic jurisprudence and worldly knowledge. The characteristics of the stage of savagery are similar to the characteristics of the religious principality that Mohammad ibn Abdel Wahhab established in al-Dariah, in the center of Najd, when he implemented his stringent religious vision in managing people's affairs, enforcing Islamic law, establishing prescribed punishment (hadd) and collecting money from almsgiving and spoils.

Therein lies the danger for Saudi Arabia that represents Wahhabism, the ideology that legitimizes it, as ISIS adopts a global project that Wahhabism tried to achieve from the mid-eighteenth century until the end of the 1930s. It was, however, abolished because Abdelaziz al-Saud succumbed to the rules of the international system at the time.

and prohibit its ways...,” “whoever utters the two testimonies, shows us Islam and does not commit one of the nullifiers of Islam, we will treat him as a Muslim...,” “there are two kinds of disbelief, major and minor” and “the need to resort to the law of God through seeking adjudication in the Islamic courts of the Islamic state and to look for them if we do not know of them because resorting to the idolatry of secular laws, tribal adjudication and so on is one of the nullifiers of Islam...”

The last point seems clear in that whoever seeks arbitration in courts other than those of the Islamic state commits one of the nullifiers of Islam and therefore becomes a disbeliever. That means that the overwhelming majority of Muslims are disbelievers because they seek adjudication in spaces other than an Islamic state’s courts.

In conclusion, ISIS, based on the aforementioned information, is one of the most indulgent takfiri groups in issuing declarations of disbelief. So much so, that you barely find a Muslim outside of ISIS. This represents a faithful commitment to the early Wahhabi vision.

From savagery to empowerment

Al-Qaeda and ISIS’ theorists formulate a comprehensive strategy for change that consists of three stages. They are vexation and exhaustion, savagery and empowerment (establishing the state). The savagery stage includes many tasks such as boosting the state of faith to attract people to the ranks of the workers “by sending a messenger from the organization to the administration in charge of adjacent areas to call on them to pledge allegiance to the people of

Dai'sh's project is nothing more than reviving the Wahhabism of the founding generation and this worries the House of Saud because, this time, reviving the genuine version of Wahhabism comes from outside the Saudi state and undercuts its legitimacy.

Like all Salafi-Wahhabi organizations, declaring the other a disbeliever, whether he is Muslim or a Person of the Book, has become a well-established feature of ISIS' doctrine. Simply put, that is because the rigid characteristics expected in a Muslim person, according to the vision presented by these organizations, apply only to the adherents of Wahhabism. Interestingly, ISIS' leadership adhered to Mohammed ibn Abdel Wahhab's logic when it accused him of being too indulgent in declaring transgressors disbelievers. Abu Omar al-Baghdadi says about the state's ideology in his speech on March 13, 2007 entitled, "Say I am Aware of the Lord": "People have thrown many lies at us that have no basis in our faith. They claimed that we declare ordinary Muslims disbelievers and consider their blood and money permissible for us."

When he denied the accusation, Baghdadi first resorted to Mohammed ibn Abdel Wahhab's teachings in declaring the other a disbeliever but in an indirect way. When we go back to the works of Wahhabism on disbelief, we find that Baghdadi is nothing more than an emulator who repeats Wahhabi arguments about the issue.

The principles of the state as defined by Abu Omar al-Baghdadi are almost literally copied from Wahhabi sources such as "the need to demolish and remove all manifestations of polytheism

clearly showed that the revival of the authentic version of Wahhabism was the central aim of the group. In November 1979 dozens, led by Juhaïman, seized the Holy Mosque in Mecca after the dawn prayer, while pilgrims departed Mecca after performing the Hajj. The Juhaïman's movement inspired by the Wahhabi teachings and the doctrine of Mahdi, the person bestowed with salvation of human kind on earth called for allegiance to the proclaimed Mahdi Muhammad Abdullah Al-Qahtani. However, Al-Qahtani was killed inside the Mosque during the early stage of the siege, whereas other members were killed or arrested after a special task force stormed the Mosque.

Another attempt of the re-Wahhabization of the Saudi state took place in the 1990s by the so called the Sahwa (Awakening) trend, which constitutes of Wahhabi clerics from the second layer of religious hierarchy, followed by the emergence of Al-Qaeda in the Arabian Peninsula which held the aborted ambitions of the previous movements. Nevertheless, the aforementioned attempts had failed to meet the criteria designed by authentic Wahhabism due either to the dismantling of groups or the erosion of their ideas.

Dai'sh, unlike previous attempts, formed a revival and expanding movement in the Wahhabi realm. As such, it could be argued that Dai'sh is the most dangerous challenge ever to the Saudi legitimacy and existence. This is not only due to the fact that Dai'sh adopts the Wahhabi sect, but also because it appeals to a large segment of the Wahhabi believers inside the Saudi kingdom.

Historically speaking, Wahhabism is considered the underlining ideology of the Saudi state. However, the latter appears to have been attempting to modify the tone, orientation and objectives of Wahhabism in the aftermath of the foundation of the Saudi state.

Throughout the past century (1919 –now) the Saudi state saw challenges from within due to the disruption of the relationship between religion and politics. For instance, Ikhwan, the ideological army of Ibn Saud, the founder of the modern Saudi state, had imbibed the genuine Wahhabi teachings, which are the behind the rise of the Saudi state. However, the army turned into a challenge to the Saudi rule, as Ikhwan (believers) insist to validate the doctrines of Takfir, Hijra, and Jihad. Ibn Saud called the Wahhabi clerics (Shaikhs) to interfere in order to reformulate the doctrines with the aim of reinforcing the authority of the state. As Wahhabi Shaikhs failed to persuade the Ikhwan to relinquish their convictions, Ibn Saud decided to declare war against his army. In 1929 a battle called (Isbelah) broke out which led to the defeat of Ikhwan and the arrest of their injured leaders, Faisal al-Dwaish and Sultan b. Ibjad.

Successive attempts throughout the Saudi modern history were made to accomplish the aim of reviving the genuine Wahhabi teachings. In the 1970's, a group inspired by the Ikhwan called (al-Jama'a al-Salafiyya al-Muhtasiba), a voluntary Salafi Group came into being. Although, it did not reveal its main objectives as it maintained a low profile in the early stage, the pamphlets of its leader, Juhaiman al-Otaibi,

In attempting to historically contextualize the Islamic State in Iraq and Syria, ISIS (Da'ish), this book aims to trace the developments of Wahhabism since mid 1700. The historical alliance between prince Muhammed b. Saud (the founder of Al-Saud dynasty) and Shaikh Muhammad b. Abdulwahhab (the founder of Wahhabism) was based on a power-sharing arrangement between the cleric and the prince that was supposed to monopolize Sunni political representation and prevent the emergence of any other competing entity within the general Islamic public sphere.

This alliance between the prince and the cleric launches the basis of a religious state in light of the teachings formulated by Shaikh Muhammed b. Abdulwahhab. Such teachings became the guiding star for a wide spectrum of Salafi groups throughout the Islamic world in the last three decades.

Da'ish, being a Salafi-Wahhabi group, represents the postponed dream of the pure Wahhabism, as it failed to fulfill its ultimate goal through the trilogy of (Takfir), excommunication, (Hijra) migration and, (Jihad). By far, it could be argued that the rise of the Saudi-Wahhabi state is attributed to the devotion of believers to these pillars.

The Saudi –Wahhabi alliance founded in 1744 was based on the collaboration between four parties: Prince, Cleric, Ideology, and believers. The harmony between these parties is pivotal for the success and continuity of the Saudi-Wahhabi state. On the contrary, the fracture of the relationship could lead to deep division within the Saudi-Wahhabi realm.

Dai'sh (ISIS)

From Najdi to Baghdadi

Nostalgia of Caliphate

Fouad Ibrahim